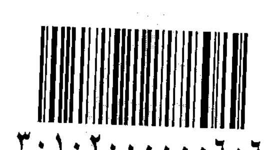
جامعة القديس يوسف
كلية الآداب والعلوم الانسانية
فرع الآداب العربية
بيروت

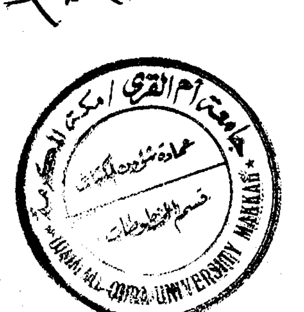


الايديولوجيا الشيعية ورثاء الامام الحسين
في
شعر السيد حيدر الحلّي

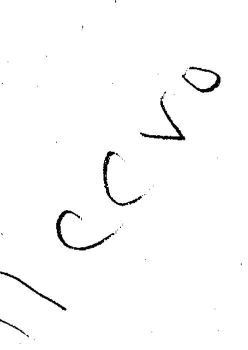
رسالة ماجستير

أعدّها محمد كامل سليمان سليمان
وأشرف عليها الدكتور أسعد علي

******



١٣٩٩هـ
١٩٧٩م
بيروت



اهــــــــــــــداء

===

- إلى أب علمني حب الحقيقة ونـــذر النفـــس لقضايـــا الانســـان الكبرى مهما عظمت التضحيـــــة .

- الى ام غذتني بلبان الوفاء والاخـــــلاص .

- الى زوجة مخلصة وأطفال صبروا أنفسهم معي في رحلـــة البحـث الشاقة حتى اتت أكلهــــــا .

- الى اخوة رساليين تسلحوا بالمعرفـــة وظلوا مشدودين الــــى مركز دائرة الحق والايمـــان .

- الى الجنوبي الذى اصبح التشرد منـــزلا يأوى له من عنـــت الســـرى .

- الى كل انســـان ينشد الحقيقة عن طريـــق المعرفة بعيـــدا عن كل تعصب .

- اليهم وهم صيغة محبـــة منبعيـــة وربيع وفاء متجدّد .

====

اعتراف و تقدير
الدكتور اسعد علي
أو
رسالة الطريق

قرأتك في قلبي صباح هداية   على غصنه طير الوفاء يسبّح

وهل عجب ان يعشق الصبح طائر   وما انفك يوليه الضياء ويمنح

لحبّك في شرب الجَنان غرسته   وما زال ينمو بالعهاد تفتّح

فإن يمرع البستان جنيا ومغرساً   فباسم الذي يرعى الخصوبة تصدح

لقد زعموا درب المريد طويلة   له عبرها الصعب الذي لا يزحزح

ألم يأتهم أن الطريق رسالة   وان النضوج الحق لهو المرجّح

لكل رؤى حلم سبيل و مطمح   فان يتسرّ حلم فقل فاض مطمح

فهرست الموضوعات

تابع الفهرست (٢)

المقدمــــة

" برعم صغير فتح عينيه على الوجود ، و من حواليه الصقيع يترصد كل رعدة حياة، و الزمهرير يزرع اليبس و الجفاف حيثما تستطيع ورقة خضراء ان تطل من نافـــذة الحيـــاة....

..برعم صغير، و لكن في اعماقه من خزين النسغ ما جعله يتحدى الصقيــع يقاوم الزمهرير، لتطل الحياة من أشداق الموت، و يمرع الخصب من بين براثن الجفاف.

ذلكم هو السيد حيدر الحلي الذى ولج باب الحياة و سحائب عصر الانحطاط الداكنة لما تتقشع عن سماء الوطن العربي ، و جاثوم الاحتلال التركي لما يزل يربض فوق كاهل الامة العربية، يسد امام وجهها منافذ الضياء، يمارس اصناف الكبت للحريات يكم الافواه بشتى الاساليب و الوان القمع حتى تبدت الحياة العربية وتئنّ زنزانة موبـــوءة ... وآن تغدو الحياة كذلك تصبح النافذة حلما ولا اشهى ...

هذه النافذة الحلم التي اشرعت لاستقبال النسيم الارج ، و رصدت لاستضافة الضياء السمح ، لم تكن غير شعر حيدر الحلي، هذا الذى تألق في سماء الشعر العربـــي كوكبا وضّاء، يحف به من السنا الوهّاج و الهالة المستحبة، ما لم يكن لكوكب آخر.....

تألق هذا الكوكب السنّي وراح يتهادى باطلالته البهية في رحاب الفضاء اللامتناهـــي، حتى لا يظّل الليل مطبقا بلا حدود ، وليزرع في جدران الدجى كوى النور...

لقد تألق هذا الكوكب الدرّي و لكن لم تشر اليه انامل الاستحسان ، ولا ترصدته عيون الاعجاب، كلا و لا سهر الشوق في مقل العشاق المعاميد يترقب هذا الوافد المنتظر، برغم الحاجة الملحة لقدومـــه ....

لماذا يا ترى عشت العيون عن بهى سناه ، و ما حفلت به كما ينبغي لـــه ؟ ما الذى القى به غيابة المغمورية ؟ و قذفه في جب النسيان ؟..

أهو هذا العصر الذى عاش فيه ، حاول وأد اشراقته فيما حـــاول ؟ ام هي تلك البيئة التي ترعرع بين ظهرانيها ، مضغوطا على حريتها ، ممسوسة تحت وطـــأة الاحتلال الغاشـــم ؟

ام ان سبب ذلك هو هذا اللون الشعري الذي راح يطلع به على الناس وهذه المجالات التي راح يتبناها، حين وقف قصائده العصماء مدحا ورثاء على اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وعلى الامام الحسين منهم بخاصة.

ام يا ترى هو هذا الشعر الجزل، الفصيح، السامي الخيال، الرائع الصورة، الذي راح يطلع به على الناس مما جعلهم حسدا يطوون عنه صفحا ويلوون كشحا ؟

أ أحد هذه الاسباب ام كلها مجتمعة هي التي حجرت على شعره وشلت السنن ذيوعه وانتشاره ..

.. هذا التعتيم الذي مورس ضد هذا الشعر كان في طليعة ما جعلني اقف عنده، بعدما سمعته يتلى في مجالس ذكرى ابي عبد الله الحسين من لدن صغري، فيؤثر في نفسي، ويلونها بهذه المسحة الايديولوجية، وكبرت انا، والتأثير كبر، فرحت ابحث عن هذا الشاعر الذي احببته واعجبت به، فلم اعثر له على ذكر في كتب الادب العربي حتى في تلك التي تؤرخ للرثاء، حتى ما كان منه في النبي وآله.

أ- لهذا عقدت العزم على ان احاول فتح الطريق للوصول الى هذا الشعر، فبدأت بزحزحة كوم الحطام، واستئصال الاشواك، لأشف عن زهرة يانعة من زهرات الشعر العربي لتزيد من جمال حديقة الادب وتأخذ دورها بتضميخ الجواء بالعبير.

فكان لي بهذه المحاولة من اللذة الروحية ما لا تعادلها لذة..

وكيف لا وقد رأيت دراستي لهذا الشاعر تمدني بثمار مشتهاة قطفتها خلال معايشتي لشعره، فتبدت لي مجدية على اكثر من مستوى.

امور مايلي : أ-

واول ما طالعني بعد مدارسة شعره من / تصحيح المفهوم المنتشر عن عدم مطاوعة الاوزان الخليلية والقافية الموحدة للتعبير عن افكار الشاعر وايديولوجيته (١)، فالحلي استطاع ان ينقض هذه الدعوة، حين التزم بالشعر العمودي وعبر من خلاله عن ايديولوجية دينية (٢).

١- يلاحظ كتاب " شعرنا الحديث الى اين" لغالي شكري ص٧٧-٨٥ وفي اماكن متفرقة من الكتاب.

٢- استعملت كلمة دينية للدلالة على دقة الالتزام --

ب - خلال رثائه للامام الحسين و مناجاته لصاحب الامر، و من خلال منطلق انساني عام، الا يلقي في الروع ان الشهداء الذين يقضون ذيادا عن قضايا الانسانية الكبرى يخلدون عند الله و الناس، و تستمر ذكراهم واحة ظليلة، يفيء اليها كل من هدّه عنت السرى و عنّاه طول المسير.

الا نرى الحسين/عبر شعر الحلي متغلغلا في نبضات شرايينا، و خفقات قلوبنا، ماثلا ابدا امام اعيننا، رمزا و مثالا، للانسان كل انسان يريد ان يثأر لكرامته، و يثور لمعتقده، دفاعا عن الحرية و العدالة و المساواة، و آنئذ الا نهتف مع حيدر الحلي:

ان لم أقف حيث جيش الموت يزدحم	فلا مشت بي في طرق العلم قدم
لا بد ان اتداوى بالقنا، فلقد	صبرت حتى فوادي كله الـم

من هنا كانت الحاجة ماسة لدراسة شعر السيد حيدر الحلي و اضرابه، فمثل هذه الدراسة تحرّك الحاضر بحرارة و حرية، دافعة له لبناء مستقبل امثل، اذ بغير تمثل التراث و تحديثه، و الافادة من تطور الحضارة، لا نكسب القدرة المحوّلة.

ثم ان شعرا له هذا المنطلق الايديولوجي البنّاء و هذه القدرة على تمثل الايديولوجيا و زرعها في نفوس متلقية، اليس حريا بالتوفر على مدارسته، في عصر نحن احوج ما نكون فيه لايديولوجيا و التزام.

المصادر و المراجع:

لقد عانيت في التفتيش عن المصادر و المراجع التي اهتمت بهذا الشاعر لندرتها من جهة و لكون ما كتب في بعض التي تعرضت له الماحات، ليست هي بصدد ما انا فيه من بحث.

أول المصادر و اهمها هو شعر السيد حيدر الحلي نفسه، و قد اعتمدت من ديوانه بصورة خاصة على الابواب الثلاثة الاولى من الجزء الاول، خصوصا مراثي آل الرسول.

و اما بالنسبة للحالة السياسية و الاجتماعية فقد افدت من:

١- كتاب الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي.

٢- و تاريخ الحلة ليوسف كركوش الحلي.

(١) ديوان السيد حيدر الحلي تحقيق علي الخاقاني ج ١ ص ١٠٣

هذا بالنسبة للسيد حيدر الحلي تاريخيا ، اما بالنسبة للايديولوجيا : فقد اعتمدت على دوائر المعارف العالمية بالنسبة لتحديد كلمة ايديولوجيا و لبعض الكتب التي كتبت في موضوع الايديولوجيا مثال :

أ ـ Essai sur l'idéologie. DANIEL VIDAL

ب ـ هنري ايكن عصر الايديولوجيا •

و اما بالنسبة للايديولوجيا الشيعية التي كانت ايديولوجيا الشاعر فقد اعتمدت امهات الكتب الشيعية في هذا المجال مثل :

١ـ اصول الكافي للكليني •

٢ـ اكمال الدين و اتمام النعمة للصدوق •

٣ـ اوائل المقالات في المذاهب و المختارات مع شرح اعتقادات الصدوق للشيخ المفيد •

و من المراجع:

ـ شعراء الحلة لعلي الخاقاني

ـ اعيان الشيعة للسيد محسن الامين الجزء التاسع و العشرون •

ـ طبقات اعلام الشيعة لآغا بزرك الطهراني القسم الثاني من الجزء الاول •

و مهما يكن فان هذه الكتب و كذلك اشارات كحالة و سركيس و بروكلمان ، و الزركلي ، و الاب لويس شيخو اليسوعي و غيرهم لم تقدم جديدا من الناحية التاريخية و ليست بصدد ما انا به من الناحية الايديولوجية ، و كانت الافادة منها قليلة •

و على كل فسأفرد في نهاية البحث لائحة باسماء المصادر و المراجع التي اثرت في البحث من قريب او بعيد ••••

ابواب البحث:

لقد جعلت هذه الدراسة في ثلاثة ابواب و مقدمة و خاتمة •

المقدمة حاولت ان اجعلها معالم على طريق الدراسة ، و الخاتمة غاية المطاف •

اما الابواب الثلاثة فهي :

١- الباب الاول السيد حيدر الحلي ، و هذا الباب عبارة عن ثلاثة فصول :
الفصل الاول : تعريف بالسيد حيدر نسبا و اصولا و فروعا و نشأ ، و قد بينت عبر التحدث عن ولادته ما كان لذلك من اثر انسحب على مسار خطه الشعري •

في هذا الفصل وقفت عند نشأة الشاعر الذى عرف اليتم مبكرا ، و لكن تيض الله له من كفله و شمله برعايته ، عيت عمه السيد مهدي ، و قد بينت دور هذا العم في توجيه الشاعر و في رسم الايديولوجية التي تبنّاها •

٢- في الفصل الثاني وقفت عند عصر الشاعر و أثره و تأثيره في بيئته ، و امتداد هذا الاثر و التأثير على الايديولوجية التي تبنّاها ، و مشى على هداها •

و في هذا الفصل ابرزت دور الاحداث الاجتماعية في شعره من مثل الاحتلال العثماني ، و الغارات التي كانت تشن على مدن العراق المقدسة ، مما دفع بالشاعر لان يستصرخ بدافع من ايديولوجيته ، المهدى المنتظر ليخلّص الناس من تسلط المتسلطين ، و استبداد المستبدين . و لم ننس هنا ان نشير الى دور الثورات التي كانت تعصف ، والى اثرها في صبغ شعر الشاعر بالروح الثورية ، و خلصنا خلال ذلك الى تبيين العلاقة الجدلية بين التأثير و التأثر على مستوى البيئة و المجال و الاحداث الاجتماعية •

و في الفصل الرابع عرضنا لآثار الشاعر النثرية و الشعرية ، المخطوط منها و المطبوع •

الباب الثاني : الحسين آثارا و مآثر :

ما دامت دراستنا هي حول ايديولوجية السيد حيدر الحلي في رثائه للامام الحسين ، اذن لامشاحة من الوقوف مع هذا الامام العظيم الذى تأثر به شاعرنا و طبّق ايديولوجيته عبر رثائه له •

و هكذا احتوى هذا الباب عدة مباحث :

فلقد عرضنا للأثره بالمربت النبوي والعوامل والاحداث التي تركت بصماتها في نفسية الحسين وهو جنين. ثم انتقلنا الى اثر البيئة في مساره ونموه، الى جانب غنى النشأة على الصعيد الروحي والمحتوى، الى ما كان له عبر سيرة حياته من رسالية وريادة. من ذلك مواساته لفقراء الناس واحتفاله بهم الى حد تخفيفه من صلاته احتفاء بأحد المساكين وتقديرا لادبه، ثم عرضنا لدوره في ايام جده والخلفاء المسلمين في عهده، وجرأته وهو غلام ان يقف قائلا لعمر بن الخطاب عند ما كان على منبر الرسول " انزل عن منبر ابي واذهب الى منبر ابيك" عارضين لكل المشاهد والاحداث التي كانت تنشعب في نفس الحسين، وتترك اثرها فتضاعف ايمانه، وتدعم تصميمه على حمل مشعل الرسالة من بعد جده النبي العظيم. ثم كانت لنا بعد ذلك وقفة مع حياة الامام الحسين قبل الامامة وبعد الامامة، ذاكرين الاعمال والاغتيالات التي كان يقوم بها معاوية وكان الحسين يرصدها، الى ان ورّث معاوية الملك ليزيد فأسرف في الخروج عن طوره، فكانت للامام الحسين وقفات بطولية خالدة في وجه الطغيان والاستبداد.

وما اكثر مواقف ابا عبد الله العظيمة وهل كانت حياته كلها غير مواقف عز واباء، اوحت لشاعرنا بايديولوجيته إفراح من منطلقها يمدنا بهذا النبع الثرّ والفيض الغامر من الشعر الايديولوجي الملتزم. ثم تحدثنا اخيرا عن آثار هذا الامام العظيم وعقدنا مبحثا حول اثره غير المباشر او مآثره بتعبير ادق، تلك التي تركها عقيدة وايديولوجيا يسير على هداها عشاق الحرية والعدالة الانسانية في كل زمان ومكان.

الباب الثالث : الايديولوجيا في شعر السيد حيدر الحلي عبر رثائه للامام الحسين :

لقد عرضنا عبر فصول هذا الباب الى تحديد كلمة الايديولوجيا في اللغة الاجنبية واللغة العربية، ثم عرضنا لمفهوم الالتزام شعرا ونثرا، مستطردين الى الاشارة الى معالم الايديولوجيا الشيعية التي تبناها السيد حيدر الحلي، والى طريقته في التعامل معها، وأبنّا في هذا الفصل كيف كان الشاعر دائم الحضور، يعانق ايديولوجيته بحميمية واخلاص.

ولم ننس ان نقف عند المهدية ومرموزها في شعره وذلك عبر رثائه للامام الحسين خاصة ولاهل البيت عامة، الى جانب وتوقفنا عند رثائه بشكل عام والى اخلاصه ووفائه وايديولوجيته في هذا الرثاء، حتى ما كان منه في الصحاب واهل الوداد، وحتى في الجانب الكلاسيكي منه، مشيرين خلال ذلك الى مدى الالتحام والمعايشة المستمرة

من الشاعر لايديولوجيته ، والى التزامه التزاما شعريا يدعو الى الاكبار والاجلال والتوقف عنده .

ثم انتهينا بالخاتمة التي كانت نهاية المطاف ملحين خلال هذه الابواب كلها الى جدارة هذا الشاعر بالتوفر على مدارسته .

و هكذا بعد هذه الجولة مع شاعرنا يرتسم امامنا سؤال كبير : و هو لماذا هذا التجاهل للالىء ما دمنا نبحث عنها ، و نظل نتركها في محاراتها و اصدافها موءودة بالضوء ، ولا من يحاول ان يفك الحصار ، و الام تظل هذه الجزر الغنية منفية في اعماق محيطات المجهول ، و حتى متى نهمل هذه الواحات الممرعة في صحارى النسيان ، و لم لا نسل السيف من قرابه الذي علاه الصدأ ، فلعل لهذا السيف مضاء و صمودا فلا ينبو من ضراب ....

هذا عرض سريع للمشكلة ، و تبيان للدوافع التي استحثت على بحثها و دراستها مع ذكر المصادر و المراجع التي اسهمت في تكوينها على الصورة التي جاءت عليها في ابوابها الثلاثة

لكنني عانيت خلال تكوين هذا البحث و لاقيت من المصاعب و التنقيب ما لا يعرفه الا الباحثون عن نفيس الجواهر في احشاء تربة مجهولة .

من تلكم المصاعب الاحداث التي المت بوطننا العزيز لبنان ، فحالت بيننا و بين الجامعة اكثر من سنتين ، حرمنا خلالها اللقاء مع الاستاذ المشرف ، و قل في هذا الحرمان ما شئت ، تصور فراق المريد عن مرشده ، او الابن عن ابيه الروحي ، او التلميذ عن استاذه الذي اسلمه مفتاح المعرفة ، ففاجئه هبوط الظلام ، و راح يتلمس الطريق الذى لم يعتد السير عليه من قبل .

الى جانب معاناتنا لحياة الرحل ، تنقلا من موضع خطر الى موضع اقل خطرا ، و لكن منهجية الاستاذ المشرف ظلت منارة ترسل بأنوارها الهادية ، و تعاليمه ظلت راسخة في اذهاننا ، الم يقل لنا انه لا يستثيره شيء كعقرب الساعة الذي يظل يسير بلا تؤدة ، على مدار اربع و عشرين ساعة كل يوم ، فلا تند عنه شكاة ، و لا يسمع منه تذمرا ..

فالله نسأل ان يوفقنا و يلهمنا سواء السبيل و هو من وراء القصد .

الباب الاول

السيد حيدر الحلي

الفصل الاول : حياة السيد حيدر الحلي :

المبحث الاول : من هو السيد حيدر الحلي ؟

أ ـ اسمه ونسبه : هو حيدر بن سليمان (١) بن داود بن سليمان الكبير بن داود بن حيدر بن احمد بن محمود بن شهاب بن علي بن محمد بن عبد الله بن ابي القاسم بن ابي البركات بن القاسم بن علي بن شكر بن محمد بن ابي محمد الحسن الاسر بن شمس الدين النقيب بن ابي عبد الله بن زيد الشهيد بن الامام زين العابد بن علي بن الامام الحسين السبط بن الامام علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، صريحة يعرب و عنوانها و فخر عدنان و مجدها (٢)•

نسب كأن عليه من شمس الضحى نور و من فلق الصباح عمودا

ب ـ كنيته : له كنيتان: ابو سليمان و ابو الحسين (٣) ، ولعل مردّ ذلك الى ان ولده سليمان توفي و هو حدث السن (٤)• فأصبحت كنيته ابا الحسين باسم ولده الاكبر بين الاحياء، و من ثم غلبت عليه هذه الكنية•

المبحث الثاني : اسرته اصولا و فروعا :

اصوله : جده الاعلى هو السيد سليمان بن داوود و كان يلقب بالمزيدي نسبة الى

---

١) يلاحظ تاريخ الحلة ليوسف كركوش الحلي ج ٢ ص ١٢٥ ـ ١٢٩، ٢ ـ مقدمة الديوان تحقيق الخاقاني ج ١ ص ٧ ـ و يراجع نسبه في الكتب التالية: معجم المطبوعات العربية لسركيس، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، و ملحق تاريخ الادب العربي لبروكلمان •

٢) Supplément II و هذا الكتاب لا يزال بالالمانية •

٣) كل الذين ترجموا له ذكروا كنيته "ابا الحسين" ، ما عدا عبد المطلب الحلي ابن اخي المترجم له فقد ذكر له كنيتين في مقدمة الدر اليتيم ص ٤ ، و في تاريخ الحلة ذكرت كنيته بأبي سليمان •

٤) مقدمة ديوانه ص ٢٥ .

المزيدية حيث توجد لذريته ضياع تعرف بضياع آل شهاب(١)• ولد في النجف الاشرف سنة ١١٤١ هـ• حيث نشأ و درس العلوم المختلفة من لغة و أدب وفقه و طب• ثم غادر هذه المدينة و اقام في الحلة سنة ١١٧٥ هـ• ، و قـد احتل مكانة مرموقة بين شعراء عصره ، و له مساجلات و مطارحات من اعلامهم(٢) و كان يلقب بالحكيم لدراسته الطب• و كان يعد من الاطباء الادباء (٣) ، توفي في ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٢١١ هـ• بالسكة القلبية• دفن في مدينة النجف، و اقيمت لمحفلة تأبينية كبرت رثاه فيها ثلة من طليعة ادباء عصره (٤)•

جده ابو ابيه :

هو داوود بن سليمان،كان اديبا و شاعرا • جمع القصائد و الخطب التي قيلت في رثاء والده وكان احد اساتذة ولده سليمان (٥)•

والده :

هو سليمان بن داود ، لقّب بالصغير دفعا للالتباس بينه و بين جده • ولد سنة ١٢٢٢ هـ• انشأ يقول الشعر و هو ابن اثنتي عشرة سنة (٦)• تلمذ على والده داود و عمه الحسين ، كان فاضلا ، اديبا و شاعرا ، له ديوان شعر صغير ، ذهب فيما ذهب من آثار هذه الاسرة• و له كتابان في النحو• و من شعره الذي ينم عن مقدرة في هذا المضمار و عن ميل لرثاء الامام الحسين قوله :

ارى العمر في صرف الزمان يبيد	و يذهب لكن ما نراه يعود
فكن رجلا ان تنض اثواب عيشه	رثاثا ، فثوب الفخر منه جديد
و اياك ان تشرى الحياة بذلة	هي الموت• و الموت المريح وجود
و غير فقيد من يموت بعزة	و كل فتى بالذل عاش فقيد
لذاك نضى ثوب الحياة ابن فاطم	و خاض عباب الموت ، و هو فريد (٧)

١/٢/٣) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٣٥•

٤) نفسه ص ١٣٧•

٥) نفسه ص ١٣٩•

٦/٧) نفسه ص ١٣٩•

.. هذه الابيات كما نلاحظ تنم عن موهبة شعرية وعن صقل وطول تمرس. توفي سنة ١٢٤٧ هـ. مع اخيه بالطاعون الذي كان منتشرا بالعراق، وكان عمر ابنه حيدر سنة واحدة.

اعمامه :

أ ـ السيد محمد : نعرف من اعمامه السيد محمد الذي توفي بالطاعون سنة ١٢٤٧ هـ. مع اخيه والد الشاعر المترجم له . وقد رثاهما اخوهما مهدي بقصيدة مؤثرة(١) ومهما يكن من امر فان من يهمنا من بين اعمامه بخاصة هو السيد مهدي، للدور الذي لعبه في حياة ابن اخيه حيدر فمن هو السيد مهدي.

ب ـ السيد مهدي : ١٢٢٤ هـ ـ ١٢٨٩ هـ . ابو داود، مهدي بن داود بن سليمان الكبير ولد في الحلة ونشأ فيها، درس علوم العربية وآدابها على اخيه سليمان، ظل يواصل الدراسة ويمارس النظم حتى صار من شيوخ الادب في الحلة. درس الفقه على استاذين كبيرين في الحلة والنجف الاشرف. كان امام جماعة، وقد جعل من مسجده مدرسة ادبية لتلامذته الذين غدوا طليعة أدباء الحلة(٢). تزوج من ام السيد حيدر(٣). بعد وفاة ابيه . له عدة مؤلفات منها : مصباح الادب الزاهر، كتاب في انواع البديع، وآخر في تراجم الشعراء المتقدمين ونوادرهم. الى جانب كتاب وضعه في جزئين كبيرين وهو مختارات من الشعر العربي نسج فيه على منوال ديوان الحماسة لابي تمام(٤)، كما ان له ديوان شعر جمعه حفيده عبد المطلب . توفي في مدينة الحلة سنة ١٢٨٩هـ.، ونقل جثمانه الى النجف حيث اقيم له حفل تأبيني كبير، نظرا للمكانة المرموقة التي كان يحتلها ...

---

١) تاريخ الحلة ج ٢ ص١٣٩.
٢) نفسه ١٣٩ـ١٤٢.
٣) نفسه ص١٤٢ .
٤) نفسه ص١٤٢.

اعمامه : هؤلاء عددهم اربعة اشهرهم السيد حسين بن سليمان كان شاعرا مطبوعا واديبا مترسلا، وكانت له مكانة سامية عند حكام الحلة وولاة بغداد (١).

فروعه : اولاده : كان للسيد حيدر ثلاثة اولاد وهم :

أ — سليمان توفي في عهد ابيه ولقد رثاه بعدة قصائد كلها صرخات حزن ونداءات لوعة يبعثها مشهد زهرة العمر التي كانت بسمة للحياة وسلوانا، صوّحتهـا يد القدر ولما يكتمل تفتحها بعد.

ب — حسين : شاعر، أديب، تلمذ لابيه وانتهل من نميره العذب، رثى اباه بقصيدة مشجية تتناغم فيها عباراته وعاطفته اسى ووجدا.

ج — علي : اديب ينظم الشعر المقبول، درس على ابيه، توفي في الحلة سنة ١٣٤٢ هـ.

يتبين لنا مما تقدم من اعطاء فكرة موجزة عن اسرة شاعرنا، انه كان سليل اسرة عريقة في الادب والشعر. هذه الاسرة التي كان لها المكان الاول بين ادباء الحلة وشعرائها. فاذا عرفنا ان مدينة الحلة كان لها النصيب الاوفر من بين المدن العراقية في مجال الاسهام في نهضة الادب والشعر (٣)، يخرج لنا اذ ذاك ان هذه الاسرة كانت في طليعة الادباء العراقيين بل العرب، الذين رعوا هذه النهضة ودفعوا عجلاتها نحو التقدم، خصوصا على يد السيد حيدر الحلي الذى ساعد على ارساء قواعد بناية الادب، وشمخ بصرحها الشاعرى حتى تركت دويا متجاوب الاصداء عميق المدى (٤).

مولده : ولد المترجم له ليلة النصف من شعبان (٥) سنة ١٢٤٦ هـ. الموافق سنة ١٨٣١م ولا بد لنا من وقفة عند ليلة النصف من شعبان، لان هذا التاريخ سيكون لـه اثره في حياة الشاعر النفسية والادبية فماذا عن ليلة النصف من شعبان.

---

١) يلاحظ تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٣٧.
٢) تلاحظ ترجمة اولاده ص ٢٥ـ٢٩ من مقدمة الديوان للخاقاني.
٣) يلاحظ الشعر السياسي العراقي في القرن ١٩ لابراهيم الوائلي ص ٩٣ و ص ١١٠.
٤) عن المقدرة الشاعرية عنده يلاحظ نفس المرجع ص ١٦٢ـ١٦٣ و ١٩٠، وقراءة شعره خير سبيل للوقوف على ميزات هذا الشعر.
٥) يلاحظ مقدمة عبد المطلب الحلي لديوان الدر اليتيم ص ٦ و تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤٢.

ليلة النصف من شعبان : هذه الليلة لها مكانة مقدسة عند جميع الفرق الاسلامية ، فيحيونها في العبادة ، و يعتبرونها في صيغة الاهمية تضاهي ليلة القدر .

في هذه الليلة كانت ولادة الامام المهدي (١)، و هو الامام الثاني عشر عند الشيعة الامامية ، الذي سيملأ الارض قسطا و عدلا ، بعد ما ملئت ظلما و جورا ، و هو الذي سيستعيد مجد الذين استضعفوا في الارض الذين بشر الله سبحانه و تعالى بدولتهم في قرآنه المجيد " و نريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض و نجعلهم ائمة و نجعلهم الوارثين " (٢) .

خلفيات ليلة النصف من شعبان في حياة الشاعر النفسية : شاء المقادير ان يكون يوم ولادة هذا الشاعر متفقا مع يوم ولادة صاحب الامر . و كما يتراءى من خلال مدارستنا لشعره ، خصوصا ما كان في آل الرسول ، ان هذا الاتفاق في يوم الولادة ، لعله ان يكون وراء كثرة مدحه لصاحب الامر و استنهاضه له ، حتى لا تخلو قصيدة في مدح آل الرسول او و رثائهم من عروج على ذكر هذا الامام و استنهاضه ، يؤيد هذا الذي ذهبنا اليه ، اننا لم نجد شاعرا شيعيا تعلّق بالمهدي و استنهضه لان يصدع بأمره بنفس المقدار و الحماس الذي كان من هذا الشاعر ، حتى معاصروه الذين ترعرعوا في نفس البيئة و انطلقوا من نفس الايديولوجية ، لم يتبنوا المهدوية بنفس الزخم و المد اللذين رأيناهما عند هذا الشاعر .

و لربما ان يكون اتفاق تاريخ الولادتين ، من الاسباب التي دفعت مربيه لكثرة الاعتناء به و السهر على تنشئته ، تبركا بتاريخ هذه الولادة ، و الا فكيف نفسر زواج عمه السيد مهدي من ام الشاعر ، ثم انعطافه عليه انعطافا كليا ، بحيث انكب على تعليمه و تربيته على ارقى الاساليب الادبية (٣) ، و حفل به اكثر من اولاده على صعيد التثقيف و التوجيه الادبي ، و جعله ابنا كمثلهم في

---

١) ليلة ١٥ شعبان سنة ١٢٥٥ هـ . ولد الامام المهدي يلاحظ اصول الكافي للكليني ، و الارشاد للشيخ المفيد ص ٣٤٦ .
٢) القصص / ٥ .
٣) مقدمة ديوان السيد حيدر الحلي للخاقاني ص ٨ .

الميراث (١) بل اكثر، هذا وقد حرص على ان يفسح له مجالا في علاقاته مع الوجهاء والاعيان والادباء، حتى انه كان يكل اليه تحرير رسائله، مذيلة بهذا القول ((حضر كاتب الحروف ولدنا حيدر يهديكم عاطر التحية))(٢).

فكيف نفهم اذن هذا الحرص على ان يقرن اسمه مع اسم ابن اخيه في كل رسالة الى جانب التنويه به والنم عن محبته له اذ دعاه بولده.

نشأته : اغمض ابوه عينيه عن الحياة ولما يتم طفله عامه الاول بعد (٣). ولكن هيأ الله له ابا آخر لم يكن دون ابيه الحقيقي محبة له وحرصا على تربيته. ذلك هو عمه السيد مهدي الذي احتضنه وتزوج من امه، ليظل يحيا وكأنه في كنف ابيه وامه. هذا الى جانب ما راح يغدق عليه من عطفه ويواسيه بولده بل ربما شمله برعايته اكثر من سائر ابنائه كما اسلفنا قبل قليل.

وهكذا انصرف العم الوالد بكليته الى ابن اخيه يتلمذه في الادب والشعر، مؤالامر تدريسه العلوم اللسانية المختلفة الى احد ارباب هذا العلم، حاثا ابن اخيه على التمسك بأهدابه محببا له به، ومزينا له قراءة قصائد فحول الشعراء(٤).

فراح يتمرس بناء على هذا التوجيه، بنظم الشعر، آخذا من عمه مكان زهير من اوس، وما زال به كذلك حتى احتل المكانة الاسمى في مضمار الشعر الى ان فاق من تقدمه من الشعراء المعدودين كمهيار الديلمي والشريف الرضي (٥).

لم يكتف عمه من تنشئته (٦) بتحبيب الشعر له، بل راح يرفد ذلك بتنشئة وتوجيه خاصين، يكفلان له ان يكون شاعر الامام الحسين بلا منازع.

---

١) مقدمة ديوان السيد حيدر الحلي للخاقاني ص٨.
٢) تاريخ الحلة ج ٢ ص١٤٢.
٣) ولد الشاعر سنة ١٢٤٦ هـ. وتوفي ابوه سنة ١٢٤٧ هـ.
٤ و ٥) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤٢، تأليف يوسف كركوش الحلي.
٦) ينبغي التنويه الى ما في هذا الاسلوب في تنشئة السيد حيدر من الحكمة اذ هو من انجع الاساليب التي نادى بها علماء النفس فقالوا " ان نشأة العقل في الانسان لا تحدث الا بأمرين اولهما ان يزود بكثير من المعاني الجديدة والحقائق النافعة وثانيهما ان يمرن تمرينا صالحا ونافعا " يلاحظ علم النفس وآثاره في التربية والتعليم لمصطفى امين وعلي الجارم.

فهل صحيح ان لعمه دورا في حبه الشديد للامام الحسين، ودفعه لان ينظم فيه زينة قلائد شعره، وان كان ذلك فما هو دليلنا الذي انبه في وعينا هذه الدعاوة؟؟

دور عمه في تحريضه على قول الشعر في الامام الحسين : الواقع انه كان لعمه دور بارز في حياته ككل، كما اشرنا من قبل • وقد احتل عمه في قلبه مكانة سامية تظهرها لنا هذه العاطفة الصادقة التي ملأت حنايا قصيدته في رثاء عمه بالصور الحية الناطقة التي يتسرب خلالها شعور عميق بالفجع والاسى • هذه القصيدة التي يصب فيها من اعماق اساه واغوار ثكله :

أأبا الردى انصلتي وهات وريدي ذهب الزمان بعدتي وعديدي (١)
نشبت سهام النائبات بمقتلي فلحفظ ماذا اتقي عن جيدي

من خلال قراءتنا لهذه القصيدة كاملة يستبين لنا الى اي مدى كان تأثير عمه في حياته، ونستشف شأو المكانة التي احتلها من نفسه ، فنراه وهو المسلم الشيعي، يجد في رزئه بعمه فجيعة تقترب بتأثيرها عليه من مستوى الفجيعة بالامام الحسين • وان دلت هذه الظاهرة على شيء فانما تدل على مدى تغلغل الحزن وتسرب الالم لنفسه من جراء تلك الفاجعة الفادحة • لنستمع اليه وقد رأى المصيبتين متداخلتين خصوصا على صعيد قبيلة بني هاشم تلك التي :

لم تثن ثكل عميدها لمحرّم الا واردفها بثكل عميد
يبكي عليه الدين بالعين التي بكت الحسين اباه خير شهيد
ان يختلط رزآهما فكلاهما قصما قرا الايمان والتوحيد (٢)

ولعل في تداعي هذه المعاني في نفس الشاعر الى جانب شدة حبه له وكبير وجده لفقده ، كون عمه توفي في شهر محرم الشهر الذي قتل فيه الامام الحسين، ولعل في حرص عمه في ان ينصرف لقول الشعر في الحسين دورا في تداعي هذه المعاني •

١) يلاحظ ديوان السيد حيدر الحلي للخاقاني ص ٨٧/٨٩ من الجزء الثاني •
٢) نفسه نفس الصفحة •

ونحن من خلال قراءتنا لهذه القصيدة كاملة يستبين لنا الى أي مدى كان تأثير السيد مهدي في حياة ابن اخيه على مختلف الاصعدة، وخصوصا في مجال حرصه على تبنيه لقول الشعر في الامام الحسين عليه السلام.

لقد كان هذا العم البار يريد ان يسلك ابن اخيه في مسار نصرة الامام الحسين خلال شعره. فهو لم يكن يهدف ـ عبر تنشئة ابن اخيه الادبية ـ لان يكون علما في صياغة الشعر وحسب، بل ان هدفه ان يكون ابن اخيه احدى قمم الشعر العربي، ولكن في منطلق ايديولوجي معين، هو الاسهام الكبير في قضية الامام الحسين، وقول الشعر في هذه الملحمة البطولية الفذة. فلم تكن نفس العم تواقة، ولا ضميره يتطامن لغير الشعر الموهوب يفجره ملاحم رائعة توقظ في النفوس معاني التضحية التي قدمها الامام الحسين، واساليب صموده، ولعله ان يكون قاصدا من وراء ذلك ان يبعث في النفوس المستكينة لحكم الجائرين هبة في وجه الطغيان والظلم الذي كان يغمر ذلك العصر ويرين بجرانه فوق كاهل الشعب، من غير ما رحمة ولا شفقة، بل امعانا منه في الظلم كان يتعرض لاسمى مقدساته (١).. ومما يبره على ما ابهمنا اليه قول الشاعر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في احدى قصائده الاستنهاضية لصاحب الامر:

وكم نحن في لهوات الخطوب	تناديك من فمها الفاغر
اصبرا على مثل حزّ المدى	ولفحة جمر الغضا الساعر
اصبرا وهذي تيوس الضلال	قد أمنت شفرة الجازر
اصبرا وسرب العدى راتع	يروح ويغدو بلا ذاعر
أجل يومنا ليس بالاجنبي	من يوم والدك الطاهر (٢)
فبادلن ذاك الضلال القديم	ضميره عين ذا الظاهر

ومهما يكن من امر، وحتى لا نذهب شططا عما نحن بصدده، فان عمه السيد مهدي كان شديد الرغبة في ان يكون المسار الشعري لابن اخيه مسارا حسينيا. ولكن ما دليلنا على ما ذهبنا اليه من رأي.

---

١) يلاحظ فصلي العصر والبيئة من هذا الباب حيث يشار لبعض تلك المظاهر المأساوية.

٢) ديوان السيد حيدر ج ١ ص ٧٦.

الواقع ان هذا الذي انبهنا اليه لم نستقه من اقوال المؤرخين والكتاب الذين لم يفوا هذا الشاعر حقه (١) ، ولم يلتفتوا لهذه الناحية وانما نستدل عليه من خلال قراءتنا لشعره • فنحن لو توقفنا قليلا عند ختام قصيدته المأساوية في رثاء عمه لرأينا الشاعر يرشدنا الى المحرك الفاعل الذي كان وراء تبنيه لقضية الحسين ، فهو يصرح بذلك قائلا عبر توجيه الخطاب الى عمه :

وأرى القريض وان ملكت زمامه وجريت في امد اليه بعيد (٢)
لم ترض عنه غير ما قلدته في مدح جدك طاهرا في الجيد •

اذن هذه كانت هي رغبة السيد مهدي السيد داود الحقيقية ان يرى قريض ابن اخيه الذي بلغ فيه شأوا بعيدا اجادة وسبكا ، متحولا صوب الحسين وان تكون تلك القصائد من الجمال والبهجة ، بحيث تصبح عقدا ولا احلى يزين الجيد بلآلئه وحسن نظامه • فهل يا ترى استجاب شاعرنا لرغبة عمه وكان الصيغة الجميلة للامال التي عقدها عليه ؟

شاعر الحسين :

لعل اجدر شاعر بهذا اللقب هو شاعرنا • ولست اول من اطلق عليه هذا اللقب • بل ان معظم المؤرخين (٣) الذين تعرضوا له رغم مرورهم العاجل به نعتوه بهذا اللقب مباشرة او غير مباشرة ، بل لقد اعترفوا له بالزعامة المطلقة في هذه المراثي التي بلغ فيها حد الاعجاز حتى خلدها مع واقعة الطف خلودا لا يطرأ عليه التلاشي والنسيان (٤) • ولعل في قراءتنا لحسينياته قراءة متأنية واعية خير ما يوقفنا على المدى الذي عبر فيه عن رغبة عمه ، فـزان شعره بأجمل عقد توهج في جيد الادب العربي في مجال الرثاء لال البيت الاطهار والامام الحسين منهم بخاصة حتى لم ينس ذكره في بقية الاغراض الشعرية (٥) •

---

١) يلاحظ تاريخ الحلة ص ١٤٢ •
٢) ديوان السيد حيدر الحلي ج ٢ ص ٨٩ •
٣) يلاحظ على سبيل المثال تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤٣ ، وشعراء الحلة للخاقاني ص ٣٣٣ وما بعدها • واعيان الشيعة للسيد محسن الامين ج ٢٩ ص ١٤ وطبقات اعلام الشيعة ج ١ ص ٦٨٦ •
٤) طبقات اعلام الشيعة القسم الثاني من الجزء الاول ص ٦٨٦ تأليف العلامة اغابزرك الطهراني
٥) يلاحظ ديوان السيد حيدر ج ١ ص ١٣٤ وعلى سبيل المثال مما يدل على تغلغل هذا الامام العظيم في لا شعورية الشاعر تعريجه على ذكره في القصيدة التي هنأ فيها =

.. وليس هذا كل ما اثر في حياته ورفد جداول افكاره بروافد غنية، وانما ثمة مظاهر اخرى لهذا الرفد الجزيل نذكر منها :

١ـ اثر وفاة ابيه وعمه محمد بالطاعون اذ توفيا في ليلة واحدة، مما جعله يناشد بدافع من ايديولوجيته صاحب الامر مستغيثا به لدى الاله، لكي يعجل بانقاذهم وباطفاء نار الوباء التي شبت ملتهبة، تلتهم الناس بسعر جنوني، لنستمع اليه مستغيثا بالامام المهدي :

يا ابن الامام العسكري ومن	رب السماء لدينه انتجبه (١)
افهكذا تغضي وانت ترى	نار الوباء تشب ملتهبة
لا تنطفي الا بغاديـة	من لطفكم تنهل منسكبة

شعوره بالزعامة الادبية :

لقد كان يحس انه هو زعيم ادباء العراق، ولقد صرح بذلك في احدى مراسلاته مع بعض الادباء، عبر قوله له : " فلقد علم هذا العصر، اني لسانه الذى انتهت اليه مقالة الشعر (٢)٠

وانا الذى لم يسخ بي احد	الا غدا ونديمه الندم
فاذا اهتززت لمدح ذي كرم	فانا لسان والزمان فم (٣)

هذا الشعور بالزعامة كان يدفعه بأن لا يخرج اشعاره على الناس، الا بعد ان يعيد النظر فيها ٠ حتى عرفت قصائده بالحوليّات٠ كما انه كان يقرأ هذه القصائد على رهط من فحول الشعراء، ويعطيهم حرية النقد والمناقشة، حتى اذا تم ذلك وافق على نسبتها اليه (٤)٠

= العلامة السيد مهدي القزويني بقدوم ولده من الحج حيث يخلص للمفاخرة ببني هاشم قائلا لمن يحاول ان يساميهم ويروم شأوهم:

او ما في الحسين ما قد نهاكم	ان تنيلوا وراءه التقريبا
سادة للعلى يرشحها المجد	وليدا وناشئا وربيبـا

١) الديوان ج ١ ص ٣١٠

٢) و٣) ديوان السيد حيدر ج ٢ ص ٢٣٣٠

٤) شعراء الحلة لعلي الخاقاني ج ٢ ص ٣٤٠٠

ميله الى الرثـــاء:

لعل هذا الميل الشديد للرثاء عنده ، كان نتيجة يتمه المبكر • لقد توفي ابوه وهو صغير، وكذلك توفي عمه في نفس الليلـــــة • كما انه رزئ بأبنه صغيرا ، هذا الى جانب تكوينه النفسي ، وحرص عمه الذي تولى تربيته على تنشئته على اجادة رثــاء الامام الحسين • وينبغي ان لا ننسى دور هذا الحفلات الأدبية التي كانت تقام لاعيـــــان البلاد وعلمائها وأدبائها ، والتي كانت اشبه بسوق عكاظ ، اذ ان هذه الحفلات كانت من الدوافع التي غذّت عنده هذا الميل الشديد للرثاء ، حتى اصبح امير هذا الفن بــلا منازع ، بما ادخل عليه من ابتكارات وبراعة اسلوب • (١)

دور اسرته في شاعريته :

لقد كان هذا الشاعر سليل اسرة عريقة من كبار الشعراء والادباء (٢) ، وهــذا كان له دور كبير في تكوين شاعريته وراثة واكتسابا • اذ كان لهذه الاسرة منتدى ادبي (٣) يختلف اليه الشعراء والادباء • ومن البديهي ان ينشأ على حب الادب وقول الشـــعر وان يبرع في هذا المجال بمن هيئت له هذه الحياة الفنية ، خصوصا اذا كان قد منح موهبة غنية •

وهكذا بعد ان عايشنا حياة هذا الشاعر ، ووقفنا على الروافد التي اتهرمنهـا مياه شاعريته ، لا جرم ان نسائل انفسنا عن عصر هذا الشاعر ، وعن تأثره ببيئته وتأثيـره فيها ، ومدى انسحاب ذلك على شعره الايديولوجي ••• فماذا عن ذلك العصر •

---

١) طبقات اعلام الشيعة لاغابزرك ج ٢ ص ٦٨٧ •
٢) شعراء الحلة للخاقاني ج ٢ ص ٣٣١ •
٣) نفسه ص ١٦٢ • ومن الجدير بالذكر ان جدّ الشاعر واباه واعمامه واخوته واولاد اخوته معظمهم كانوا من الشعراء والادباء والمجيدين ، يلاحظ طبقات اعلام الشيعـة الجزء الثاني ص ٦٨٥ ـ ٦٨٦ ، وتاريخ الحلة ليوسف كركوش ج ٢ ص ١٤٢ •

الفصـــل الثانـــي

عصـــره

عصـــره : ١٢٤٦ هـ ـ ١٣٠٤ هـ •
١٨٣١ م ـ ١٨٨٧م •

مولـــــده :

ولد حيدر الحلي سنة ١٢٤٦ هـ • /١٨٣١م على اصح الروايات(١) • و توفي ١٣٠٤ هـ • الموافق ١٨٨٧ م • و هكذا فان عصر شاعرنا يكون في القرن الثالث عشـــر الهجرى و في القرن التاسع عشر الميلادى •

•• من الطبيعي ان يتأثر الانسان بمحيطه مكانا و زمانا ، او بيئة و عصرا (٢) و ان يؤثر فيهما ، اذ هنالك علاقة جدلية بين المرء و وسطه ، بخاصة اذا كان شاعرا • اذ الشعر شديد الالتصاق بطبيعة الانسان الحسية و حياته الوجدانية ، فهو فكر ورسم وموسيقى وعاطفة تنبض وتحيى ، تتأثر وتؤثر ، و شاعرنا موضوع الدراسة انطلاقا من هذا المفهوم ، هل تأثر بعصره و عايش احداثه و اثّر فيها ، بدافع من ايديولوجيته التي كان يسير على هداها • هذا ما سنحاول ان نتعرف اليه عبر دراستنا للنواحي السياسية و الاجتماعية و الفكرية ، و عبر محاولتنا الوقوف على مدى تأثره و تأثيره في بيئته •

---

١) اتفق مؤرخو السيد حيدر الحلي على تاريخ ولادته باستثناء بروكلمان الذى ذكـــر انه ولد سنة ١٢٦٤ هـ • ولعله اخطأ بنقل رقم قبل رقم فبدلا من ٤٦ نقل ٦٤ •
كذلك فان هذا المؤرخ خلط بين مؤلفـــات Inversion des chiffres حيدر الحلي و مؤلفات كاتب اخر اذ نسب للحلي كتاب (عمدة الزائر و عدة المســـافر) لان هذا الكتاب هو للسيد حيدر الكاظمي الحسيني ١٢٠٥ ـ ١٢٣٠ و هو مطبـــــوع و متداول •

٢) يلاحظ حول هذا الموضوع : علم النفس التربوى لاحمد زكي صالح ص ٣٣ و مقدمة في علم النفس التربوى لعبد السلام غفار ص ٢ ، و فن المتنبي الحاني و عرفانه للدكتور اســـعد علي ص ٧٢ •

الحالـة السياسية

في زمن شاعرنا كانت العراق خاضعة للحكم العثماني ، شأن سائر البلاد العربية • ولادة الشاعر كانت في آخر عهد (الكولات) المماليك العثمانيين • امتد حكمهم من سنـة ١١٦٢ حتى ١٢٤٧ هـ • وهؤلاء قوم من الرقيق أشتراهم الوالي العثماني حسن باشا (١) • واتخذهم بطانة خاصة وحرسا يعتمد عليهم في ايام الشدة • فاعتنى بتدريبهم وتثقيفهـم. نبغ كثير منهم في فنون الحرب • وما هو الا ان سمت نفوسهم الى الولاية على العراق وطمعوا في حكمها (٢) • في عهد هؤلاء كانت الحالة سيئة فايقني الاساءة لكثرة ما كانوا يقومون به من تعديات، ولما كانـوا يرتكبون من جرائم فظيعة تقشعر لها الابدان • فالا من مفقـود الثورات الاهلية غير منقطعة، كل ذلك بسبب سوء تدبير (الكولات) (٣) •

اما مدينة الحلة فلم تكن خيرا من غيرها من مدن العراق على صعيد سوء المعاملـة وتدهور الاحوال • فالثورات الاهلية على قدم وساق، تارة على الحكومة، وتارة على العشـائر الى غير ذلك من صد الغارات الوهابية عن مدينتهم • اذ غزوها بعد اغارتهم على كربلاء ويأسهم من الاستيلاء على النجف (٤) •

داود باشا كان آخر وال على العراق من هؤلاء المماليك • عزل عندما قام بمحاولة الاستقلال عن الدولة العثمانية بحكم العراق ١٢٤٧ هـ • ما يهمنا هنا ان شاعرنا ولد فـي عهد هذا الوالي • ولقد كان نائبه في الحلة سليمان آغا ، هذا الذى كان كثير الهواجـس والاوهام • لم يسس الامور بالروية والتعقل • وانما عالجها بالعاطفة الجامحة والتدبيـر التعسفي (٥) • حتى اقدم من غير ما وازع على اخراج احد اكابر العلماء الشيعة (٦) من الحلة • لانه اعتبر ان وجوده خطر على امن الحلة وسلامتها •

---

١) اسندت اليه ولاية العراق في اوائل القرن الثاني عشر الهجرى من قبل العثمانيين وقـد تعهد باخماد الثورات في سنجق الحلة •

٢) يلاحظ تاريخ الحلة ج ١ ص ١٢٠ • ٢ نفسه ص ١٢٣ •

٣) نفسه ص ١٢٤ •

٤) نفسه نفس الصفحة •

٥) نفسه ص ١٣٥ •

٦) هذا العلامة هو الشيخ موسى نجل الشيخ جعفر الجناجي المعروف بكاشف الغطـاء وهذان العالمان هما من اكابر علماء الشيعة • يلاحظ نفسه ص ١٣٥ •

فاستاء اهل الحلة من هذه السياسة الهوجاء(١)، التي لم ترع للمواطنين حرمة. ولقد كانت لهذا العالم مكانة كبيرة في نفوس الحليين، يتبين لنا ذلك اذا قرأنا القصيدة التي بعث بها له احد اقطاب مدينة الحلة واحد كبار ادبائها السيد حسين السيد سليمان(٢). يصف الشاعر في هذه القصيدة مرير حزنه، وشدة وجده لفراق هذا العالم، حتى لنراه يتمنى من اعماق قلبه ان تعود شمس اجتماعهما الى الشروق، لانه رأى في غياب صديقه غروب تلك الشمس المضيئة. ومن خلال هذا التشبيه يطالعنا مدى احساس الشاعر بغربة صديقه ونستشف بعد اثره وسمو مكانته حتى قال فيه :

لا تسل بعد ما جرى عن فؤادي	فهو خلف الظاعن المسوق مشوق(٣)
وعجيب بقاء انسان عيني	وهو في لجة الدموع غريق
ليت شعري اما لشمس اجتماعي	بكم بعد ذا الغروب شروق

وهذا الاثر لم يكن وقفا على اهل الحلة، بل امتد الى الشعراء والادباء الذين كان ينتجعون تلك المدينة، امثال الشيخ صالح التميمي(٤)، الذي صور رحيل الشيخ موسى برحيل النبي موسى عن اهله، واصبح يخشى على مدينة الحلة ما خشي على مدينة موسى بعد غيابه من كيد السامري وعجله(٥). ونتيجة امعان سليمان اغا بسياسته الظالمة نقم عليه اهل الحلة وعبروا عن استيائهم بانضمامهم عام ١٢٤٠ هـ الى محمد آغا الذي اعلن الثورة على داوود باشا حاكم العراق، فاحتل الحلة وادّعى ولاية العراق(٦). ولكن داود باشا عاد فانتصر على محمد آغا وانتزع منه مدينة الحلة واوجد فيها حامية من آل العقيليين(٧). وهؤلاء بدو سذّج امعنوا في ظلم الاهالي، ولم يحترموا شعائرهم المذهبية، بما اشاعوا من دعوات مسمومة. عند ذلك عاد الحلّيون فرفعوا راية الثورة على الحكومة، وحاصروا الحاميةو شددوا عليها الخناق، حتى اقتحموا عليها المكان الذي كانت تنزل فيه، فأحرقوا بابه ودخلوه وقتلوا الحامية عن آخرها(٨).

---

١) تاريخ الحلة ج ١ ص ١٣٥ ليوسف كركوش الحلي.
٢) هذا الشاعر هو احد اجداد السيد حيدر الحلي.
٣) نفسه الصفحة ١٣٥ ج ١.
٤) نفسه نفس الصفحة.
٥) السامري اضل قومه بعد غياب النبي موسى عنهم (يلاحظ القرآن الكريم سورة طه الايات ٨٥ـ٨٦ـ٨٧).
٦) تاريخ الحلة ج ١ ص ١٣٦ ليوسف كركوش الحلي ٧) نفسه نفس الصفحة.
٨) نفسه صفحة ١٣٧.

ولكن داوود باشا عاد فجهز حملة كبيرة استطاع ان ينتصر فيها على اهل الحلة الذين ابدوا من ضروب الاستبسال والشجاعة الفائقة في الدفاع عن مدينتهم • ثم احتلها المهاجمون ودخلها عسكر داود باشا وفعل الافاعيل من حرق وهدم ونهب(١)•

هذه هي حالة الحلة مع ولاتها من سوء تدبير وظلم وتعسف(٢)• ولم يكفها ذلك بل انها كانت تتعرض لغزو الوهابيين الذين كانوا لا يتورعون عن النهب والسلب وسفك الدماء، هذا المصير المؤلم لم يكن وقفا على الحلة دون سواها، بل كانت المدن العراقية خصوصا المدن المقدسة تتعرض لهذه الانواع والاساليب من الظلم• الى جانب ما كان يزرع الولاة العثمانيون من تفرقة بين الطوائف، والى ما كان من تسافل اخلاقهم وممارسة صنوف التعذيب والتنكيل وفرض الضرائب الباهظة (٣) على الشعب•

•• وهكذا فان هذه الاضطرابات السياسية العنيفة، وهذا الاسلوب المتعنت في ممارسة الحكم العثماني، والنزاع المذهبي الذى كان يذكيه الولاة العثمانيون، والذى كان من اهداف الغزاة الوهابيين، كل ذلك قد ترك عميق الاثر في نفوس اهل الحلة، ولا غرابة بعد ان يتعمق هذا الاثر في نفس شاعرنا الذى كان في تلك الاثناء جنينا تأتلف أمشاجه • بل ان طفلا يولد في خضم هذه الاحداث، لا جرم ان يرث فيما يرث من ابويه تبعا لما تقرره العلوم البيولوجية عن وراثة الجنين والطفل (٤)• لا جرم ان يرث النقمة على قسوة الحاكمين وتعصبهم، والتشوف الى دولة قادرة تبسط ظلها على دنياهم وتملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا • هذا الاثر يتجلى بوضوح في قصائد شاعرنا في الامام الحسين، وفي استنهاضه المستمر للامام المهدي المنتظر الذى سيكون على رأس دولة العدل التي يتشوق اليها السيد حيدر الحلي ويترقبها فيمن يترقبون •

---

١) تاريخ الحلة ج ١ ص ١٣٧ ليوسف كركوش الحلي •
٢) نفسه في ص ١٢٩ ـ ١٣٩ وفي اماكن كثيرة متفرقة من الكتاب•
٣) يلاحظ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ـ تأليف ابراهيم الوائلي ص ٣٢ ـ ٤٨

٤) من الجدير بالذكر هنا ان نشير الى ان القرآن الكريم اشار قبل ان تأتي العلوم الحديثة الى هذه الناحية كما مثلا في الاية ٥٨ سورة الاعراف•

و هكذا فان الحالة السياسية إبّان طفولة شاعرنا و حتى يفوعته و شبابه لم تكن بأحسن مما كانت عليه إبّان ولادته .. فبعد انقراض حكومة الكولات سنة ١٢٤٧ هـ. في العراق. تولى الحكم عدة ولاة كانوا يعرفون بالوزراء(١). هؤلاء كانوا شبه مستقلين بحكم العراق عن الدولة العثمانية، لم تهدأ الثورات في عهدهم و كان الامن مفقودا. و قد لاقى الأهلون من جراء ذلك صنوف الويلات و المحن. هذه كانت هي الحالة السياسية فكيف كانت الحالة الاجتماعية.

الحالة الاجتماعية :

اما و ان الحالة السياسية كانت كما اسلفنا فهل يمكن ان تكون الحالة الاجتماعية الا في غاية البؤس و التدهور. فالأمن مفقود و العدل موءود و الحياة الاقتصادية في تدهور مستمر، ليس ثمة من يعتني بها عبر تشجيع الزراعة و الصناعة و التجارة. و انما كان همّ الولاة ان يمتصوا دم الشعب و يرهقوا كاهله بالضرائب(٢). مما شجع قيام الثورات و انتشار السلب و النهب في كل مكان. هذا الى جانب ما كان يحل من اوبئة فاتكة(٣)، و الى ما كان يتشعب في نفوس المواطنين من حزازات و نقمة. فالولاة منغمسون في لذاتهم لا يعنيهم ان ينعموا و الناس من حولهم بالأمن. بل كل ما يعنيهم من امر هؤلاء الناس ان يبثوا بينهم اسباب التفرقة امعانا في امتصاص دمائهم(٤). فكانوا يسعون الى اساءتهم سعيا فنراهم يولون على مدينة الحلة واليا اموي النسب(٥) و آخر كرديا وكلاهما ظالم غشوم. لم يكن هم الولاة سوى جمع المال و ادخاره بأبشع اساليب الوحشية و القسوة، و كان موظفو الباب العالي العثماني ينتشرون في كل بلد كأنهم السرطان الذى يفتك بجسم تلك البلدان (٦).

---

١) تاريخ الحلة ج ١ ص ١٣٩ و ما بعدها ليوسف كركوش الحلي.
٢) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي ص ٤٠ و ما بعدها.
٣) نفسه ص ٤٢ و ما بعدها.
٤) نفسه ص ٤٥.
٥) تاريخ الحلة ج ١ ص ١٤٠.
٦) نفسه ص ١٤٨ و يعزو المؤلف هذا القول للسائحة الفرنسية " ديولافوا " التي زارت الحلة وكتبت عنها في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨١.

وفي هذا المجال ينبغي ان لا ننسى الوحشية المتناهية التي كان يعامل بها السكان من قبل الولاة ، ونذكر على سبيل المثال المقتلة العظيمة التي تعرضت لها مدينة كربلاء ، فقد قتل من سكانها اكثر من عشرين الفا في وقعة واحدة ولم ينج حتى الذين التجأوا للحضارات المقدسة (١) ، وكان طبيعيا كنتيجة لهذه الاساليب ان يعم الفقر وينتشر قطاع الطرق في كل مكان .

مجتمع مدينة الحلة الداخلي :

رغم كل هذه الاسباب ، كان سكان الحلة في مختلف العهود متضامنين فيما بينهم (٢) تسود هم روح مجتمعية قائمة على الاخلاص والوفاء ، فقد انشأوا الدواوين والاندية في مختلف ارجاء المدينة التي كان يؤمها اهل الحلة في اوقات فراغهم يسمرون فيها ، ويعملون على فض الخصومات التي كانت تنشأ فيما بينهم بشكل يرضي المتخاصمين ويعيد اليهم الصفاء ، وفي هذه الاندية كانوا يعمدون الى المفاوضات بينهم لدفع ما يلحقهم من ضيم وعسف من حكامهم ، فاذا استعصى عليهم ذلك بالطرق السلمية لجأوا الى العنف ، من ذلك ان يتسور احدهم دار الحاكم ليلا ويضع بجانب فراشه آلة حادة انذارا له ، فان لم يرتدع عمدوا الى قتله (٣) في فراشه في نوبة ثانية ، واذا امعن الحكام في عسفهم كانت الثورة الجامحة وطرد الحامية من بلدهم ، ثم يشكلون من بينهم طبقة مختارة تشرف على رعاية مصالح بلدهم (٤) .

ومع كل هذا لم تعدم العراق خلال هذه المدة من ان يكون بين حكامها وال يتحلى بشيء من النصف امثال مدحت باشا ، فمنذ حلوله بأرض الرافدين بدأت روح النهضة تدب ، وقد سعى هذا الوالي لنشر العلوم والمعارف ، فأنشأ بعض المدارس وحسّن الاوضاع الاقتصادية (٥) ، ولكن مدة ولايته لم تدم طويلا لانه كان دستوريا وكان السلطان يخشى من ان يبث روح اليقظة في العراق ، وهذا ما ينافي سياسة العثمانيين التي رسموها لحكم الشعب (٦) ، والان ما هو دور شاعرنا في هذه الاحداث ، وهل كان يرصدها ويترجمها ؟؟

---

١) تاريخ الحلة ج ١ ص ١٤١ ليوسف كركوش الحلي .
٢) نفسه ص ١٢٤ .
٣) نفسه ص ١٢٥ .
٤) نفسه نفس الصفحة .
٥) نفسه الصفحة ١٤٤ .
٦) نفسه ص ١٤٥ ويلاحظ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ٣٦ وما بعدها لابراهيم الوائلي .

دور السيد حيدر:

الواقع ان هذا الشاعر لم يكن بمنأى عن هذه الاحداث، بل عايشها و حاول ان يعبر عنها عبر اشعاره • ولا ادل على ذلك من هذه الثورية التي تنتظم معظم شعره والتي كان يدعو فيها الشعب لان يثور وينتقم من الطغاة الجائرين، بأسلوب مباشر او غير مباشر• وحتى حالة الفقر والبؤس التي كان يعاني منها الشعب لم يتركها تمر دون ان يسجلها في شعره وذلك عبر تصويره حالته المبتئسة في قوله :

وما احد الا ويقبّر ميتـا	وها انذا حي قبرت بمنزلي (١)
على ان هذا الدهر طبق سيفه	الجوارح مني مفصلا بعد مفصل
وحمّلني اعباءه فكأنني	على كاهلي، منها ناءٌ بأجبل

فهذه الابيات تترجم لنا معاناة الشاعر واكتواءه بنار التجربة ومعايشته للاحداث وتحمله منها حتى ناء كاهله بما يحمل من جبال عذابها •

وكذلك حتى الوباء(٢) الذى انتشر في العراق سنة ١٢٩٨ هـ• لم يكن شاعرنا بمعزل عنه، بل سجله خلال قصيدة يمتدح بها المهدى المنتظر ويتوسل به الى الله تعالى قائلا:

يا ابن الامام العسكرى ومن	رب السماء لديه انتجبه (٣)
افهكذا تغضي، وانت ترى	نار الوباء تشب ملتهبة

ولكن هذا الوباء الذى عناه ما اظنه انه الطاعون الذى انتشر في العراق وحده• بل لعله عنى فيما عنى مستغلا الفرصة وباء ظلم الحكام وتعسفهم• لذلك استصرخ الامام المهدى ليوحد الشعب ويخلصه من سوم الخسف • ويعضد هذا الرأى ما نلاحظه عبر متابعة قراءتنا لهذه الابيات، اذ يستغيث به ليدركهم من دون ان يسمي هذا الشيء الذى يريد ان يدركهم منه • ولعله رمز لما يعانون من ظلم واستبداد ، ولنستمع اليه مستغيثا :

---

١) يلاحظ ديوان السيد حيدر الحلي ج ١ ص٤٧، تحقيق الخاقاني •
٢) يلاحظ نفسه هامش ص ٣١
٣) نفسه ص ٣١ • والامام العسكرى هو الامام الحادى عشر عند الشيعة الامامية واسمه الحسن بن علي الهادى وكنيته العسكري وهو والد المهدي المنتظر•

أ الغوث أدركنا ، فلا احـــد ابدا سواك يغيث من ندبـــه (١)
غضب الاله و انت رحمتـــه يا رحمة الله اسبقي غضبـــه

و اما حول ما كان يتعرض له السكان من جور و بطش و تحكم بمصائرهم . و ما كانوا يلاقون من ويلات بسبب الديانة و المذاهب . فنرى شاعرنا يستنهض القائم المؤمّل و العـــدل المنتظر لينقذهم من هذا المهوى السحيق الذي تدهده اليه الدين فنراه يصطرخ و قـــد نفذ الصبر :

اقائم بيت الهدى الطاهر كم الصبر فتّ حشا الصابـــر (٢) .
و كم يتظلم دين الالـــه اليك ـــ من النفر الجائر
يمدّ يدا يشتكي ضعفهـــا لطبّك من نبضها الفاتـــر

و في نفس القصيدة نراه يذهب الى ابعد من ذلك في تصوير الحالة الاجتماعيـــة البائسة التي كان يعاني منها الناس و ما كانوا يتعرضون له من كوارث و مساس بالشعائـــر الدينية لنطبعه و هو يصور ذلك :

وكم نحن في لهوات الخطـــوب تناديك من فمها الفاغـــر (٣)
و لم تك منا عيون الرجـــاء بغيرك معقودة الناظـــر
أصبراً على مثل حزّ المـــدى و لفحة جمر الغضا الساعر
أصبراً و هذي تيوس الضـــلال قد أمنت شفرة الجـــازر
أصبراً و سرب العدى راتـــع يروح و يغدو بلا ذاعـــر

و لم يكتف الشاعر بأن يصور هذه الحالة الاليمة بل نراه يسهم في تصوير جانـــب آخر من الحالة الاجتماعية . و ذلك حين عمد الى مدح احمد مدحت باشا الوالي العثمانـــي الذي شجع العلوم و المعارف (٤) . و دعم الاقتصاد مما حدا بالشعراء لان يمدحوه لهـــذه المزايا . و من بينهم شاعرنا فقد بعث اليه بمقالة نثرية ضمّنها الكثير من الشعر في مدح هـــذا الوالي :

---

١) نفسه نفس الصفحة .
٢) ديوان السيد حيدر الحلي ج ١ ص ٣٧ ، و القصيدة طويلة تصور الحياة الاجتماعية و الدينية و المشاعر التي كانت تعتمل في نفوس المواطنين آنذاك .
٣) نفسه ص ٧٦ .
٤) تاريخ الحلة ص ١٤٤ ج ١ ليوسف كركوش الحلي .

لي قواف في جنبها البحر رشحه سلسلتها روية لي سمحة (١)
مدح الدهر حسنها غير انسي لست ارضى بها لا حمد مدحه

عوامل الاحداث الاجتماعية :

لقد كانت الاحداث الاجتماعية بادية الاثر في شعره • فلقد تركت اغارة الوهابيين (٢) على مدن العراق و عدم احترامهم للاماكن المقدسة فيها ، الى جانب ما كان يتعرض له زوار الامام الحسين من النهب و السلب، لقد ترك كل ذلك عميق الاثر في نفس الشاعر و شعره. هذا بالاضافة الى اسلوب الحكم العثماني للعراق، على اساس تعصب طائفي و استعلاء عنصرى، محاولين تفتيت وحدة الشعب و ضربه بعضه ببعض ليتسنى لهم السيطرة على البلاد (٣)•

..لقد تركت هذه الاحداث بصماتها ظاهرة في شعر الحلي ، يترجم لنا صدق ذلك هذا الشعر الكثير الذى ناح فيه الشاعر الامام الحسين ، و الاستصراخ المرير للمهدى المنتظر ليخلص الشعب، من ربقة الجاثوم الذى كان يربض فوق كاهل الشعب، حتى لقد غدت هذه الظاهرة ايديولوجية للشاعر يسير على هداها و يتخذها سمطا و منهجا •

و من عوامل الاحداث الاجتماعية التي تركت بيّن الاثر في شعره ، الثورات التي كانت تقوم بين العشائر فيما بينها من جهة و ما بينها و بين الحكومة من جهة ثانية •

تأثره بالثورات:

لقد كانت الثورات دائمة و ذات طابعين : ١ـ بين العشائر المختلفة مرة، و مرات في وجه الولاة الاتراك و الحكومة التي لم تكن تقيم للشعب وزنا الا من خلال انه مطية لتحصيل الضرائب، هذا الى جانب الحروب التي كانت تقوم ما بين الايرانيين و الاتراك •

---

١) الديوان ج ٢ ص ٢٠١ و تاريخ الحلة ج ١ ص ١٤٤•
٢) تاريخ الحلة في اماكن متفرقة من الكتاب•
٣) نفسه في اماكن متفرقة من الجزء الاول • و ص ١٣٤ من الجزء الثاني •

ان هذه الاحداث تركت صداها في شعر الحلي ، و مسحته بمسحة حزينة ، ولفعته بغلالة ملحمية ، خصوصا قصائده الحماسية ، واشعاره في آل الرسول مدحا ورثاء •• ونحن حين نقرأ قصائده خصوصا ما كان منها في اهل البيت والامام الحسين ، نرى فيها دعوة صريحة لمحاربة الامويين ، ولكن هذه الدعوة لا يمكن ان تؤخذ على ظاهرها فنحن نعلم ان ملك الامويين قد انقرض قبل عهد الشاعر بزمن طويل ، وسلالتهم تلاشت ، ولذلك فلا جرم ان نوجه نظرنا نحو الحكام الذين كانوا يجسدون سياسة الحكم الاموي ، ويمارسون ابشع اساليب الاضطهاد للشعب ، ومن هنا يخرج لنا انه كان يتكلم عن الامويين و عينه على الحكام الاتراك الذين كانوا يعيثون فسادا ويبثون رعبا في ارجاء العراق ، بله الوطن العربي كله •

ولعل هذه الثورات العشائرية التي كانت تدور رحاها ولا تهدأ ، قد املت على هذا الشعر نزعة قبلية ، فنحن حين نقرأ الكثير من شعره وخصوصا ما كان في آل النبي يطالعنا شدة استنهاضه للهاشميين ودعوتهم لان يشحذوا ظبى اسيافهم للثأر لامامهم ، في حين ان نصرة الامام الحق ، والسير على خطاه لا ينبغي ان تكون وقفا على اسرة بني هاشم وحدهم ، بل على كل مسلم ، بل وكل انسان يثور انتصارا للعدالة والحق •• ومن هذا الأثر بالنزعة العشائرية كثرة اهابته ببني هاشم ان ينهضوا ليستعيدوا مجدهم كمثل قوله في قصيدة مطلعها :

اهاشم لا يوم لك ابيض او ترى جيادك تزجي عارض النقع اغبرا (١)
طوالع في ليل القتام تخالها وقد سدت الافق السحاب المسخرا

او قوله من قصيدة ثانية :

اهاشم تيم جل منك ارتكابها حرام بغير المرهفات عتابها (٢) •

وهذه النزعة متغلغلة كثيرا في شعره ، بخاصة في رثاء الامام الحسين حيث يبث لواعج اشجانه ويصب سوط نقمته على سياسة الامويين التي كانت صفحة سوداء في كتاب الرحمة والعدالة والاسلامية •••

---

١) ديوان الشاعر ج ١ ص ٧٨ و تلاحظ القصيدة من ٧٨ ـ ٨٠ •
٢) نفسه ج ١ ص ٥٨ و تلاحظ القصيدة من ٥٨ ـ ٦٣ •

الحالة الادبيـــة :

لقد ركدت الروح العلمية والادبية في العراق نتيجة لسوء الحالة السياسية والاجتماعية .. بل ان العالم العربي كله في تلك الحقبة من الزمن كان في حالة ركود (١) على الصعيد العلمي والادبي ...

وفي اواخر القرن الثالث عشر الهجري بدأت بوادر نهضة ادبية تطل في الافق خصوصا في مدينة الحلة، وظلت هذه النهضة تشتد وتنمو بقية ذلك القرن واوائل القرن الرابع عشر .

نشأ في هذا الدور ادباء وشعراء من الطبقة الاولى (٢)، كان نتاجهم بمثابة المصل الذي حقنت به شرايين الادب ليستطيع ان يسترد شيئا من انفاسه اللاهثة .

في هذه المرحلة من نهاية القرن الثالث عشر الهجري، حين عرفت جذور الادب بعض الرى الذي خضلها ، كانت لا تزال الحالة الاقتصادية والاجتماعية في تدهور وانحطـــاط (٣) .

فليس حتما محتوما ان تسير الحالة الادبية بخط متواز مع الحالة الاجتماعية والسياسية، بل العكس فرغم ما نجد ثمة من تداخل، فقد يقوم تناقض في هذا المجال بعض الاحيان (٤)، اذ قد تكون الحياة الفكرية صدى لما يساور النفوس من تذمر لتأخر الحالة السياسية والاجتماعية، وكذلك فقد تدفع الايديولوجيا الشعراء والادباء الملتزميـن لان ينهضوا للتصدى لبؤس الحالة الاجتماعية وانحطاط الحالة السياسية ..

من ذلك ما كان من السياسة التي كان يتبناها الاتراك في حكم العراق، والتي كانت قائمة على نظرية " فرّق تسد " ، ليتمكنوا من تفتيت وحدة الشعب، وليتسنى لهـم السيطرة على البلاد ، هذا ولقد كان للاستعلاء العنصري ومحاولة تتريك العراق (٥) ابعد الاثر في بعث الروح القومية العربية، التي كانت مدن كربلاء والنجف والحلة (٦) منطلقـا

---

١) الاداب العربية في القرن ١٩ للاب لويس شيخو اليسوعي ج ١ ص ٢٠ .
٢) و ٣) تاريخ الحلة ليوسف كركوش الحلي ج ٢ ص ١٣٤ .
٤) ولقد عبر شاعرنا عن هذه الحالة المتناقضة عبر قوله :
وحسب نفسي وان اصبحت ذا عدم من ثروة انني مثر من الادب ويلاحظ الديوان ج ٢ ص ٦ . ٥) الشعر السياسي في العراق في القرن ١٩ ص ٦٠٩٦) نفسه ص ٧٥ .

لها و محتضنا حافظ عليها حفاظ الام على وحيدها •

كذلك فان كبار علماء الشيعة كان لهم دور مهم و فاعل في تشجيع العلماء و الادباء على محاربة التتريك ، و التصدى لهذا الاسلوب الذى كان يمارسه الحكم في العراق ••

و ينبغي ان ننوه بدور العشائر و الاثرياء الملتزمين الذين كانوا يغدقون العطاء في هذا السبيل ، مما شجع الشعراء للتعبير عن ايديولوجياتهم بفضل حماية العشائر، بخاصة عشيرة الخزاعل التي كانت تقف في وجه من يحاول التصدى لهم و تحميهم اذا نابتهم من السلطان نائبة(١) •

و في تلك الفترة و في القسم الاخير من القرن الثالث عشر الهجرى كانت مدينة الحلة مركز ثقل في الثقافة العربية(٢)، و كان محور هذا الثقل ظهور اسرتين كبيرتين اسهمتا في هذا المجال هما اسرة آل النحوى، و آل السيد سليمان(٣) •

لقد اذكت هاتان الاسرتان روح الادب بعد طول خمود ، بل لقد ازدادت هذه الحركة نموا بعد ظهور آل القزويني (٤)، و عرفت النشاط و الازدهار خصوصا عبر تلك المساجلات الادبية التي كانت تقام، و عبر اقبالهم الشديد على نهل العلوم اللغوية و الادبية و الفقهية • بل ان بعضهم اقبل على دراسة الطب و لقب بالحكيم مع براعته في الادب و اللغة و في طليعة هؤلاء السيد سليمان جد السيد حيدر الحلي •

دور حيدر الحلي :

اما شاعرنا فقد كان له دور بارز في هذا المضمار، اذ كان " اشهر شعراء الفرات في القرن التاسع عشر"(٥) ، و من ادق الشعراء تعبيرا ، و أقدرهم على تصوير الحزن و الالم(٦) حتى شهد له بالتفوق في مجال الرثاء بعامة و في رثاء آل الرسول بخاصة(٧) • و لعل خير ما يبرهن على مكانته الشعرية، و يدل على تفوقه ، ما كان من اختيار متصرف الحلة(٨) له

---

١) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٣٤ •
٢) الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي ص ٩٢ •
٣) آل السيد سليمان هم اسرة الشاعر حيدر الحلي •
٤) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٣٥ •
٥) الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر ص ١٠٩ •
٦) نفسه ص ١٦٢ • ٧) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤٢ • ٨) هو محمد رشيد بعباني يلاحظ تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٥١ •

ليقوم بتاريخ عام انشائه للسرايا الكبيرة التي شادها من حجارة بابل (١) • و من الابيات التي ارخ بها الشاعر هذا العمل قوله :

ذا محمد رشيد باشا بباني	شاد للحكم دار عز و مجد
تزدهي في مقاصر لو لكسرى	مثّلت قال "هذه فوق جهدي"
قد دعا الملك مطربا ارخوه	" شاد بدر البهاء دارة سعد "(٢)

وبعد فهذا هو عصر الحلي بأحداثه التي تركت بصماتها واضحة في شعره والتي كان الشاعر من خلالها دائم الحضور، ايديولوجيا ملتزما ، منفعلا بتلكم الاحداث، وفاعلا، ولقد كان له اكبر الاثر في الحركة الادبية، بل كان طليعتها التي عملت على الاخذ بيد الادب من كبوته ، فانتعشت بعد ما جنيء طويلا في مدارة الانحطاط، فكان بذلك شديد التأثر ببيئته ، بيّن التأثير فيها ، فماذا عن ذلك التأثر والتأثير في البيئة؟ ؟

تأثر السيد الحلي ببيئته

بيئتـــه :

ولد المترجم له في قرية بيرمانة(٣) من اعمال الحلة، ثم انتقل الى الحلة حيث عاش فيها الى ان توفي هناك ••••

ولادة الشاعر في بيرمانة لا تجعلنا نعتبره عاش في بيئتين مختلفتين كل الاختلاف• اذ ان اعمال الحلة و قراها جزء لا يتجزأ عنها ، وهذه الاعمال كانت منبت كثير من المفكرين والادباء(٤) الذين اموا مدينة الحلة نشدانا للمعرفة، و لتوثيق صلاتهم بالمجتمع وهذا لا يمنعنا من ان نفردها بدانع المنهجية •

---

١) نفسه نفس الصفحة •

٢) ديوان السيد حيدر الحلي ج ٢ ص ١٦٢ •

٣) عمر رضا كحالة معجم المؤلفين مجلد ٣ــ٤ ج ٤ ص ٩٠ •

٤) تاريخ الحلة ج ١ ص ٥ ليوسف كركوش الحلي •

بيرمانـــة:

قرية في جنوبي الحلة على ضفة الفرات اليسرى، و لفظ بيرمانة نبطي (١)، ونحن لا نعرف شيئا عن المدة التي قضاها في بيرمانة • وقد انفرد بذكرها عمر كحالة في معجم المؤلفين • اما بقية المؤرخين فقد جعلوا مكان ولادته مدينة الحلة، اما لشهرته بالحلي، او لانه انتقل و هو طفل صغير الى مدينة الحلة ••

مدينة الحلـــــة:

علم لعدة اماكن ولكن التي تهمنا هي حلة بني مزيد، وكانت تسمى بالجامعين • انشأ هذه المدينة الامير سيف الدولة صدقة(٣)، في موقع جميل غربي الفرات(٤)• تقـــوم هذه المدينة ضمن اسوار بابل القديمة(٥)، و في داخلها جامع ذو منارة واحدة، و يوجـــد خارجها عدة جوامع اشهرها المسمى بمشهد الشمس(٦) • كما ان في هذه المدينة مقامـــا للنبي الياس وآخر للنبي ايوب في جنوبيها (٧)•

و الحلة هي من مشاهير مدن العراق، تقع بين النجف الاشرف و الحائر المقدس على طرفي شطّ الفرات• و لها مكانة مرموقة(٨)•

هذه هي مدينة الحلة الجميلة جدا بموقعها، و لا ادلّ على جمالها من ان يسميها الشعراء بالفيحاء(٩)• و هي غنية ببساتين النخيل الكثيفة و اشجار الموز الجميلـة (١٠)• لقد اخذت هذه المدينة مكان مدينة بابل، و منذ بداية القرن العاشر، منذ انشاء هذه المدينة، عادت شمس البابليين لتشرق على سواحل شط الفرات مرة اخرى(١١)•

---

١) نفسه ص ٣•
٢) يلاحظ : معجم البلدان لياقوت الحموى المجلد الثاني و تاريخ الحلة ج ١ ص ١ من المدخل •
٣) نفسه نفس الصفحة •
٤) نفسه ص ١٢٦ و يعزو المؤلف هذا الوصف للرحالة الالماني نيبور •
٥) نفسه ص ١٢٧ • ٦) نفسه ص ١٢٦ • في هذا المقام ردت الشمس للامام علي ليؤدى صلاة العصر • ٧) نفسه ص ١٢٧ • ٨) يلاحظ كتاب احسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدى الشيعة تأليف السيد محمد مهدى الموسوى ج ٢ المط• الحيدرية ١٩٦٨ ص ٢٩٠ • و ينبغي ان نذكر هنا الحديث المروى عن ابي حمزة الثمالي عن الاصبغ بن نباتة حول مكانة هذه المدينة، فقد روى الاصبغ ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب وهو في طريقه الى صفين تحدث عن هذه المدينة قبل ان تبنى إذ قال ستكون مدينة يقال لها الحلة يمدّنها رجل من بني اسد يظهر بها قوم اخيار لو اقسم احدهم على الله لأبرّ قسمه ٩• يلاحظ تاريخ الحلة ج ١ حيث اطلق علــى =

فلا غرابة ان نرى بعد كل هذا رعيلا كبيرا من الشعراء والادباء، والمفكرين يترعرعون في هذه المدينة(١)٠

حتى رأينا لكثرة ما انجبت هذه المدينة منهم، ولكبير اسهامهم في نهضة الشعر، من يعمد الى ان يضع مؤلفا باسم شعراء الحلة(٢)٠

..لقد عرفت هذه المدينة نهضة ادبية منذ مصّرها الامير سيف الدولة صدقة المزيدي سنة ٤٩٥ هـ، وبلغت ذروة عظمتها في القرن السابع الهجري، اذ غدت مثابة لطلاب العلم والمعارف والاداب، لوجود جهابذة ابدال فيها من الذين ما برحت مصنفاتهم متداولة بين ايدي ارباب العلم والادب رغم ما تلف منها واحرق(٣)٠والى جانب جودة المناخ وروعة الموقع الجذاب الذي يلهم الشعراء(٤) والادباء ويترع نفوسهم بعواطف الحبور والوداعة، ويرفد خيالهم بصور الاندفاق على الوجود ،الى جانب ذلك ساعد على النهضة الادبية غرام الامراء المزيديين بالعلوم والاداب ،وتشجيعهم لرجال الفكر على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم٠ فقد كان هؤلاء الامراء يعملون على انتشال الادباء من هوة الفاقة ووهدة البؤس، ثم انهم اسسوا مكتبة كبيرة تحتوي الالاف من المجلدات والمراجع القيمة، فكانت نسغا ثقافيا يجري الدموية وينشّط الخلايا في جسم الادب والشعر٠

وقد احتل الامير سيف الدولة صدقة منزلة ادبية واجتماعية مرموقة، لا أدل عليها من اهداء ابن الهبارية له كتاب" الصادح والباغم"٠ وعبر هذا الاهداء نقف على ما المحنا اليه من سمو منزلة الامير(٥) ،اذ يقول المهدي:

= الحلة اسم الفيحاء كل من الشعراء: محمد بن اسماعيل صاحب الهند في ص(١٢٠)وصالح التميمي ص١٢٤، وحيدر الحلي ص١٥٢٠

١٠) تاريخ الحلة ج ١ ص ١٣٤، حيث يصف المنشئ البغدادي هذه المدينة، وقد كان موظفا في المقيمية البريطانية وهو من اصل ايراني قام بجولة في ربوع العراق، سجلها في كتاب وذلك في عهد داود باشا ١٢٣٢ـ١٢٤٧هـ٠

١١) نفسه ص١٤٨ و ١٤٩٠

١) الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر ابراهيم الوائلي ص٩٣٠

٢) اسم كتاب لعلي الخاقاني٠

٣) تاريخ الحلة ج ٢ ص ٣٠

٤) يلاحظ الشعر السياسي العراقي في القرن ١٩ ص ١١٠ و ١١١ حيث يحدثنا المؤلف عن ان جمال موقعها الجغرافي جعلها موطنا من مواطن الشعر بل كاد الشعر ان يكون فيها سليقة يجري على كل لسان٠

٥) تاريخ الحلة ليوسف كركوش الحلي ج ٢ ص ٤٠

ولم تزل حلته ملاذا	لكل من يهرب من بغداذا
يقصدها الملوك والخلائف	وجائع ذو فاقة وخائف
يا ليتني سكنت تلك الحلة	بين شموس المجد والاهلة(١)

هذه هي بيئة السيد حيدر الحلي التي قضى فيها اكثر ايام حياته ، الى جانب ما كان يقوم به من رحلات الى سامراء ، حيث يقيم المرجع الديني العلامة الشيرازي الذي كان يدنيه اليه ويقربه منه (٢)، هذا الى جانب اختلافه على ندّي آل القزويني (٣) واتصاله الشديد بآل كبه (٤)•

والان ما هو مدى تأثر هذا الشاعر ببيئته •؟؟

ظواهر تأثر حيدر الحلي ببيئته :

انّا لنرى عبر مدارسة آثار هذا الشاعر، والاطلاع على سيرة حياته ، انه شديد التأثر ببيئته • وذلك عبر الظواهر التالية:

أ) طبيعة الحلة الجميلة :

لقد اوحت له طبيعة الحلة الجميلة ومناظرها الخلابة بأرق الشعر الوجداني والغزلي وآنق الصورة الجميلة التي تنتظم معظم شعره •

ب) شدة ولائه لاهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا :

فهو الى جانب تأثره الوراثي بمحبة اهل البيت وموالاتهم بحكم مولده فان نشأته في وسط شديد الولاء لهم عمّقت هذا الاثر في نفسه ، حتى لقد تبدى ذلك بيّنا في شعره • بحسبنا ان نعلم ان ارق اشعاره واجودها كان في مديحهم ورثائهم•

---

١) نفسه ص٨•
٢) نفسه ص٤٣•
٣) نفسه ص١٤٣
٤) يلاحظ مقدمة ديوان الحلي للخاقاني ص١٩•

ويتبين لنا هذا بوضوح اكثر حين نعلم ان عمه الذى قام على تربيته وتنشئته حبب اليه هذه الناحية • فرغبه في قراءة دواوين الشعراء المتقدمين (١) وحضه على مزاولة نظام الشعر لكي يكون نصب عينيه ابدا الرسول وآله (٢)، حتى غدت قصائده فيهم خير قلادة يزين بها جيد شعره ، فتزيده توهجا والقا •• ولقد كان لهذا الاثر البيئي في نفس الشاعر شأو بعيد ، الى درجة ان صورة آل البيت لم تبارح مخيلته حتى في منامه ، اذ ان مطلع احدى قصائده الحسينية كان لجدته فاطمة الزهراء (٣) عليها السلام اذ وافته في المنام تهتف بمطلع احدى قصائده :

اناعي قتلى الطف لا زلت ناعيا تهيج على طول الليالي البواكيا (٤)

ج) الصلات الاجتماعية :

لقد كان للصلات الاجتماعية في بيئته دور بارز في أدبه ، فيكفي ان نستعرض ديوانه بجزئيه لنقف على اهمية هذا الدور • ففي الجزء الاول يبدو ذلك جليا في الابواب التالية : التهاني ، العتاب ، التخاميس الاخوانيات • وفي الجزء الثاني في ابواب المدائح ، والمراثي ، التاريخيات ، التقاريض والرسائل •

ان قراءتنا لهذه القصائد يشف عن مدى تأثير البيئة الاجتماعية والصلات في ادب هذا الشاعر ، اذ اوحت بسبب مباشر او غير مباشر بكثير من قصائده • كذلك كان في كتبه دليلا واضحا يبين ما انتهينا اليه من شدة تأثره وتأثيره في بيئته الاجتماعية • ففي كتاب دمية القصر في شعراء (٥) العصر يقف مع شعراء عصره وبيئته على مساحة مضاءة بما يقدم لهم من ترجمات واختيار لاشعارهم ، وفي " العقد المفصل " (٦) عبر جولته في عالم الادب وعلم البيان والبديع والفصاحة والبلاغة يقوم بترجمة لاسرة آل كبه مما يفصح لنا عن علاقاته الاجتماعية وتأثره وتأثيره فيها •

---

١) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤٢ •
٢) يلاحظ عن دور عمه في هذا المجال الفصل الاول من هذه الدراسة
٣) يلاحظ اعيان الشيعة للسيد محسن الامين ج ٢٩ ص ١٤ ، ولقد اوصى الشاعر ان تكتب هذه القصيدة وتوضع في كفنه عند موته •
٤) تلاحظ هذه القصيدة في الديوان ج ١ ص ١١٥ و ١١٦ •
٥ و ٦) يلاحظ الحديث عن هذه الكتب في مبحث آثار الشاعر •

و مثل ذلك ما نلاحظه في كتاب " الاشجان في مراثي خير انسان (١) " الذي هو اثر من آثار بيئته الاجتماعية و ترجمة لعواطف الحب و الوفاء التي يكنها لصديقه العلامة الكبير الميرزا صالح القزويني ....

دور عمه في تعميق هذه الصلات:

كان المترجم له يحرر رسائل عمه و قصائده ، و كان العم يذيّل كتابته تلك بما ينبه و ينوه بأبن اخيه كأن يضيف " حضر كاتب الحروف ولدنا حيدر يهديكم عاطر التحية " .فهو عبر هذا يكون قد قوّى صلات ابن اخيه بأصدقائه هو، حتى ورّثه فيما ورثه صحبة آل كبه و سبقه الى تأليف كتاب فيهم (٢) .

دور المساجلات الشعرية :

ان مساجلاته مع شعراء عصره و عقد المناظرات معهم، جعله لا يخرج على الناس بقصائده حتى يعجم فيها النظر ناقدا و مثقفا ، حتى عرفت بالحوليات (٣) .

و هكذا فقد حاولنا ان نلمح الى ما كان من تأثر شاعرنا ببيئته ، و تأثيره فيها ، منطلقين من فكرة العلاقة الجدلية بين التأثر و التأثير، و من فكرة تداخلهما ، و من كون النتاج الادبي عبارة عن قاسم مشترك لهما . فالمصلح الاجتماعي او الاديب الذى يحاول ان يقوم باصلاح مباشر او عبر كتاباته ، انما ينطلق من تأثره بالمجتمع و البيئة التي يحيا بين ظهرانيها ، و من البوءس الذى يعانيه ابناء وسطه ، ينطلق من هذا المجال محاولا الاصلاح بالطريقة التي يراها ملائمة.

---

١) يلاحظ الحديث عن هذه الكتب في مبحث آثار الشاعر.

٢) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤.

٣) يلاحظ طبقات اعلام الشيعة القسم الثاني من الجزء الاول ص ٦٨٧ . للعلامة اغا بزرك الطهراني .

وكذلك حتى الدارس الادبي الذى يحاول ان يدرس شاعرا او نظرية ليؤثر من خلالها بما يقدم من اراء، انما يكون اندفاعه تأثرا بذلك الشاعر او بتلك النظريـــة .
ولعل من ابرز مظاهر تأثير شاعرنا في بيئته انه كان ذا جاه عظيم ومكانة سامية فــي الاوساط العلمية والادبية . فوجوده كان حافزا للمساجلات الشعرية ولانصراف الشعراء الى اتقان قصائدهم ومراجعتها بعد النظم هذا الى جانب ما كان يحظى به من مكانــة مرموقة عند المراجع الدينية . فالعلامة الشيرازى المرجع الديني الاعلى الذى كان يقيــم بسامراء كان كثير الاحتفاء بقدومه (١) . ويوم وفاته عطل المدارس الدينية حدادا . ولقد اشار الى ذلك احد الشعراء الذين رثوا السيد حيدر الحلي في حفلة تأبينه :

قد عطلت لك سامرا مدارسها	وضعضعت لك اعلام الهدى الصلدا (٢)

ومن غريب المصادفات ان الغيث جاد الارض يوم وفاته بعد احتباسه زمنـــا طويلا، احس فيه الناس بالجدب وخافوا المجاعة ، فجعل الشعراء هذه الظاهرة دليـــلا على منزلته الدينية . ومن الشعراء الذين اهتموا بهذه الناحية الشيخ حمادى نوح ومما قالـــــــه :

بكت عليك السماء فانهل منهمرا	روى البسيطة حتى عيشها نجمـــا (٣)
فكنت نورا لها حيا ومنهلهــا	ميتا وكنت لها بالجدب منتجعـــا

وكذلك فقد تعرض لذكر هذه الظاهرة الشاعر عبد المطلب الحلي وفي ذلـــك يقــــول :

وعج عليك الغيث يصرخ مرعدا	وقد ملأت افق السماء حماحمه
ولا عجب ان يبك فقدك دائبــا	فمن كفك ابتاع الندى متراكمه (٤)

واعتبار الشعراء ان السماء قد بكت شجنا لفقده انما هو دليل على ان شاعرنا كان بالمستوى اللائق والمكانة المرموقة حتى أقدموا على ذلك .

---

١) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤٥ .
٢) نفسه ص ١٤٥ . وحول منزلة الشاعر الاجتماعية يلاحظ شعراء الحلة لعلي الخاقانـــي ج ٢ ص ٣٤١ .
٣) مقدمة ديوان الدر اليتيم والعقد النظيم ص ٧ .
٤) نفسه ص ٦ .

يبدى لنا هذا الامر جليا حين نعلم ان هذا الشاعر كان " من اتقى اهل عصره ، واشدهم صلاحا ، يقضي اكثر ليله بالعبادة والتهجد "(١).

كما انه يبدو لنا مدى تأثيره في بيئته من خلال المنزلة الشعرية التي كانت له فان كثيرا من الشعراء الاعلام كانوا معه في منافسة دائبة، وبخاصة شعراء النجف.

ومما يذكر في مجال حسد الشعراء له احجامهم(٢) عن استعادة ابيات قصيدته (٣) العصماء في رثاء الميرزا جعفر القزويني المرجع الديني في النجف.

فلما عاتب السيد حيدر في ذلك الشاعر والاديب العراقي الشيخ محسن الخضري وعذله لتغاضيه عن اداء تلك المرثية حقها ، اجابه الخضري بقوله :

ميزتني بالعتب بين معاشـر	سمعوا ، وما حي سواى بسامـع(٤)
اخرستني وتقول مالك صامتـا	وامتني وتقول مالك لا تعـي

هذان البيتان يشفان عن تلك المكانة التي كان يمثلها الشاعر في نفس الشعراء ، كما تبين مدى تأثر (الخضري) واعجابه بالقصيدة الآنفة الذكر.

ومما يذكر في هذا المجال ان هذا الشاعر كان اذا دخل ندى آل القزويني الذى كان ملتقى للادباء والشعراء، كان القيّمون على المنتدى يقولون " قد جاءكم موسى بعصاه " او " قد اتاكم حيدر بنهج بلاغته " (٥). رامزين بذلك الى الشاعرية الموهوبة التي كان يتمتع بها هذا الشاعر.

---

١) طبقات اعلام الشيعة القسم الثاني من الجزء الاول ص٦٨٧ ويلاحظ اعيان الشيعة ج ٢٩ ص١٤.

٢) يلاحظ شعراء الحلة لعلي الخاقاني ص٣٢٣ـ

٣) تلاحظ هذه القصيدة في الديوان ج ٢ ص١٢٢ـ١٢٥ ومطلعها :

قد خطلنا للمعالي منهجا ودفنا الدين والدنيا معا.

٤) شعراء الحلة ص٣٢٣ ومقدمة الديوان ص٩.

٥) تاريخ الحلة ج ٢ ص١٤٣.

الفصـل الثالـث من الباب الاول

آثار الشاعر :

للسيد الحلي اثار اربعة : ديوان شعره، واربعة كتب نثرية : واحد مطبوع وهو العقد المفصل وثلاثة لا تزال مخطوطة وهي : دمية القصر في شعراء العصر، والاشجان في مراثي خير انسان وكتاب على منوال العقد المفصل باسم الحاج محمد صالح كبـة(١) ونحن سنعرض لذكر المخطوطتين اولا ثم الكتاب النثرى لننتقل بعد للحديث عن الديـوان بشيء من التفصيل بما يتركنا في اطار الموضوع من غير ان نشتط بعيدا عنه ..

المخطوطتـان :

أ) دمية القصر في شعراء العصر:

توجد نسخة الاصل بخطه عند الشيخ محمد مهدى بن الحاج حسن كبة(٢) وقد جمع في هذا الكتاب ما قاله شعراء عصره في الحاج محمد صالح كبـة، فرغ من تأليفه عام ١٢٧٥ هـ. (٣).

ب) الاشجان في مراثي خير انسان :

جمع في هذا الكتاب (٤) مراثي صديقه العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني (٥) وقد قدم لكل قصيدة مقدمة خاصة كتعريف لصاحبها . توجد هذه المخطوطة في مكتبة الامام كاشف الغطاء تحت رقم "٦٨" في فهرس الدواوين وبضمنه عدة رسائل وصدّره بمقدمة نثرية مشجية(٦).

---

١) يلاحظ اعيان الشيعة للسيد محسن الامين الجزء ٢٩ ص ١٥.

٢) يلاحظ طبقات اعلام الشيعة ص ٦٨٨ تأليف الآغا بزرك الطهراني . مقدمة الديـوان تحقيق الخاقاني ص ٢٢ و شعراء الحلة لعلي الخاقاني ص ٣٤٥.

٣) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤٣.

٤) طبقات اعلام الشيعة ص ٦٨٩ و مقدمة الديوان ص ٢٢ و شعراء الحلة ص ٣٤٥.

٥) الميرزا جعفر القزويني من المراجع العلمية في العراق ت ١٢٩٨ هـ. يلاحظ طبقات اعلام الشيعة ص ٦٨٩.

٦) طبقات اعلام الشيعة ص ٦٨٨ و شعراء الحلة ص ٣٤٦ و مقدمة الديوان ص ٢١. واحب ان اشير هنا الى انني حين احيل على الديوان او مقدمة الديوان انني اعتمد بذلك على ديوان السيد حيدر الذى حققه و نشره علي الخاقاني .

واما المطبوع فهما كتابان : العقد المفصل والديوان .

أ) العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل :

وهو عبارة عن موسوعة ادبية مصغرة(١) حافلة بالنوادر والفكاهات والامثال والنقد وغيرهما من فنون الادب(٢). ألفه لصديقه العلامة الشيخ محمد حسن كبه . وقد نال اعجاب آل كبه ومعاصريهم من الادباء والاعلام . قرضه الشعراء بقصائد كثيره .

وهذا الكتاب عبارة عن سجل لآثار ومآثر الشيخ محمد حسن كبه الى جانب ما قاله في آل كبه من شعر ونثر. ونقع في هذا الكتاب على نتف من اخبار الادباء والشعراء، كما نلاقي فيه مجموعة من النكت اللطيفة والمقطوعات الشعرية اللاذعة وفيه تعرض لذكر سائر انواع الادب وعلومه من فصاحة وبلاغة ومعان وبيان وبديع، ثم الى جولة مع الانساب والكنى والالقاب وعرض للاخلاق والمام بصفات العرب وعاداتهم، وايراد ذكر اخبار الملوك والوزراء والامراء ونوادر البلغاء وبلاغة النساء والوقوف عند وصف الجمال، كما لم ينس ان يتحدث عن السرقات الادبية والادباء باللائمة على السراق بين الشعراء وانتحالهم شعر غيرهم، ثم هو يعقد مقارنات ومفاضلات بين الشعراء، ويقتطع من اشعارهم، ويثبته لنا، كما يذكر وقائع تاريخية وحوادث دموية وهو لم يذكر هذه الاشياء ذكرا مباشرا وانما كان يعرض لها في غضون حديثه عن صديقه السالف الذكر.

هذا الكتاب مرتب على مقدمة وثمانية وعشرين بابا وخاتمة.

في المقدمة : يتحدث في هذه المقدمة، التي استوعبت مائتين واثنين وخمسين صفحة عن حياة صديقه وخلال هذا الحديث يقوم برحلة حول البلاغة والفصاحة والنقد الادبي . واما الابواب فمرتبة على ثمانية وعشرين بابا بحسب الحروف الهجائية. وهو يفتتح كل باب بمقطوعة شعرية لا تقل عن اثنتي عشر بيتا . قام خلالها برحلة تكشف عن اطلاعه الواسع وتبره على غزارة في المعلومات، واحاطة واسعة بفنون الادب واللغة. واما في الخاتمة فقد عرض قسما من شعر الشيخ محمد حسن كبة مما لم يكن جاء على ذكره في المقدمة

(١ و ٢) لمزيد من التفصيل يلاحظ نفس الكتاب وكذلك مقدمة الديوان في مبحث آثار الشاعر الادبية ص ٢١، ٢٥ وشعراء الحلة ص ٣٤٥ وما بعدها وطبقات اعلام الشيعة ص ٦٨٨ـ٦٨٩.

و مساجلاته مع اعلام الشعراء من معاصريه كالحبوبي و القزويني و الشيخ صالح الحريري و غيرهم • طبع في بغداد بمطبعة الشابندار سنة ١٣٣١ هـ • في جزئين •

الديـــوان :

اما ديوانه فالمخطوط ثلاث مجموعات (١) :

أ) مخطوطة صاحب الديوان و هي ببغداد تقع في ٣٩٤ صفحة عدد السطور ٢٤ سطرا في كلّ صفحة •

ب) مخطوطة الشيخ قاسم الملا الحلي كتبها سنة ١٣٠٥هـ • اى بعد عام من وفاة صاحب الديوان تقع في ٤٥٦ صفحة عدد سطور كل صفحة ٢١سطرا •

ج) مخطوطة السيد مرزة الحلي ابن عم صاحب الديوان و توجد عند ولده السيد سليمان تقع في ٤٣١ صفحة و عدد سطور كل صفحة ٢١ سطرا •

و اما ديوانه المطبوع فطبعتان :

الاولى : الدر اليتيم و العقد النظيم و هي طبعة حجرية تولى نشرها الشيخ علي المحلاتي الحائرى في بومباى الهند سنة ١٣١٢هـ (٢) بناء على التماس السيد حسن صدر الدين العاملي و بعد اعادة النظر من كاتب مقدمة الديوان عبد المطلب الحلي ، المسهم الاكبر في جمعه و هو ابن اخ السيد حيدر •

و اما الطبعة الثانية : ديوان السيد حيدر الحلي : تولى نشرها و تحقيقها علي الخاقاني في المطبعة الحيدرية في النجف وهو عبارة عن جزئين :

الجزء الاول : يتألف من ٣١٩ صفحة بما فيها المقدمة التي هي عبارة عن تعريف بالشاعر و ترجمة له تقع في ٢٦ صفحة • و هذا الجزء طبع سنة ١٩٥٠ م • سنة ١٣٦٩هـ • في المطبعة الحيدرية في النجف •

---

١) يلاحظ شعراء الحلة للخاقاني ص ٢٤٥ و ما يليه و طبقات اعلام الشيعة ص ٦٨٨ـ٦٨٩ •

الجزء الثاني : وهو عبارة عن ٢٧٢ صفحة بما فيها الفهارس طبع في بغداد سنة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م. والجزءان يحتويان على ٢٨٧ وحدة شعرية في ٨٣١٧ بيتا، وهما مقسمان الى ابواب كل باب مرتب بحسب الحروف الهجائية.

ابواب الجزء الاول : وعددها تسعة وهي :

١ـ السيد حيدر الحلي (ترجمة حياته وآثاره).
٢ـ مدائح آل البيت.
٣ـ مراثي آل البيت.
٤ـ الوجدانيات.
٥ـ التهاني.
٦ـ الموشحات.
٧ـ العتاب.
٨ـ التخاميس.
٩ـ الاخوانيات.

ابواب الجزء الثاني : وهي تسعة ايضا مرتبة كالاتي :

١ـ الحماسة.
٢ـ المدائح.
٣ـ المراثي.
٤ـ التاريخيات.
٥ـ التقاريض.
٦ـ متفرقات.
٧ـ الرسائل (وهي نثرية يتخللها شعر).
٨ـ اعلام الديوان.
٩ـ فهرس الامكنة والبقاع.

ومما تجدر الاشارة اليه هنا، من ان بروكلمان* في الملحق الثاني لكتابه تاريخ الادب العربي يسمي ـ خطأ ـ من بين مؤلفات السيد حيدر الحلي كتاب عمدة الزائر(١)

*) يلاحظ كتاب Brockelman SupplementII ص٧٩٦، لا يزال هذا الكتاب باللغة الالمانية (١) هذا الكتاب مطبوع اكثر من مرة ومتداول وهو احد كتب الادعية المعتمدة عند الشيعة الامامية.

وعدة المسافر في الادعية والزيارات وهذا الكتاب هو للسيد حيدر الكاظمي الحسيني الذى ولد سنة ١٢٠٥ هـ و توفي سنة ١٢٣٠ هـ (١).

هذه هي آثار السيد حيدر شعرا و نثرا ، والان سنحاول ان نقف وقفة سريعة عند بعض الاغراض التي عالجها في شعره ، والتي تعطي ضوءا على ايديولوجيته كما يعطينا فكرة عنها دون ان نتعدى اطار موضوعنا الذى نحن بصدد دراسته ولنحافظ على المنهجية قدر المستطاع.

لقد طرق المترجم له ، معظم الاغراض المعروفة في الشعر العربي ، **وخاصة الشعر الغنائي** فمدح و تغزّل ، و رثى ولم ينس الحماسة و العتاب، و تناول ما كان منتشرا في عصره من تخميس و تأريخيات و تقاريض الى غير ذلك من الالوان المتداولة.

و نحن سنقف ـ كما اسلفنا ـ عند بعض هذه الاغراض التي تمد دراستنا وما نحن بصدده من ايديولوجية الشاعر.

الاغراض الشعرية عند السيد حيدر:

أ) المديـــح :

المديح اصطلاحا فن الثناء والاكبار والاحترام، قام بين فنون الادب العربي مقام السجل الشعرى لجوانب حياتنا التاريخية (٢).

ولقد زاد في شهرة كثير من الناس شملهم و رفعهم الى الذروة واغفل زملاء لهم،ربما كانوا اجدر بالذكر و احق بالشهرة. ولقد اسهم هذا الغرض الشعرى في ابراز عديد من الصفات والالوان لم تكن تعلم لولاه (٣). ولم يكن المديح من اغراض الشعر الاولى واكبر الظن انه تأخر في الوجود عن اغراض الشعر التي يتغنى فيها الشاعر بعاطفة شخصية (٤) ولقد كان مديح العرب في عصورهم الاولى فخرا كله (٥). اما المحدثون من

---

١) يلاحظ اعيان الشيعة ج ٢٩ ص ٣.
٢ و ٣) المديح من سلسلة فنون الادب العربي . من المقدمة بقلم سامي الدهان ص٥.
٤) في النقد الادبي ، عبد العزيز عتيق ص ١٧٥ ـ ١٧٦.
٥) في النقد الادبي ، عبد العزيز عتيق ص ١٧٦ .

الشعراء فقلّ ان نجد بينهم من لم يحترف المديح و يجعل منه عمود شعره ، و موضع اجادته و قد جرأهم على ذلك جود الخلفاء و الامراء و رغبتهم في اصطناعهم(١) .

طريقة الشاعر في المديح :

و اولا ما هي طريقة القدامى التي تبدأ بالوقوف على الاطلال و النسيب الـى جانب ذكر ما عانى الشاعر في طريقه من الاهوال التي انضت راحلته ، متخلصا من ثم لمدح ممدوحه .

و هذا الاسلوب في المديح هو الذى دعا الى اتباعه عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه الشعر و الشعراء(٢) و هو يبرر ذلك بأن ذكر الديار و الدمن و الاثار سبب لذكر الظاعنين عنها ، و هذا سبيل للنسيب و التشبيب . فان هذا السهل قريب للنفوس لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب عباده من شغف بالغزل ، و الف للنساء(٣) . حتى اذا تحركت مشاعر الممدوح وراح الشاعر يذكر ما لاقى في رحلته اليه من نصب و سهر و سرى ليل ، انشأ يمدح ، فبعثه على المكافأة ، و هزه للسماح (٤) .

و سبيل الشاعر في المدح ـ كما ارتآه ابن رشيق في العمدة ـ انه اذا مدح ملكا ان يسلك طريقة الايضاح و الاشادة بذكره للممدوح ، و ان يجعل معانيه جزلة ، والفاظه نقية ، غير مبتذلة و لا سوقية(٥) . و البحترى مثلا كما يقول ابن رشيق ، يقل الابيات ، و يبرز وجوه المعاني ، فاذا مدح الكتاب عمل دلالته ، و بلغ مراده (٦) .

هذا وافضل الصفات في الممدوح ما كان معنويا من مثل الكرم و الشجاعة والوفاء و العدل . و افضل الافعال ما صدر فيه طاعة عن مثل تلك الصفات . و الممدوحون الذين كانوا يتذوقون الشعر و يفهمونه كانوا يرغبون عن ان يمدحوا بغير الصفات المعنوية (٧) . و ليس يحسن المدح الا ان يكون صادقا . و لو ان الشعراء واظبوا على هذا الصدق لكان غرض المدح من اجل الاغراض الشعرية .

---

١) نفسه ص ١٧٧ . ٢) الشعر و الشعراء تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الجزء الاول ص ٢ و ما بعدها . ٣) نفسه ص ٢٠ . ٤) نفسه ص ٢١ .
٥ و ٦) العمدة لابن رشيق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ج ٢ ص ١٢٩ .
٧) التعريف في الادب العربي رئيف خوري ص ١٣٥ .

لان الشاعر حين يمدح امرءا بفضائل و مآثر حقيقية،فانما يضرب قدوة للناس تسمو بهم(١).و لكن من بين الشعراء المدّاحين من اتخذه تكسبا من الملوك و الاثرياء، و تملقا لا صحاب النفوذ ، و تزلفا في سبيل الا راب و المنافع الشخصية • فنافق كثير منهم على انفسهم و على الناس فمدحوا من ليس هو جدير بالمدح • فهبطت بذلك قيمة هذا الغرض النبيل و الجليل.و اذا كان من بين الشعراء من انزلق الى هذا المهوى فان فريق الايديولوجيين و الشرفاء منهم نبذها و رغب عنها (٢)•

و المدح كثير الانواع : مدح الخلفاء، و الملوك، و الامراء و الوزراء و القواد و الوجهاء و العلماء و الادباء،و منه المديح الديني و الاشادة بفضائل النبي العظيم و الثناء على اهل بيته و الدعوة لهم في الخلافة و الحكم، و ثمة نوع آخر هو ما كان للاوطان و البلدان.و المديح السياسي عامة (٣)•

بعد هذه الجولة مع المديح يتبادر لنا سؤال حول شاعرنا المترجم له و هو من اي فريق من الشعراء المادحين كان ؟؟

المديح عند السيد حيدر الحلي :

لم يكن المديح عند شاعرنا من النوع الذى ينزل بقدر صاحبه فلم يمتدح تزلفا من ذى جاه لينال حظوة، و لا تقربا من زعيم رجاة نوال، و انما كان تعبيرا عن عاطفة صادقة، يحسها تجاه شخصيات احتلت من قلبه كبير مكانة • كما اهلتها مقوماتها و ادوارها لان تحتل ذرى المراتب السامقة، اذ ليس المهم ان نصل الى القمة و لكن المهم ان تحتفظ القمة بمكانتها بعد وصولنا اليها •

هذا سبيل سلكه شاعرنا الى جانب سبيل آخر هو سبيل المديح الديني و الاشادة بفضائل النبي و الثناء على اهل بيته • و هكذا فقد كان مديحه تعبيرا عن عميق محبته ، و ترجمة لصدق شعوره ، فجاء هذا المديح فيض وجدان عامر بالاخلاص• و لا ادل على

(١ و ٢) التعريف في الادب العربي ، رئيف خوري ص١٣٦•

٣) المديح من سلسلة فنون الادب العربي لسامي الدهان ص٦•

ذلك من اننا لم نر عنده قصائد نظمت تكسبا من ملوك زمانه و حكام عصره • باستثناء ثلاث او اربع مقطوعات قالها ـ على الاغلب ـ التماسا من بعض الزعماء الدينيين • و هذه المقطوعات التي هي في الحكام لم تكن الا تساميا لان يتخذوا سيرهم في سبيل تشجيع العلم و الادب و الالتفات بعين العطف نحو الشعب •

و اذا استثنينا هذه المقطوعات النزرة يمكن ان نقسم مديحه الى قسمين مدح النبي و آل بيته ، و مديح من جمعته بهم صداقة حميمة او صلة رحمية ، و هي تتدرج تحت قسم المديح ذي الغرض الجليل الذي يشيد بمآثر و فضائل حقيقية ليضرب قدوة للناس رجاة ان تحتذى (١) • لا جريا وراء التكسب و التملق •

مديح النبي "ص" و آل البيت "ع" :

هذا القسم عبارة عن اربع عشرة وحدة شعرية تنتظم ثلاثمائة و ثمانية و ثلاثين بيتا • يعتدل خلالها بين مديح النبي العظيم او احد الائمة الاطهار • وربما استطرد خلال هذه القصائد الى التنويه بذكر المراجع الدينيين في عهده • و أول ما يستوقف في هذه القصائد صدق العاطفة و صفاء الوجدان و تسامي الخيال • و هو نفسه ينبه الى ان مديحه ليس الا ترجمة شعور عميق صادق ، و ليس تمدحا متكلفا ، بل هي ممعنة في الابتعاد عن الرياء مجلببة بالاخلاص و التقدير ، اوليس هو القائل مخاطبا المهدي في قصيدته في ذكرى مبعث النبي ص :

لا رأى الرحمة من قال رياء قلت الروح لمولاها فداء • • • (٢)

فشاعرنا اذن من هذا النوع من الشعراء الذين يمدحون في هذا المضمار مسترخصين الروح تضحية لذلك الممدوح المفدى و الان سنحاول ان نذكر الاشخاص الذين مدحهم شاعرنا في هذا المجال •

---

١) يلاحظ الصفحة السابقة •

٢) الديوان ص ٣٠ من الجزء الاول •

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

هذه القصيدة النبوية عبارة عن ثلاثة واربعين بيتا، يفتتحها مستحقيبا:

أي بشرى كست الدنيا بهاءا	ثم فهي الارض فيها والسماءا (١)
طبّق الارجاء منهـا ارج	عطّرت نفحة ريّاه الفضاءا

خلال هذه القصيدة ينتقل الشاعر بين مديح النبي الاعظم "ص" وبين ذكر مبعثه الشريف الذي نادى به جبرائيل في الملأالأعلى قبل ان ينادى به في الارض.

قائلا قد بعث النور الـذى	ليس يخشى ابد الدهر انطفاءا (٢)
فهنيئا فتح الخير بمن	ختم الرحمن فيه الانبياءا

وتكرار لفظة التهنئة هنا في هذين البيتين يجعلنا نقف على مدى الشعور بالفرحة الغامرة التي أظلّت الشاعر وعلى مدى تعمّق حبه للنبي "ص"، حتى راح يشعر ان الكون كل الكون يعايش هذه الفرحة ويسامر هذا الجو، اذا فلتكن التهاني على كل صعيد ومستوى، ولتأت الطباق عفويا فرحا، كهذا الخير الذى فتح بمن ختم الله الانبياء به فتعس الارج يتضوع من بين احرف هذا الختام، الذى يبدو وكأن المثل المعروف به اشتهر، فذاعت على الألسن " مسك الختام ".

بعد هذا التعميم بارسال التهاني ينتقل الشاعر للتخصيص، فيقدم تهنئته الخالصة للمرجع الديني الاعلى في زمنه، مطريا مزاياه بكثير من الاكبار والتعظيم الذى اسبغه جلال الموقف وعظمة الذكرى، خصوصا للرمز الذى يمثله المرجع بعد وفاة النبي وغيبة الامام، ومن هنا كان لهذا التعظيم مكانته الخاصة لانها تمتح من تعظيم صاحب الذكرى العظيم..

وبحسن تخلص يلتفت من مدح الذى زان جيد سامراء، بعد ان كان عاطلا قبل ان يحل هذا المرجع فيها، الى مدح الامامين علي الهادى والحسن العسكرى عليهما السلام محيّيا مرقدهما الاسنى وقبتهما العالية، ومن ثم يعرج على ذكر المكان

---

١) الديوان ج ١ ص ٢٨.
٢) نفسه ص ٢٩.

الذي غاب منه المهدى المنتظر يناجيه ليصدع بأمر ربه ، فقد آن للاحشاء التي تضطرم انفاسها الهواء لطول الاكتواء و مرارة المعاناة، قد آن لها ان تبرد اذ ترى يد الله انتضت سيفها بكف قائم الحق انتضاء :

افهل نبقى كما تبصرنـــا ننفد الايام و الصبر رجــاء (١)

الامام علـــي :

لقد مدح امير المؤمنين علي بن ابي طالب و ذلك ضمن بيتين يستصرخه فيهما و يستغيث به لينقذه من صروف الدهر التي رمته بالمستبدين العثمانيين، الذين كانوا يكمّون الافواه ، و يعطلون الحريات و يتبارون بالتضييق على الشعب الذي كان يعاني من الوان الويل و الاضطهاد و صنوف العذاب و التنكيل :

امير المؤمنين اغث صريخـــا الم بجنب قبرك مستغيثـــا (٢)
اتاك يحث ناجية المطايـــا و صرف الدهر يطلبه حثيثا

و على متن هذه الناجية التي لا تزّل بصاحبها ، و على ولاء عليّ و محبته كان يجوب ميدان الشعر مجليا سباقا .

ففي القصيدة الطويلة التي انشأها في مصرع الامام العظيم و التي يستهلها بمناشدة الاسلام يسأله عن مصابه الجلل، اهو بالنبي ام بالكتاب او بالوصي . اذ كل منهم ضلع لا يستغنى عنه في هذا المثلث القدسي .. في هذه القصيدة و عبر تفجعه الواله ، لفقد امير المؤمنين، يعرّج على ذكر بعض من صفاته و مواقفه ، مما نستطيع بواسطتها ان نعد قسما منها في المدح، كهذه الابيات التي يصف فيها منافحة الامير عن الدين و دوره في تشييده :

هذا أمير المؤمنين بعدما الجأهم للدين في ضرابـه (٣) .
و قاد من عتاتهم مصاعبـــا ما أسمحت لولا شبا قرضابه

---

١) نفسه ص ٣٠ و يلاحظ القصيدة كلها من ص ٢٨ ـ ٣٠ .
٢) الديوان ج ١ ص ٣٤ .
٣) نفسه ص ٥٧ .

قد ألف الهيجاء حتى ليلها	غرابه يأنس في عقابه
يمشي اليها و هو في ذهابه	اشد شوقا منه في ايابه (١).

الامام الحسين : يعرض لمدح هذا الامام كالاتي :

أ) عبر بيتين (٢) يشيم خلالهما بوارق سحب ندى الحسين ، هذه السحب التي ستغدق شآبيبها مبشرة بانجاح امنياته .

ب) في قصيدة من أبيات عشرة (٣) يبث فيها الشكاة من فقره و فاقته لمن هو بعد الله مرتجاه ، كل ذلك بيقين ثابت و ايمان مطمئن ، الى انه لن يصدر ظمآن و قد ورد أعذب منهل ، وسفينة حسن رجائه ستقله الى ساحل بحر جوده .

د) وله قصيدة من خمسة ابيات في مدح الامام الحسين بن علي بن ابي طالب واخيه العباس يختتمها بقوله ان الدهر مهما رماه بالنكبات فهما وقاؤه و ملاذه .

اشبلّي "علي" و من ان دعو	ت في كل خطب اجابا دعائي (٤)
ارى الدهر من حيث لا اتقي	رماني ، و يعلم انتم وقائي

هـ) و في مقطوعة من بيتين يخاطب الامام الحسين و اولاده عليهم السلام :

اليكم تذل النفس من بعد عزة	و ليست تذل النفس الا لمن تهوى (٥)
فلا تحوجوها بالسؤال لغيركم	فتسأل من يسوى و من لم يكن يسوى

و من الجدير بالذكر ان المقطوعات الرثائية في الامام الحسين ينطوي قسم كبير منها على مديح و اطراء .

---

١) نفسه ص ٥٨ .
٢) نفسه ص ٢٤ .
٣) نفسه ص ٤٧ـ٤٨ .
٤) الديوان ج ١ ص ٣١ .
٥) الديوان ج ١ ص ٤٨ .

مدح الامامين الكاظم و الجواد :

لقد مدح الامامين موسى الكاظم (١) و محمد الجواد (٢) في ثلاثة مقطوعات :

أ) الاولى ثلاثة ابيات (٣) يتحدث فيها عن طلبته التي انما يكون تحقيقها عن طريـــق هذين الامامين اللذين هما بابان لجبار السماء و من الجدير بالذكر ان محمد الجواد يدعى باب المراد الى الله .

ب) مقطوعة لم يبق منها سوى ثلاثة ابيات يتوجه فيها الى العلي القدير من محـــراب الامامين الكاظمين مخاطبا الله سبحانه و تعالى بما اوجب على نفسه من اللطــف بعباده ، و بأسلوب حقوقي :

قضاء حق الضيف اولى بـه	من شرّع الواجب من حقـــه
و علة المرء ارى برؤهـــــا	أرجى لذى العلة من خلقـه
و العبد لا يصلح من شأنه	الا الذى يملك من رقـــه(٤)

ج) مقطوعة (٥) مؤلفة من مائة و اربعة ابيات يذكر فيها صحن الامامين الكاظم و الجـــواد، و ما احرز بهما من الفخار،مستطردا لذكر مزاياهما و محامدهما في ثلاث مواضع مـــن القصيدة معرجا على ذكر و مدح الباذل لتعمير الصحن و العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين . و ذلك كما يأتي :

١ـ القسم الاول في ثلاثين بيتا يظهر عبرها عظمة الصحن الشريف و يمدح صاحبه (٦)
٢ـ القسم الثاني مدح الباذل لتعمير الصحن (٧)
٣ـ عودة لمدح الامامـيـــن (٨)
٤ـ مدح الشيخ محمد حسن آل ياسين و اخيه (٩)
٥ـ عودة لذكر قيمة الصحن و مقامه الديني (١٠)

---

١) الامام موسى الكاظم هو الامام السابع عند الشيعة الامامية .
٢) الامام محمد الجواد و هو الامام التاسع و حفيد الامام الكاظم و ابن الامام علي بن موسى الرضا
٣) الديوان ص ٣١ من الجزء الاول . ٤) نفسه ص ٤٧ . ٥) نفسه من ٣٥ ـ ٤١ .
٦) الديوان ج ١ ص ٣٥ ـ ٣٧ . ٧) نفسه صفحة ٣٧ ـ ٣٩ . ٨) نفسه ص ٣٩ .
٩) نفسه ص ٣٩ ـ ٤٠ . ١٠) نفسه ص ٤٠ ـ ٤١ .

مدح المهدى : و ذلك عبر خمس مقطوعات :

أ) المقطوعة الاولى عبارة عن ستة ابيات (١) • و فيها يناجي الامام المهدى بن الامام العسكرى مستغيثا به الى الله لاطفاء نار الوباء الملتهبة الملتهمة •

ب) مقطوعة ثانية في مديحه مؤلفة من تسعة و اربعين بيتا موزعة كما يأتي :

١ ـ ستة و عشرون بيتا في مدح المهدى •

٢ ـ ثلاثة و عشرون بيتا في مدح السيد حسن الشيرازى المرجع الديني في سامراء •

ج) مقطوعة مؤلفة من خمسة و خمسين بيتا (٢) نظمها على اثر المعجزة التي حدثت للاخرس الذى اطلق لسانه ببركات صاحب الامر كما يذكر الشاعر ذلك في المقدمة النثرية للقصيدة (٣) • و هي على ثلاثة اقسام :

١ ـ القسم الاول في مدح صاحب الامر و ذكر المعجزة التي حصلت في خمسة و عشرين بيتا •

٢ ـ في مدح الميرزا السيد حسن الشيرازى عبر ثلاثة و عشرين بيتا •

٣ ـ عودة لمديح بني هاشم عموما عبر سبعة ابيات •

د) مديحه في ذكرى مولده عبر قصيدة مؤلفة من خمسين بيتا :

يبدأها باعلان البشرى بولادة صاحب الامر عجل الله تعالى فرجه ، و باكرام وفادة هذه الولادة ، التي اطلت على الدنيا بأنوار طلعته المباركة ، فحيت بوجهه طلعة البدر ، و كسته افخر حلة مكثت تنمقها ـ منذ زمن بعيد ـ يد الفخر ، حلة هي من طراز الوحي ، فلا نزعت عن عطف مجده أبد الآبدين (٤) •

---

١) نفسه ص ٣١ •
٢) نفسه ص ٤١ ـ ٤٢ •
٣) نفسه ص ٤١ مطلع القصيدة :

كذا يظهر المعجز الباهر ... فيشهده البر و الفاجر
و يروى الكرامة مأثورة ... يبلغها الغائب الحاضر

٤) احب ان الفت النظر الى انني احاول هنا كما في سائر المواضع التي نتحدث فيها عن شعر الشاعر تضمين الحديث كلمات الشاعر و تعابيره قدر المستطاع •

و يا لنداوة هذه النسمة التي سرت مع طيب هذه الولادة ، ناعمة الهبوب و البث، قدسية النفحات و النشر، حبت عطرا و لا اذكى ، انه ارج النبوة الذى هو وحده الفواح الذكي ، و ما عداه ليس بعطر، فمتى حضر الماء بطل التيمم، و لهذا فقد اضحى الدين مبتهجا بولادة صاحب الامر، و فم الامامة باسم الثغر.

و تباشرت اهل السماء بمن ... حفّت به البشرى الى الحشر(١)

و لا غرابة ان تكون بشرى مولده بهذا الاحتفاء و الاحتفال ، اذ هي ولادة المنتظر لتخليص البشر، و لتحقيق حلم الانسانية بانتصار العدل و الحق و قيام دولة المستضعفين ، يختتم الشاعر هذه المقطوعة بمديح اهل البيت عامة متسائلا عن سبيل الى هذا المرام :

ماذا اقول بمدحكم و لكم ... جاء المديح بمحكم الذكر
كيف الثناء على مكارمكم ... عجز البليغ و افحم المطرى(٢)

هـ) مقطوعة من اربعة ابيات ، يستغيث فيها بصاحب الامر، لائذا بشرف لا اجل منه عند الاله العلي القدير:

يا قائما بالحق حل بنا ... ما لا يفرجه سوى لطفك (٣)
بك عنه لذنا حيث لا شرف ... عند الاله اعز من شرفك

مدائح الاصدقاء :

و هذه عبارة عن ثلاثة و ثلاثين وحدة شعرية، تحتوي على ثمانماية و ثلاثة عشر بيتا . و اكثر هذه القصائد في آل كبه و آل قزويني الذين تجمعه بهم اواصر صداقة متينة، و عرى صلة روحية وثقى ، فعبر عن حبه لهم و اعجابه بهم عبر عدة قصائد كلها من غرر قصائده . و ان دل هذا على شيء فانما يدل على ما تمتع به من نفسية عالية تحفظ الجميل و تترجم الاخلاص و ماذا لدى الشاعر في هذا المجال مجال رد الجميل الا الشعر

---

١) الديوان ج ١ ص ٤٤ و تلاحظ القصيدة كلها من ص ٤٤ ـ ٤٧.
٢) نفسه ص ٤٦.
٣) نفسه ص ٤٧.

فيسعد النطق (١) ، ان لم يسعد الحال "فيقول القصيدة العصماء ، فيخلد قائلها والمقول فيه ويحفظ عمرها اسم الممدوح على مر الاجيال ، لتظل وثيقة تشهد بأريحيته ، وتنم عن لطيف مزاياه . وقد سلك شاعرنا في هذا المجال سبيل فحول الشعراء القدامى في المديح ، فهو يبدأ بالغزل والنسيب متخلصا الى ذكر صفات الممدوح ، وهذا التعريج على النسيب هو ما استلطفه ودعى الى انتهاجه ابن قتيبة في عمدته لان الشاعر اذا اراد المدح انما يعمد الى النسيب " ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعي به اصغاء الاسماع اليه ، لان التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل والف النساء " (٢) .

والى جانب هذا السبيل الذى سلكه شاعرنا ، نراه كذلك في كثير من قصائده ، يعمد الى ذكر الممدوح مباشرة دون الابتداء بالنسيب والتشبيب ، وذلك لدواع كانت تقتضي هذا الشكل من مخاطبة الممدوح ، من هذه القصائد التي يستهلها بالنسيب قصيدته في مدح سلطان النقيب (٣) ، نقيب الاشراف ببغداد ، بناء على التماس بعض اصدقائه ، فيقول متشببا :

حدرت باطراف البنان نقابها	مرحا فاخجل حسنها اترابها (٤)
وجلت غداة تبسمت عن واضح	تستعذب العشاق فيه عذابها
قتّالة اللحظات ، فهي اذا رنت	وجد المشوق سهامها اهدابها
من حور (عدن) ، اقبلت لكنها	لم يحك مختوم الرحيق رضابها

وبعد ان يدغدغ العواطف بهذا الغزل الرقيق بحسنائه التي كأن ليلة وصلها زنجية حنقت على العاشق الصب ، فمزقت جلبابها ، اما نجوم هاته الليلة الثواقب فتتراءى للشاعر حدقا تراقب الكعاب النواهد في جمالها ، لتتملى من جمالها الفتان المغوي ، هذه النجوم الحدق تحكي بتلألئها وتصف لعين الشاعر المتيم قرط حبيبته وحقابها ، بل انها في ترقبها وقلقها وحذرها ، عبر استشرافها للكعاب في خدورها ، تحكي قلوب معاشر يزرع عزّ النقيب فيها الارهاب والقلق خوف صولته ، وخشية تصميمه على احقاق الحق .

---

١) اشارة الى قول المتنبي : لا خيل عندك تهديها ولا مال / فليسعد النطق ان لم يسعد الحال . ديوان المتنبي شرح عبد الرحمن البرقوقي منشورات المكتبة التجارية ، مصر بدون تاريخ ص ٣٩٤ ، الجزء الثالث . ٢) الشعر والشعراء لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الجزء الاول ص ٢٠ . ٣) هو السيد سلطان بن السيد علي تلقى النقابة عن ابيه ببغداد سنة ١٣١٥هـ . ٤) الديوان ج ٢ ص ١٤ .

لا بل حكت قلقا قلوب معاشر ضمن النقيب بعزه ارهابها (١)

في هذه القصيدة المدحية لم تجانب الشاعر ايديولوجيته ، بل رأيناها تطل عبر اطرائه لبني هاشم و تكريسه حقهم في الرئاسة ، اليست النبوة و الامامة في هذه الاسرة العريقة ، لذلك يتوجه مخاطبا ابناء الزمان الذين يحاولون ان يباروا ممدوحه الهاشمي ، متعجبا كيف يحاولون ذلك ، والله جلببه الرياسة ، فكيف يستطيع انسان ان ينزع جلبابا البسه العلي التدير ، فلتدعوا يا ابناء الزمان اذن صدر و سادة الرئاسة لاربابها ، امثال هذا الفاطمي الذي له من الاحساب الاثيلة لبابها ، هذا الفاطمي الذي :

تنميه من علياء " هاشم " اسرة وصل الاله بعرشه انسابها (٢)

انت الذي ورث السيادة عن اب ورث النبوة : وحيها و كتابها

و هذا المدح المنطوي على افتخار بقبيلة هاشم قبيلة الشاعر يتخلل جوانب كثيرة من شعره المدحي ، و هو ان نمّ عن شيء فانما ينم عن التزامه الايديولوجي ، فهو يقول من قصيدة في اطراء والد ممدوحه هذا :

من ذا يراجح حلمكم والحلم ما زلتم هضابه (٣)

ام من يطاولكم علىً و من العلى لكم الذوابة

لكم النبوة و الاما مة و السيادة و النقابة

و من القصائد التي فيها يتجلى هذا الجانب الايديولوجي عند الشاعر قصيدته في مدح العلامة الكبير السيد مهدى القزويني ، في هذه القصيدة يعرض بأسلوب غير مباشر لمسألة رد الشمس لامير المؤمنين علي (٤) ، و لترقب ظهور الامام المهدى (٥) عجل الله تعالى فرجه ، و غير المباشرة هذه في ذكر رد الشمس و ظهور المهدى ، تشف الى حد بعيد عن مدى تغلغل عناصر الايديولوجيا الشيعية في اعماقه ، حتى تنثال من بين شفتيه . و لو كان الحديث عن مجال آخر .

---

١) نفسه ص١٥ .

٢) نفسه ص١٦ .

٣) الديوان ج ٢ ص١٩ .

٤و٥) نفسه ص٢٥ .

و هو في نفس هذه القصيدة، يعرّج على ذكر الامام الحسن المجتبى (١) بن علي بن ابي طالب جد الممدوح، ولهذا فان الممدوح امام مدى تزهر النبوة منه بطلعة بدر كاملة السعد، وبأرج نشر الامامة من عطفه فواحا يشي عن ارج الندّ و هو لولا احترام الامام الباقر باقر العلوم، لما كان له من ندّ في الفضل والعلم.

و هكذا تنضح ابياته ابدا بهذه النزعة الايديولوجية..

المديح المباشر :

اذا كان للشاعر قصائد مديح على الطريقة الكلاسيكية يبدأها بالغزل ثم يتخلص للمديح. فان له ايضا قصائد تبدأ بالمديح مباشرة من دون اي مقدمة، من ذلك قصيدته في صبحي بك احد الحكام الذين كانوا محبوبين من الشعب و ذلك على لسان العلامة الميرزا جعفر القزويني :

لتلق ملوك الارض داوها يد الصلح	حذار حسام صاغه الله للفتح (٢)
و اجرى فرندا فيه من جوهر العلى	غدا يخطف الابصار باللمح و اللمح
لو الدولة الغرّاء يوما تفاخرت	مع الشمس قالت اين صبحك من "صبحي"

و مما تجدر الاشارة اليه هنا ان هذه القصائد المدحية كان يقولها التماسا من بعض الاخوان، و هذا يبين لنا انه لم يكن يقصّد قصائده طمعا في مال و لا رغبة في نوال و انما بمحض عفوية و اريحية، كالسخي الذي يحلي للعطاء ولانه هكذا خلق لا لكي يقال انه جواد كريم.. و هو نفسه رحمه الله يلفت الانظار لهذا فيقول مجيبا بعض معاتبيه على المدح قائلا " لانك قد علمت اني لم امدح الا من لو حملت لبعض المجيزين منهم الاجازة، لكان من شرف الرياسة الكبرى بمفازة و أي مفازة، و زعمت انك قد بلغت من الرفعة و السناء ما استغنيت به عن المدح و الثناء..

فاذا مدحت فلا لتكسب رفعة	للشاكرين على الاله ثناء" (٣)

---

١) نفسه ص ٢٥. ٢) نفسه ص ٢٠.

٣) الديوان باب الخطاب الجزء الثاني ص ٢٣٩.

وبوسعنا ان نلحق بباب المديح من الجزء الثاني باب التهاني وباب الاخوانيات من الجزء الاول .

بعد هذه الوقفة العجلى مع المديح ننتقل الى الحماسة والفخر .

كثير من النقاد تتداخل عندهم الحماسة والفخر،[1] بل ان الحماسة ناحية من نواحي الفخر، وعلى وجه التحديد فان الفخر الحزبي - كما يقول حنا الفاخوري - هو شعر الحماسة (٢) . والحماسة نشأت مع العربي منذ كان . ولما كان الفخر والحماسة من نتاج العاطفة الشديدة والانفعال العميق فقد حفلا بالمغالاة، وانطلق فيهما الخيال مضخما مهولا ؛ وبرزت فيهما الحقائق التاريخية مجلببة بجلباب العاطفة، وتشتد فيهما الاساليب الكلامية والالفاظ والحروف اشتدادا "هدارا" يرافق انفجارات النفوس واصطخابات القلوب، كما يرافق في مجالات القتال صهيل الخيول، وقعقعة الاسلحة، وجلبات المنون . وشعر الحماسة هو شعر تحريض، ومداره على استنهاض الهمم وبث روح العزائم لدفع عدو او لرفع ضيم (٣) .

" والافتخار هو المدح نفسه - كما يقول ابن رشيق، الا ان الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار" (٤) .

اذا كان هذا هو شعر الحماسة والفخر فما عن دور شاعرنا في هذا المضمار ؟؟

حماسته :

ان المطلع على القصائد الحماسية المبثوثة في ديوانه يلاحظ تداخل الفخر والحماسة والمدح عنده ايما تداخل، تتداخل الحماسة عنده والفخر الذاتي الشخصي، كما تتداخل مع الفخر الحزبي والقبلي، وذلك حين يعمد للافتخار ببني هاشم قبيلته، وبالنبي محمد "ص"، وآله (٥) الاطهار . فمن المثال على حماسته وافتخاره قصيدته التي يستهلها قائلا :

---

١) يلاحظ كتاب الفخر والحماسة من سلسلة فنون الادب العربي ص٦ بقلم حنا فاخوري، ومن عنوان الكتاب نستشف مدى التداخل بين غرضي الفخر والحماسة . ٢) نفسه ص٦ .
٣) التعريف في الادب العربي رئيف خوري ص١٣٨ . ٤) يلاحظ كتاب العمدة لابن رشيق ج ٢ ص١٤٣ . ٥) يلاحظ الديوان ج ١ ص١٣٤، وج ٢ ص١٦ و ١٩ و ٢٥ .

ورائك اليوم عن لهوى و عن طربي فان قلبي امسى كعبة السوب
لا تطمعي في وصالي ان لي كبدا تهوى وصال العلى لا الخوّد العرب(١)

الى ان يقـــول :

في السمر لا السمر (٢) معقودهوا ي و للبيض الظُبا ليس للبيض الظُبا طربي
و ما عشقت سوى بكر العلى ابدا و لست اخطبها الا بذي شطـب (٢)

الى ان ينتقل للتفاخر بمعشره مصطرخا :

لم يسرق الدهر لي فضلا و لا شرفا و ما ادعائي العلى و المجد بالكذب
و انها لمساع لا نظير لهـــا ورثتها عن اب من هاشم فـــأب
من معشر عقدوا قدما مآزرهـــم على العفاف و كانوا انجب العرب
و الارض لم تبق منها بقعة ابـــدا الا سقوها برقراق الدم السرب(٣)

أرأيت الى هذه الحماسة المؤّارة بالفخر ذاتا و معشرا ، و بالسمو نفسا و مطمحا .

على هذا المنوال كان ينسج في حماسته و افتخاره . فهو يفاخر ابدا بحسبه الهاشمي الصراح ، و بنفسه الكبيرة الطموح . و ربما عرض عبر حماسته و افتخاره لاستنهاض الحجة المهدى . و هذا دليل على تسرب ايديولوجيته الى شعره بشكل لا شعوري . كما في القصيدة التي يفتتحها بقوله :

يا غمرة من لنا بمعبرهـــا موارد الموت دون مصدرهـــا (٤)
يطلفح موج البلا الخطير بها فيغرق العقل في تصـــورها

ثم يروح يناجي صاحب الامر ليفرج كرب المضطرين ، و يطهر الارض من رجس الضلال هاتفا من اعماقه :

---

١) الديوان ج ٢ ص٦ .
٢) السمر الاولى الرماح و الثانية الغيد الملاح .
٢و٣) نفسه ص٦ .
٤) الديوان ج ٢ ص٧ .

يا غيره الله لا قرار علـــى	ركوب فحشائها و منكرهـــا
سيفك و الضرب ان شيعتكـم	قد بلغ السيف حزّ منحرهـــا
مات الهدى سيدي نقم وأَمت	شمس ضحاها بليل عثيرهـــا
و اترك منايا العدى بأنفسهم	تكثر في الروع من تعثــرها (١)

و هكذا ، بعد ان الممنا بالجانب الشديد اللصوق بالايديولوجية من اغـراض شعر شاعرنا ، مستثنين الرثاء آنيا ، لاننا سنعقد له فصلا خاصا في الباب الثالث من هذا المؤلف، نكون بذلك قد قمنا بمحاولة اضاءة بعض من مساحة آثار هذا الشاعر • و ليـــس لنا هنا ان نسهب في مجال اجلاء كل نواحي هذه الاثار غرضا غرضا ، لنظل ضمن اطـار موضوعنا ، و تقيدا منا بالمنهجية السليمة ، لنبقى في حدود ايديولوجية الشاعر عبر رثائـــه للامام الحسين • و قبل ان ننتقل الى باب ايديولوجيا الشاعر عبر رثاء الامام الحسيـــن ، لا بد لنا من وقفة و لو متسارعة مع هذا الامام لنعرف من هو و لنستلهم آثاره و مآثره ، التي جعلت شاعرنا يحتضنها و يتبناها من خلال الايديولوجية الشيعية التي تنتظم اشعاره ••

فماذا عن هذا الامام العظيم ؟؟

---

١) الديوان ج ٢ ص ٧٠

الباب الثاني
الامام الحسين آثار و مآثر

الفصل الاول : عصره

تمهيد :

في اشرف بيت و من اعرق اسرة قرشية، من سلالة هاشم بن (١) عبد مناف ولد الحسين • و في احضان اسمى مدرسة تربوية ترعرع • و على رأس المشرفين على هذه المدرسة التربوية كان جده النبي محمد "ص" حامل مشعل الانسانية في ديجور الجاهلية الحالك • يعاضده الامام علي بن ابي طالب والد الحسين، ناذرا نفسه للرسالة السمحاء، عاقدا العزم ان ينتصر لها مهما غلا ثمن التضحية • و مع هذين العظيمين امه فاطمة الزهراء مثال التقى و عنوان الطهر و النقاوة •

عصره (٢):

ولد الحسين سنة ثلاث او اربع للهجرة و استشهد في العاشر من محرم بكربلاء من ارض العراق سنة احدى و ستين للهجرة • و كان عمره سبع و خمسون سنة و ستة اشهر(٣) • عاش منها مع جده ست او سبع سنين و شهور • و مع ابيه بعد وفاة جده ثلاثين عاما • و مع اخيه سبعة و اربعين عاما، و بعد وفاة ابيه نحو عشرين عاما(٤) •

في عهد النبي (٥):

هذا العهد كان عهد طفولة الحسين، تلك الطفولة السامية التي ترعرعت على يد النبي و عاشت على حبه و مداعبته •• و تعامله معه كما يتعامل مع الراشدين، اذ

---

١) حول النسب يلاحظ الفصول المهمة في معرفة الائمة لابن الصباغ ص ١٥٦ •
٢) ثمة تداخل بين العصر و البيئة، لانه تداخل الزمان و المكان "يلاحظ حول ذلك فن المستجيب العاني و عرفانه للدكتور اسعد علي ص ٢٣ـ٢٤ • ٣) الكافي للكليني ص ١٨٨ • و مناقب آل ابي طالب ص ١١٢ من الجزء الرابع • ٤) اعيان الشيعة الجزء الرابع ص ١١٢ •
٥) عن الحسين في عهد النبي يلاحظ مناقب آل ابي طالب جزء ٤ ص ٣٤ـ٣٨ و نفسه ٧٨ـ٨١ •

اخذ منه البيعة وهو صغير ولقد كان يجلسه بجانبه الى المنبر ، لتنطبع في نفسه تعاليم الرسالة بكل ابعادها ، فيصبح منها كالضوء من المصباح ، او كالدفء من الحرارة. وكذلك حرص النبي ان يجعل من طفله كما اراد ان يجعل من مؤمني المسلمين ينابيع نور، لا اجساما نيرة وحسب.

في عهد ابي بكر:

اخبار الحسين في هذا العهد قليلة للغاية، اذ كان في التاسعة من عمره في عهد هذا الخليفة. وقد شهد أباه في هذا العهد ، وقد اقام امدا غير يسير على خلاف ابي بكر[1] وفي هذا العهد رزئ بأمه الزهراء. وكان هذا الرزء عظيم الوقع في نفس الحسين ، بعيد الاثر (٢).. خصوصا انها توفيت ولم تبايع هذا الخليفة. وقد كان بيت ابيه موضوعا تحت الرقابة الشديدة و انتهكت حرمته بدون لباقة فقد بقي ابوبكر متأثرا نادما ندما عصبيا على ما فرط منه (٣). ولقد كان للسيدة فاطمة تجاه هذا التصرف موقف ايّما موقف ، وخطبت خطبة بالغة تحتج على ذلك وكانت كأنها تنطق عن لسان ابيها محمد "ص" (٤): تبتدئها بالتحميد والتمجيد لله عز وجل له : "ابتدئ بالحمد لمن هو اولى بالحمد و المجد و الطول، الحمد لله على ما انعم ، وله الشكر على ما الهم... و اشهد ان لا اله الا الله ، كلمة جعل الاخلاص تأويلها ، و ضمّن القلوب موصولها و ابان في الفكر معقولها..." وهي خطبة بليغة طويلة.. فيها خطاب و تعنيف على المسلمين من المهاجرين و الانصار ، لسكوتهم عن حقها و ارثها المبتز.

ان اجتزاء قسم منها لا يغني، وما هو الا اشارة. وان قراءتها تلقي اضواء كثيرة على عديد من الامور و تترجم موقفها من الخلفاء و من مراقبة بيتها و ايذائها.

لا جرم ان تترك هذه الحوادث اثرها في نفس الحسين ، و ان تدفعه لان يعمل جاهدا ، ليكمل رسالة امه ، خصوصا و ان الغلام في مثل سن الحسين يومذاك يكون شديد التأثر بما يطرأ على امه من حوادث و ما يعتمل في نفسها من مشاعر.

---

١) يلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص٢٩٧ و ما بعدها.
٢) لقد اكد وليم مكدوجل وراثية الغرائز، و خضوع العواطف في تكوينها الى تأثير الظروف الخارجية و المميزات التي يقوم بها الكائن الحي يلاحظ في ذلك مقدمة في علم النفس العام لعبد السلام عبد الغفار ، دار مكتبة الجامعة العربية ص ٨٥.
٣) الامام الحسين للعلايلي ص٣٠٣ـ٣٠٤ ـ ٤٠٣ تحتج في هذه الخطبة على ابتزازها فدكو هي ارثها من الرسول .يلاحظ الخطبة كاملة في دلائل الامامة للطبري ص٣٠ و ما بعدها و الحوار حول فدك ص٣١ـ٣٩.

في عهد عمر بن الخطاب:

" انزل عن منبر ابي ، و اذهب الى منبر ابيك(١)" بهذه الكلمات التي لست أدري بما أصفها ، خاطب الحسين الغلام يومذاك، عمر الخليفة الجالس فوق اعواد منبر الرسول ، و الناس من حوله في صمت يصيخون •

تعجب عمر للرجولة المبكرة التي تطل من بين عيني الغلام فتدفعه لان يقول ما قال • ولكن عمر يريد ان يستشف ما وراء هذا القول ، •• هل هي براءة الطفولة، ام ان ثمة من اللتى في روع الغلام ما ألقى • فيسأله عمر : " من علمك هذا فيجيبه " و الله ما علّمني احد " • فيا للقسم الرائع يتثال على لسان الغلام و كأنه حدس بما يجول في نفس السائل ، فجاء بقسمه يبدد تلك الشكوك، و يسر عمر لدلائل النبوغ و علامات الرجولة تبدر من الغلام، هذا الذي طالما رقى المنبر، و جلس الى جانب الرسول ، و طالما سمع هو من الرسول ما سمع في حقه و حق اخيه : فيطلب اليه عمر " بأبي لو جعلت تغشانا (٢) و هو اذ يغشاه الحسين يكون كمن يرى الرسول في ذريته ، اوليس في الذرية تخليد للـــــذات ••

و مرة ثانية قصد الحسين الخليفة الثاني ، ليلتقي ابنه بالباب، قد حيل بينه و بين الدخول ، فأبوه خال بمعاوية• فيعود الحسين ، حتى اذا التقاه ابن الخطاب استعتبه على عدم مجيئه فيخبره الحسين بما جرى و عندما انثال على لسان الخليفة الثاني قوله تبلغ من الصدق جوهر الصدق، و من الروعة جمال الروعة " مالك و لابن عمر ، فوالله ماانبت ما ترى في رؤوسنا غير الله ، ثم انتم"(٣)•

و لا غرابة ان يجرى على لسانه مثل هذا القول ، اذ طالما انثال على لسانه اقوال من هذا القبيل • اوليس هو الذى يقول " لولا علي لهلك عمر" • و" اقضانا علي " •ولا كنت لمعضلة لست لها ابا الحسن (٤)•

١) تذكرة الخواص، سبط بن الجوزى ص ٢٤٤ــ٢٤٥، الامام الحسين للعلايلي ص ٣٠٥•
٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٢٦٧ • ٢) الامام الحسين العلايلي ص ٣٠٧•
و يلاحظ ايضا فضائل الخمسة ج ٣ ص ٢٦٧•
٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٢٦٧ • ٣) الامام الحسين للعلايلي ص ٣٠٧ •
٤) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٤٤ــ٤٥ و ما بعدها • و مناقب آل ابي طالب الجزء الثالث ص ٤٠٨ ٤) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢٧٣ ٤) واسلام بلا مذاهب الدكتور مصطفى الشكعة دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٣ ص ١٤٤•

.. اوليس هذا الخليفة نفسه المعروف بصرامته الشديدة و بحزمه الوازع تتكدر نفسه و تبتئس لانه لم يكس الحسن و الحسين من الحلى (١) التي جيء بها من اليمن، و التي جلس عمر يوزعها على المسلمين، ما بين القبر و المنبر، في المكان الذى قال عنه الرسول انه روضة من رياض الجنة. لذلك ارسل عمر لعامله على اليمن ان عجل بارسال كسوتين لحسن و حسين .. فما هداه ان يخطر الناس بهذه الحلى دون ريحانتي الرسول.

في عهد عثمان بن عفان: (٢)

في عهد هذا الخليفة كان الحسين قد بلغ مبلغ الشباب. فكان له من المآثر ما يليق بشاب من طراز الحسين. لقد ذهب الحسين في هذا العهد كجندى في الحملة التي سيرها عثمان الى طبرستان (٣) تحت قيادة سعيد بن العاص. لقد ذهب كجندي متناسيا كل حفيظة، باذلا كل شيء، مجاهدا لتكون كلمة الله هي العليا، و لكن الحسين يفهم الجندية في الجيش الاسلامي على انها رسالة و امانة ينبغي ان تؤدى على حقيقتها، لتكون تبليغا للناس معنى الاسلام، و هدف رسالته ... لذلك رأيناه لم يسكت امام ما ارتكب سعيد بن العاص. اذ اعطى الامان لاهل طبرستان ان يستسلموا ليعفوا عنهم. و لكن ما ان استسلموا و عادوا من حصنهم، ما عتّم ان اباد هم و نهب ما في الحصن، ناكثا عهده، خافرا ذمته .. عندئذ وقف سبط الرسول مستنكرا على رئيس الجند استنكارا صارخا، لخروجه عن حظيرة الاسلام، و نكثه بمستأمنين، مدينا اعماله التي انتهكت حرمة مبادىء الاسلام و عبثت بمثاليات الشريعة السهلة السمحة (٤).

و هكذا افهمنا الحسين بانضوائه في جند عثمان، معنى الحزبية الصحيحة الذى يجعل الحزبية امانة في عنق المحازب، لا عصبية مستحكمة تردد مع الشاعر:

و هل انا الا من غزية ان غوت   غويت و ان ترشد غزية ارشد

---

١) الامام الحسين للعلايلي ص٣٠٨.
٢) عن الحسين في هذا العهد يلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص ٣١٠ــ٣٢٠.
٣) العلايلي في الامام الحسين ص٣١٣ .
٤) نفسه نفس الصفحة.

و مما يجدر ذكره في هذا الصدد ، انه حين اندلعت الثورة على عثمان و اقتحم الثوار عليه داره ، كان الحسن و الحسين ، حسب تعليمات ابيهما (١)، يذبان عن الخليفة، حتى جرح الحسن و اصيب الحسين في حين ان مروان بن الحكم قريب الخليفة، وقف يشتم الجماهير الثائرة المتأشبة حول عثمان و يتحداها ، بدل ان يدلي لهم بكلمة تطامن سورة غضبهم (٢)• فزاد الثورة استعارا ، و اتون النقمة اشتعالا ، كذلك سكت معاوية و لم يتحرك لينقذ الخليفة • و مروان هذا و معاوية و اشابتهم من الامويين الذين اطلق عثمان يدهم في امور الدولة يعيثون فسادا و يبثون رعبا (٣) هولاء كانوا من اهم اسباب الثورة المستمرة على عثمان •• و حتى عائشة التي طالبت فيما بعد بالقود لعثمان و حملت قميص ثأره مع من حملوه هي نفسها كانت من اشد المؤلبين على عثمان (٤) • حتى قالت لمروان " لوددت انه (اى عثمان) مقطع في غرار من غرائري و اطيق حمله فأطرحه في البحر" • كل هذه المشاهد كانت تتشعب في نفس الحسين ، و كل هذه الحوادث كانت تترك اثرها فتزيد ايمانه ايمانا ، و تضاعف من تصميمه على ان يحمل مشعل الرسالة من بعد جده ، ولا بدع ان يكون كذلك هذا الذى غذّى بلبان العقيدة و نمت اعصابه على نميرها ، و كان ميراثه العقلي منبثقا منها • لقد تلمذ في الاخلاص لهذه العقيدة، و التضحية في سبيلها على يد ابيه الذى ردد في وجه المتناحرين على السلطة حتى سدّت آفاق وجودهم :"لولا ما اخذ الله على العلماء من الا يقارّوا على كظة ظالم و لا يسكتوا عن سغب مظلوم، لألقيت حبلها على (٦) غاربها و لسقيت آخرها بكأس اولها ، و لألفيتم دنياكم هذه اهون عندى من عفطة عنز•"

---

١) مروج الذهب ج ١ ص٦٠٢ • ١) الفتنة الكبرى ج ٢ ص٧ و ما بعدها لداه حسين•
٢) يلاحظ مروج الذهب للمسعودى ص٣٠٢ و ما بعدها من الجزء الاول•
٣) الامام الحسين للعلايلي ص٤١ و ص ٤٥ وقولة طلحة "لو دافع مروان ما قتل عثمان" •
٤) يلاحظ الفتنة الكبرى الجزء الثاني ص٢٦ حيث يقول طه حسين " كانت عائشة من اشد نساء النبي انكارا على عثمان و كانت فيها نزعة جاهلية" و يلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص٤٥ و قوله عائشة لعثمان " هذا قميص النبي لم يبل و قد ابليت سنته " و نفسه ص ٤١ • ٤٠) و يلاحظ مروج الذهب الجزء الثاني ص٨ حيث يقول عمار بن ياسر الصحابي الجليل مناديا " عائشة " و مدينا لها بقتل عثمان :

فمنك البكاء و منك العويل ... و منك الرياح و منك المطر
و انت امرت بقتل الامام ... و قاتله عندنا من امر

٥) الامام الحسين للعلايلي ص٢١٧•
٦) نهج البلاغة للامام علي شرح الشيخ محمد عبده منشورات المكتبة الاهلية ببيروت ص ٣٦— ٣٧•

في عهد والده :

في هذا العهد عايش الحسين المحن التي مر بها ابوه العظيم • من تأليب عائشة الناس على عثمان ، للين هذا الامام ترف عصبته من الامويين على حساب الديـــن ، و تخاذلهم امامهم و تركه لهم الحبل على غاربه ،لا يحاسبهم في شيء ولا يسمع فيهـم كلمة ناصح • فقامت الثورة عليه من الامصار و سكت عنها هؤلاء المترفون على حسابه ،الذين استغلوه ابشع استغلال ، لقد سكتوا عن نقمة الناس عليه ، حتى صرع، ثم اذا هم يحاولـون ان يفيدوا من هذا المصرع و يستغلوا عثمان ميتا كما استغلوه حيا ، فحملوا لواء المطالبـة بثأره • و كانت معركة الجمل (١) و ثم معركة صفين (٢) و ما تخللها من خدعة معاوية و عمر بن العاص برفع المصاحف، ثم ما كان من امر التحكيم و خروج الخوارج ، فمناجزة اميـــــر المؤمنين لهم (٣) • و الحسين يرى كل ذلك و يعتبر • لقد نصح ابوه لعثمان ما وسعتـه الوسيلة • لم يأل جهدا في ذلك ، كما فعل في عصر الخليفتين الاولين • وكتب التاريـــخ مليئة بمواقف علي عليه السلام و نصحه له ، و حرصه على ان يجنبه مغبة بطانة الســوء و حاشية الضلال من الامويين • و لكنه لم يرعو و لم يلق اذنا واعية • حتى ثار الناس ضـد سكوته عن هذه الطغمة(٤) • و صب المؤمنون سوط نقمتهم و عنفوا عليه في ذلك • و بـدل ان يستجيب للناصحين المشفقين ،اذ هو يعمد الى نفي ابي ذر الغفارى(٥)،صحابي رسـول الله الكبير ، هذا الذى " ما اقلّت الغبراء و لا اظلّت الخضراء لهجة اصدق منه " كمـا قال عنه الرسول الكريم (٦): و هكذا تسبب الامويون بقتل عثمان ، كما تسببوا من قبل بقتـل عمر على يد ابي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة احد صنائع الامويين • فلم يكن محض مصادفـة ان يموت عمر على يد غلام رجل هو من هو من الامويين ، هؤلاء الذين كانوا يرون في شـدة عمر الشديدة و صرامته الحازمة في تطبيق القوانين ، ما كان يخيفهم و يوجلهم على مطامعهـم او لم يكن معاوية اخوف من عمر من (يرفأ) غلامه (٧)•

---

١) مروج الذهب ص ٥ الجزء يلاحظ مناقب آل ابي طالب ص ٨٨ • وما بعدها من الجزء الرابع• و حرب الجمل هي الحرب التي خاضها علي ضد طلحة و الزبير عندما عصوا بالبصرة، وكان من اشد الدعاة لهذه الحرب عائشة التي تقدمت على جمل تستنهض الناس ضد علي رغم نهي الرسول لها عن هذا الموقف و قد انسحب الزبير من المعركة عندما ذكره علي بأقوال الرسول و نهيه له عن هذه الحرب و يلاحظ العلايلي ٤٦٤ و ما بعدها في الامام الحسين

٢) مروج الذهب ج ٢ ص ١٣ • ٢) المناقب ص ٩٥ وما بعدها • و هذه الحرب خاضها الامام ضد معاوية الذى زحف بجند الشام و كادت الدائرة تدور على معاوية لولا خدعة رفـع المصاحف بناء على مشورة عمرو بن العاص و يلاحظ العلايلي ص ٤٧ و ما بعدها، و الامام علي نظرة عصرية جديدة ص ١٢٧ وما بعدها تأليف محمد عمارة وزملائه ، المؤسسة العربية للطباعة و النشر سنة ١٩٧٤ اولى • ٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦ و ما بعدها ٣٠) المناقب ١٠٣ =

هذه الفئة المتآمرة من الناس المشحونة حقدا و شنآنا • كان لهم حزب (١) يعمل خفية و يستفرص الفرص من لدن عهد النبي للانقضاض على المسلمين و تبديد شملهم اذ كيف يمكن ان يؤمن بدين المساواة و العدالة ، من يفقد آخر مزية له ، اذ هو تخلص من جشعه • و تخلى عن امتصاصه لدم الشعب؟؟

و لعل في الابيات التي انشدها يزيد اثر مقتل الحسين خير ترجمة لما كان يجول في رأس الملوك الامويين :

لعبت هاشم بالملك فـــلا	خبر جاء و لا وحي نـــزل (٢)
قد قتلنا القرم من ساداتهم	و عدلناه ببدر فاعتـــدل

فمن البديهي ان يكون لهذه الاحداث التي المت ، اثرها في الحسين ، فكانت تزيد رؤيته وضوحا ، كما كانت تترسب في اعماق نفسه ، و تعمل عملها في استمرار انمــاء عقيدته على الاخلاص للدين الحنيف و التفاني في سبيله ••

في عهد معاوية:

اغتيل امير المؤمنين علي و هو ساجد يؤدي صلاة الفجر ، و العبد اقرب ما يكون من ربه و هو ساجد على ما جاء في الاثر:

قتلتم الصلاة في محرابهـــا	يا قاتليه و هو في محرابـــه (٣)
و شق رأس العدل سيف جوركم	مذ شق منه الرأس في ذبابـــه *

= وما بعدها • والامام الحسين للعلايلي ٥١ وما بعدها •

٤) " لقد حقق هؤلاء مطامعهم الاجتماعية على حساب التعاليم الاجتماعية الثورية التي بشر بها الاسلام و على حساب جماهير الفقراء اثناء خلافة عثمان ، يلاحظ علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة ص ١١ وما بعدها •

٥) مروج الذهب ج ١ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ • (هوامش للصفحة السابقة)

٦) الامام الحسين للعلايلي ص ٢١ •

٧) نفسه ص ٤٥ •

١) العلايلي الامام الحسين ص ٣١ وما بعدها ، و في اماكن متفرقة من الكتاب • ٢) مقتل الحسين للخوارزمي الجزء الثاني ص ٥٩ • ٢) مقاتل الطالبيين ، ابو الفرج الاصفهاني ص ٨١ • و يقال ان هذه الابيات ليزيد او تمثل بها يزيد و هي لعبد الله بن الزبعرى انشدها يوم احد لما استشهد الحمزة عم الرسول (نفسه ص ٦٧) ٣ •) من ابيات للسيد حيدر الحلي في مصرع الامام علي • ديوان السيد حيدر الحلي • تحقيق الخاقاني المطبعة الحيدرية النجف =

ذباب السيف : حده

اغتيل امير المؤمنين علي ، فخلا الجو لمعاوية، خصوصا بعد ان تم صلح الحسن.
وهنا لا بد من اشارة مقتضبة بما يبتينا في حدود موضوعنا ، وهي ان صلح الحسن عليه السلام كان موفقا جدا ، فمن الناحية السياسية لم تكن الظروف ملائمة لغير ذلك ... وكان لهذا الصلح ابعادا عميقة كشفت عنها الايام، اذ اسفر بعده معاوية القناع عن وجهه ان كان ثمة من قناع . واذ به يرتكب الكثير من الجرائم والجرائر في حق الدين . كمقتل حجر بن عدي(١) صاحب رسول الله ، وعمر بن الحمق، ورفاعة بن شداد وغيرهم من خيار المسلمين وصالحي المؤمنين . واطلق يد زياد بن ابيه (٢) وغيره من صنائع الامويين. ولم يكتف معاوية بذلك بل انه نكث العهد الذي قطعه للحسن والذي كان من شروطه ان لا يتعرض لاحد من شيعة علي ، وان لا يستخلف من بعده احدا . فتجاوز كل ذلك وأودى بحياة من اودى من صالحي المسلمين ، وطلب البيعة لابنه يزيد ، المستهتر(٣)، السكير العربيد ، على ما اجمعت عليه الروايات المستفيضة . ولا ادل على ذلك من شماتته بالجيش الذي سيره ابوه لبلاد الروم الذي تقاعس عن الانضواء فيه . فشمت لما تعرض له هذا الجيش من جوع ومرض شديدين وأنشأ يردد (٤):

ما ان ابالي بما لاقت جموعهم	بالفرقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الانماط مرتفقا	بدير مران ، عندي ام كلثوم

= الاشرف سنة ١٣٦٩ هـ . ١٩٥٠ م ص ٥٦.

١) مروج الذهب جزء ٢ ص ٣٩.

٢) هو زياد بن ابيه امه سمسية احدى البغايا . ادعاه معاوية واستلحقه به اذ جعله اخا له لان ابا سفيان بن حرب كان يتردد على سمية . ولكن زيادا ولد على فراش عبيد ثقيف . لذا فان ادعاء معاوية له مخالف لقول الرسول : " اذ قال " الولد للفراش وللعاهر الحجر" . يلاحظ الفتنة الكبرى جزء ٢ لطه حسين : ص ٢٠٢ .. ٢٠٨ وهذا الاستلحاق لزياد هي احدى الموبقات التي اخذها الحسن البصري على معاوية (نفسه ٢٢٧)

٢)مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٤١.

٣) مقتل الحسين للخوارزمي ص ١٧٢ والامام الحسين للعلايلي هامش ص ٣٤ وص ٦٠ وما بعدها ، ويلاحظ الجزء الثاني من الفتنة الكبرى ٢٢٧ . فهو كذلك بشهادة الحسن البصري ومحمد بن ابي بكر ... ويلاحظ ابو الشهداء للعقاد ص ٦٢.

٤) ابو الشهداء ص ٦٤ . الامام الحسين للعلايلي هامش ٣٤.

والواقع ان في هذا الاستخلاف ليزيد، عدا نكث العهد والخروج عن الدين، ان فيه خطلا في الرأى والسياسة(١)• اذ لو كان معاوية ذا تفكير سياسي سليم، كما يصور، لأحجم عن هذا، او لكان على الاقل عمد الى استحداث سلطتين قضائية وسياسية •• ويعهد بالسياسية ليزيد •

ولكن دلّ هذا الاختيار على عدم فهم لروحية الجماعة، وعدم تدبير سياسي، يبدو اكثر جلاء حين امر بسب امير المؤمنين علي على المنابر(٢)• وتعقب اصحابه • وهذا من شأنه ان يقوّى من عزيمة اصحاب علي، اذ من بديهيات علم الاجتماع ان تتألف القلوب المظلوم وتجتمع على محبته، وتوحد صفوف اتباعه " وليس شيء من سياسة الناس يروّج للاراء ويغرى الناس باتباعها كالاضطهاد الذى يعطف القلوب على الذين تلم بهم المحن، وتصب عليهم الكوارث(٣)•

غزو القسطنطينية :

والذى يستوقفنا من الامام الحسين في عهد معاوية، رغم كل ما ينكره منه وما يأخذه عليه •• ان الحسين رضي ان يذهب طائعا مختارا لغزو القسطنطينية، في جيش كان آمره يزيد بن معاوية ••• هذا مثال جديد يضاف لنكران الذات وتناسي الحفيظة في سبيل الخدمة العامة، وفي سبيل العمل على نشر مبادئ الاسلام • لقد كان لهذه الغزوة اثرها في نفس الحسين وكانت من الاسباب التي جعلته ان ينقم فيما بعد على ولاية يزيد •• اذ خبر الحسين في هذه الغزوة يزيد عن كثب، ووقف على تصرفاته المتهتكة، يزيد هذا الذى رفض ان يذهب في هذه الغزوة، حتى حمله معاوية حملا على ذلك بناء على نصيحة زياد، ليحاول ان يضع حدا لمباذله وتهتكه • فذهب يزيد مكرها بعد ان جمع اليه في المعسكر، زمرة من رفاق السوء، ممن يملأون اذنيه بحدى الشهوات ويهيئون له جوا شبيها بالجو الذى فارق، مليئا بالاستهتار والمجون •

---

١) نفسه نفس الصفحة •

٢) يأمر معاوية بسب علي والرسول يقول لا يكون المؤمن لا طعانا ولا لعانا " الاعجاز والايجاز للثعالبي ص٢٢ •

٢) يأمر بسب علي والنبي يقول من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، يلاحظ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص٢٢٧ ـ ٢٣٠ •

٣) الفتنة الكبرى لطه حسين ج ٢ ص١٩٧ •

وهكذا بلاه الحسين عن كثب وخبر ميوله واهواءه، وتكشف يزيد امامه عن نزعات نفسه ونزغاتها، فكيف بعد هذا يسمح الحسين لنفسه ان يسكت عن تولي مثل يزيد امارة المسلمين، وكيف يمكنه ان لا يكون عنيفا في الحكم عليه ؟؟

... هذا هو عصر الحسين عليه السلام. عصر ملئ بالمشاحنات، مشحون بكل ما يثير. منذ وفاة النبي والزهراء حتى ملك معاوية ويزيد، على ما كان في عهد هذين الاخيرين من تنكب عن طريق الدين، والتواء به، الى جعل الخلافة ملكية قيصرية جاهلية! كادت ان تجتث شجرة دين التوحيد، لولا ان يرويها الحسين بدمائه الزكية فتمرع بعد يبس، وتورق بعد ذواء..

الفصـــل الثانـــي

حياة الحسين او معالم هداية و منارات حقيقة:

بعد هذه الالمامة المجلى بعصره ، لا بد من وقفة عند حياته التي تأثرت بهذا العصر، الى جانب ما اجتمع اليه من غنى الشخصية، و ما تراكب في جبلته من صفات ذاتية خالصة، فوّز بها على الاقران •

حياة الحسين ــ كما يقول العلايلي ــ عظة من التاريخ ، و لكنها تجمع التاريخ كله ، فليس معناها في حدود ما وقعت من الزمان و المكان ، بل حدود ها حيث لا تتسع لها حدود (١) •

و الواقع ان لحياة الحسين ، كما لحياة كل عظيم مظهرين في عالم الوجـــود : مظهر الحياة الاخبارية و هي التي تجمع اخباره و تتحدث عن ولادته و بيئته و عصـــره و مظهر الحياة الحقيقية و هي التي تسجل مآثره و تترجم لمناقبيته •

و سبط الرسول منذ طفولته اندمجت حياتية، فحياته الحقيقية المشعة كانـــت تواكب ابدا حياته الاخبارية و تعايشها ، فمن لدن صغره ، كانت له حسنات و لحياتـــه اشعة • • • و لقد تحدثنا في الفصول السابقة عن حياته الاخبارية ، و ها نحن سنعمــــد للحديث عن حياته الحقيقية او المشعة، و ان كانت كل حياته مشعة و سامية تسترعـــــي و تستوقف • فماذا عن حياته الثانية منذ ان تولى الخلافة بعد اخيه الحسن ، بل قبل ذلك منذ وفاة ابيه ، حتى لاقى مصرعه في سبيل واجبه الديني و التزامه الايديولوجي ؟ ؟ وهكذا سنحاول ان نتابع مسار حياته من لدن كان جنينا الى حيث استوى انسانا كاملا • • فماذا عن حياته و سيرته • • •

---

١) الامام الحسين للعلايلي ص ٩ •

قبل امامته :

قضى الامام علي ، سيف الله الذى ما نبت به في سبيل الحق ضربة ، ولا لانت له قناة ، فقام بالامر من بعده ابنه الحسن . فساس الامور كما يقتضي الظرف ، ويملي الواجب الديني ، حتى كان من امر صلحه مع معاوية ما كان ، وشرط عليه من الشروط واخذ من العهود والمواثيق المغلظة الشديدة ، التي نقضها معاوية ، ونكث بها ، غير مراع في ذلك إلا ولا ذمة .. الى ان قتل الحسن عليه السلام ، مسموما ، بدسيسة من (١) معاوية .. فآل الامر بعده الى اخيه الحسين .

الحسين اماما (٢):

انتقل الامام الحسن الى جوار ربه راضيا مرضيا .. واصبح الحسين الامام من بعده ، فصبر على معاوية كما فعل اخوه الحسن . لم يحاربه رغم ما نقض معاوية لشروط الحسن وعدم رعايته للعهود التي قطعها .. وفي هذا دليل على انه من انصار سياسة اخيه دفعا لقول من قال بخلاف ذلك . هذه السياسة الصائبة ، التي أرت الناس معاوية على حقيقته (٣) .. فبلغ السيل الزبى من استشراء الفساد والعبث بحدود الله ، من غير ما وازع ديني ، ولا رادع خلقي ، بل جعل القرآن ظهريا ، فاستقدم المغنين الى مدينة الرسول وبعث بالقيان . فانتشر الفساد ، وتعددت اوكار المجون (٤) .. في محاولة

١) صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص ٣٦٢ـ٣٦٥ ، ومروج الذهب للمسعودى ج ٢ ، ص ٣٦ حيث يذكر قول الامام الحسن عند وفاته " لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته ، والله ما وفى بما وعد ولا صدق فيما قال " .

٢) حول امامته يلاحظ الكتب التالية : مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب ج ٤ ص ٦٦ . وما بعدها . وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى ص ٢٤٣ وما بعدها . ومقتل الحسين للخوارزمي ص ١٤٣ . وكتاب النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر للعلامة الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي . ص ٤٤ وما بعدها .

٣) يلاحظ كتاب صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص ٣٧١ .

٤) يلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص ٦ وص ٢٤٦ .

لا لهاء الناس عما يفعل الامويون ، و عما يقومون به من اعمال كلها حرب على الاسلام و هدم لمعالمـــه . (١)

امام تيار هذه الاحداث التي توالت ، ثانجرفت بالحياة الاسلامية عن سننها المرجوة التي وضعها النبي ، و ركزت في نفوس افراد كثيرين و جماعات كذلك ؛ .. وقف الحسين وسط هذا التيار الجارف، متحدا متهما ، لا يخشى ان يصرح بكلمة الحـــق ، و لا ان يعلن بالانتقاد ، في وجه الظلم و الطغيان .

فحين قتل (٢) حجر بن عدي على يد معاوية من غير ما جريرة .. ارسل الحسين كتابا لمعاوية .. هو بمثابة سجل لعبث السلطة ، و استهتارها بمقدرات الامة، و تجاوزها لحدود الله عدوانا و ظلما .

هذا الكتاب سجل للدماء التي سفكها الامويون ، و صرخة حق في وجه العبث و التلاعب و التجاوز الذي كان مدار سياستهم، و هو بيان لحقوق الشعب التي لا يمكـــن التغاضي عنها مهما كلف الامر، و يكشف ايضا عن جانب من اهم الاسباب التي دعته للخروج على يزيد فيما بعد (٣) .

و نحن لو تأملنا في هذا الكتاب لرأينا مدى عظمة هذا الينبوع الايماني الـــذى يصدر عنه الحسين . فمعاوية المعروف بغدره و ختله ، الذى فعل الافاعيل (٤)، لا يتهيب

---

١) نفسه نفس الصفحات .

٢) اعيان الشيعة الجزء الرابع ص ١٤١ ، و الامام الحسين للعلايلي ص ٣٢٨ وما بعدها .

٣) الامام الحسين للعلايلي ص ٣٢٨ و ما بعدها .

٤) الفتنة الكبرى لطه حسين الجزء الثاني ص ٢٢٦ و ٢٢٧ ، حيث ينقل عن الحسن البصـري قولـــــه :

" اربع خصال كن في معاوية . لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة :

١ـ انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء .

٢ـ استخلافه ابنه بعده سكّيرا ، خمّيرا .

٣ـ ادعاؤه زيادا ، و قد قال الرسول الولد للفراش و للعاهر الحجر .

٤ـ قتله حجر بن عدي . "

و ينقل هذا القول عن الطبري .

ابن علي ان يجهر في وجهه بكلمة الحق.

وكيف يتهيب، وعليها وقف وجوده، ولأجلها عاش.. فاذا هو يصارحه "اني لا اعلم فتنة اعظم على هذه الامة من ولايتك عليها، ولا اعظم نظرا لنفسي وديني ولامة محمد، افضل من ان اجاهرك(١).."

فالله الله.. كم هي جريئة هذه المجاهرة، والله الله كم انطوت عليه نفس ابا عبد الله من عنصر التضحية..

ثم نراه يردف قائلا بعد ان يعدد جرائم معاوية من قتله للامنين، ونكث العهود (٢)، وادعاء زياد (٣)، وتسليطه له على الناس يقتلهم ويقطع ايديهم وارجلهم ويسمل اعينهم ويصلبهم على جذوع النخل، مختتما هذه الفقرة بالكلمة الادانة" كأنك لست من هذه الامة وليسوا منك".

ان في هذا القول اتهاما من الامام الحسين "ع" لابن ابي سفيان في وطنيته وقوميته، وقد جعل من الدماء المراقة دليلا على ذلك. ورحم الله الصابي اذ يقول "ان الرجل من قوم ليست له اعصاب تقسو عليهم(٤)"

فلقد بلغت القسوة بالحكام الامويين مبلغا عظيما، فنظام الحكم في ذلك العهد كان اشبه بنظام الاحكام العرفية في ايامنا هذه، حيث تعلن حالة الطوارئ.. هذا النظام الذي يهدر الدماء ويتجاوز القانون..

وهذا الاجراء ان كان يعمل به في هذا العصر، في ظروف استثنائية ملحة وفي حالات خاصة من اجل الارهاب واقرار الامن، فان مثل هذا التدبير، كان في العهد الاموي هو النظام السائد.

---

١) الامام الحسين للعلايلي ص٢٣٨ وما بعدها، واعيان الشيعة ص١٤١ـ١٤٢.
٢) ما اكثر ما نكث بعهوده والرسول يقول "كرم العهد من الايمان"، يلاحظ كتاب الاعجاز والايجاز للثعالبي ص٢٢٣.
٣) يلاحظ مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠ـ٤١ حول زياد واستلحاقه بمعاوية، واخبار امه سمية. مع ما في هذا الاستلحاق من خروج عن قول الرسول وتعاليمه.
٤) الامام الحسين للعلايلي ص٢٣٨.

لقد كان في كتاب الحسين الاحتجاج الآنف الذكر، موقفا بطوليا سيظل يشع ابد الدهر، يزيد في مساحات الضوء التي كان يزرعها خلال حياته كلها • و ما اكثر مواقفه العظيمة •• و نحن سنورد بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ) موقفه من الوليد بن عتبة بن ابي سفيان والي المدينة من قبل معاوية:

حين دعاه لبيعة يزيد (١) • فجاهره ابن علي بالحقيقة " يزيد شارب خمر و لاعب نرد ، معلن بالفسوق و الفجور، و مثلي لا يبايع مثله " •

اي و ايم الحق مثل الحسين في سمو العقيدة و نبل الولادة، لا يبايع مثل يزيد في خبث المولد و الامعان في الاستهتار و اجتراح المآثم • هذا الموقف الشامخ الذي حدا بعباس محمود العقاد (٢) و هو يقارن بين اسرة بني هاشم و اسرة بني امية، ان يرسم كثيرا من علامات الاستفهام و التعجب حول النسب الاموي • انهم بنو عمومة، و لكن بينهم من تناقض الصفات خَلقاً و خُلقاً ، ما جعله يغمز في النسب الاموي، و لو من بعيد ، حين تساءل عن سبب الحاق امية لذكوان عبده ، ثم قيام حرب بن امية بتزويج امرأته على حياته من ذكوان هذا •• و ذلك ما لم يفعله احد من اشراف العرب في الجاهلية •• و لقد قضى نفيل بن عدي لعبد المطلب بن هاشم على حرب بن امية حين تنافرا و قال لحرب بن امية (٣):

ابوك معاهر و ابوه عف و ذاد الفيل عن بلد حرام ••

ب) موقفه من ارينب بنت اسحاق:

و هذا موقف آخر يسجل للحسين في مجال الخيرية و المشاركة الوجدانية • لقد كانت ارينب هذه او زينب[5] انثى مسحت عليها الفتنة بيد ، و مسح الاغراء عليها بالاخرى

---

١) مناقب آل ابي طالب الجزء الرابع ص ٨٧ • ويلاحظ مقتل الحسين للخوارزمي ص ١٨٠ وما بعدها و ابو الشهداء للعقاد ص ٣٢ • والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٦٩ •

٢) ابو الشهداء للعقاد ص ٤١ و ما بعدها •

٣) نفسه ص ٤٣ •

٤) ابو الشهداء للعقاد ص ٣٥ و ما بعدها ، و العلايلي الامام الحسين ص ٥٠٣ وما بعدها •

٥) العلايلي يتردد بين الاسمين ارينب او زينب، و العقاد يسميها زينب •• اما في مقتل الخوارزمي الجزء الثاني ص ١٥٠ وما بعدها ، فيوردا الحكاية تحت اسم ام ابيها هند بنت سهيل بن عمر و زوجها عبد الله بن عامر والي العراق من قبل معاوية •

فجاءت فتنة لو سبقت فينوس لتربعت قبلها على عرش الجمال • تزوجها عبد الله بن سلام ••
و كانا متحابين مخلصين ، اكثر ما يكون الحب و اشد ما يكون الاخلاص•

و لكن يزيد العربيد السكير لا يفهم شيئا من الحب و الاخلاص الزوجـــي.
انه يصدر عن نفس تملكتها الشهوة و سيطرت عليها النزعات، فهي تملي عليه و هو ينفذ ••
تعلق يزيد بأرينب، و عراه من الحزن و الوجوم ما جعله ينكمش على نفسه كمدا و حســرة
•• اذ كيف تفلت من بين براثن الذئب الشره نعجة لدنة طرية ؟؟

و ابوه معاوية ايفوّت على ابنه نزوة من نزواته •• اذن فليعمل الحيلـــة ،
و ليمعن في الكيد و الختل، ليهتبل الغفلة و ينقض على الفريسة •• و ما هو الا ان يرســل
وراء عبد الله بن سلام والي البصرة، فيبالغ في اكرامه و تعظيمه • من بعد ما ارســـل
له الهدايا من كريم الجواهر و اللآليء، مبالغا بالحفاوة به ، و لكنه كمن يسمّن النعجة.
ثم انه منّاه بالزواج من ابنته ،كما همس في اذنه عمرو بن العاص، الذى اردف و لكـــن
بنات الملوك لا تدخل على ضرائر •• و راحوا يزينون له ما في هذا الزواج من النفـــع
العاجل و الآجل ، و كيف سيغدو بعد ذلك واليا على العراق كلها •• فانخدع الـــزوج
المسكين ، و اعلن طلاق ارينب في جلسة سمر و انس و امنيات حالمة، من هذه الجلســات
التي يصبح معها الانسان سكران بالوهم •• و لكن معاوية ينكث بابن سلام بعد طـــلاق
زوجته ••• و هل كانت الغاية الا ذاك، و الا ففيم سمّنت النعجة •• و استفاق الـــزوج
المخدوع من سكرة الاحلام، فراح يعلن بالشتم و السباب • حتى كنت لا تسمع في كل مكــان
الا من يقول اتبلغ القحة بهذه العصابة حد التآمر بسعادة اسرة هانئة، تمرح في حـــب
و تسرح في احلام ••

اما يحلولي لها حياة الا اذا ولغت في دم، او عبثت بكرامة •• لقد تعـــدوا
طورهم فلا يرون الا راقصين على الاشلاء، لاهين بالجماجم، لا يضيرهم ان يسعدوا والنـــاس
من حولهم يألمون، و لا يشقيهم ان يشربوا كأسا مزاجها دموع البائسين، و حشرجـــــة
المحتضرين •••

•• و ارسل معاوية ابا الدرداء و ابا هريرة الى مدينة الرسول حيث كانـــت
ارينب قد اقامت بعد طلاقها ، ارسلهما ليخطباها على يزيد ••

ذهبا، ولكن أيحلان المدينة ولا يلمان بقبس الهداية ومشكاة الطهر:
الحسين سبط الرسول .. وما هو الا ان يعلمه بسبب مجيئهما .. فيدرك كل شيء،
ويفهم ابعاد المناورة الخسيسة التي حاكها معاوية وابن العاص.. وترجم هذا الحدس
" خدع معاوية عبد الله حتى طلق زوجته وانما ارادها لابنه .. لبئس من استرعاه
الله امر عباده، ومكنه في بلاده، واشركه في سلطانه .. يطلب امرا بخدعة من
جعل الله اليه امره " فعزم الحسين ان يعيد مياه حياة الزوجين البائسين الى
مجراها المرح الهانيء .. فطلب منهما ولكن اذكراني عندها خاطبا، ليفوت الفرصة
على احابيل معاوية.. فرفضت يزيد وقبلت بالحسين هذا الذي قال " ما ادخلتها
في بيتي رغبة في مالها ولا جمالها ولكن أردت احلالها لبعلها "(١).

تكفله بسد ديون اسامة بن زيد:

ذهب الامام الحسين ليعود اسامة في مرضه، فوجده مغتما يخاف ان يدركه
الموت ولما يقض دينه. فتكفل الحسين ان يسدده بالغا ما بلغ(٢)، برغم ما عرف عن اسامة
من قعوده عن نصرة الامام علي خلال حروبه ..

انسانية متسامية:

خرج سائل يتخطى ازقة المدينة حتى اتى باب الحسين فقرعه منشدا(٣):

لم يخب اليوم من رجاك ومن	حرك من خلف بابك الحلقة
انت ذو الجود، انت معدنه،	ابوك قد كان قاتل الفسقة
لولا الذي كان من اوائلكم	كانت علينا الجحيم منطبقة ..

وكان الحسين واقفا يصلي، فخفف من صلاته .. وخرج الى الاعرابي فرأى
اثر الفاقة والضر في غضون وجهه، فنادى قنبرا خادمه ليجيء له بما تبقى من نفقة، كان

١) ابو الشهداء، عباس محمود العقاد، ص٣٦.. والامام الحسين للعلايلي ص١٣٤.
٢) مناقب آل ابي طالب الجزء الرابع ص٧٦ ويلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص١٢٩.
٣) مناقب آل ابي طالب الجزء الرابع ص٧٦. ويلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص٢٨،
واعيان الشيعة للسيد محسن الامين ص١٢٦.

قد امر بتوزيعها في اهل بيته ، لانه جاء من هو احق بها منهم فدفعها الحسين الى الاعرابي و انشأ يقول :

خذها فاني اليك معتذر — و اعلم بأني عليك ذو شفقة (١)
لو كان في سيرنا الغداة عصا — كانت سمانا عليك مندفقة
لكن ريب الزمان ذو نكد •• — و الكف منا قليلة النفقة

فأخذها الاعرابي و ولّى و هو يقول :

مطهّرون ، نقيات جيوبهم •• — تجرى الصلاة عليهم اينما ذكروا (٢)
و انتم انتم الا علون ، عندكم — علم الكتاب، و ما جاءت به السور
من لم يكن علويا حين تنسبه — فما له في جميع الناس مفتخر ••

فأية انسانية فذة متسامية تتجلى في هذا الحادث• ليس اكبر مظاهرها ، ما رأينا من اعطائه للسائل كل ما تبقى عنده من نفقة ،و ايثاره له على خاصة اهل بيته •• بل يتراءى لي ان في تخفيفه من صلاته احتفالاً بذلك السائل المسكين ، مظهرا انسانيا رائعا لا يدانيه في مجال المشاركة الوجدانية و التجاوب الشعوري، الا ما كان من اجابته ، بأبيات من نفس الروّي و الوزن الشعري، على الابيات التي امتدحه بها السائل و استماح عطاءه •

(١و٢) نفسه نفس الصفحات•

الفصل الثالث
آثاره و مآثره

آثاره :

بعد ان المحنا الى شيء من سيرة الحسين و مواقفه الانسانية العظيمة بقي ان نشير الى شيء من آثاره و مآثره .

أثاره في مجال الحديث النبوي:

انتقل النبي الى جوار ربه و الحسين ابن ست او سبع سنين و هي سن لا تسمح لصاحبها بأن يروى الحديث، هذا بالنسبة لطفل عادي، اما بالنسبة لطفل من طراز الحسين اجتمع له من المؤهلات الشخصية و من غنى التربية و النشأة ما لم يكن لغيره ، فلا غرابة ان يكون له من التركيب البسيكولوجي و الفيزيولوجي ما يسمح له بنقل الحديث و روايته . حتى ان النبي كان يتعامل معه كراشد فأخذ منه البيعة وباهل به . و في هذا كبير اعتراف بما له من مستوى عقلي و نفسي يؤهله لكل ما يرجى من العاقل الراشد .

و من الاحاديث المسندة عن الحسين : " ما من مسلم و لا مسلمة تصيبه مصيبة و ان قدم عهدها فيحدث لها استرجاعا (١) الا احدث الله له عند ذلك اجرا و اعطاه ثواب ما وعده به يوم اصيب بها " (٢).

في مجال الشعر:

المأثور عنه على صعيد الشعر ليس كثيرا ، و جلّه كان يجيء في مجال استشهاد او تمثل . من هذه الاشعار الابيات التي انشأها حين توفي اخوه الامام الحسن و وضع في لحده . من هذه الابيات :

---

١) الاسترجاع قول انا لله و انا اليه راجعون .
٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٥، و ينقل الحديث عن اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير الجرزي ج ٢ ص ١٨ .

بكائي طويل .. و الدموع غزيرة و انت بعيد .. و المزار قريب(١)
غريب و اطراف البيوت تحوطه الا كل من تحت التراب غريب

هذا على صعيد الشعر الوجداني، اما على صعيد الشعر الحكمي(٢)، فالمأثور عنه في هذا المجال ليس نزرا و هو/عن دعوة عارة للانسان لكي يعتمد على نفسه، غير متقاعس عن القيام بواجبه. و ان يكون مؤمنا بالله، غير راكن لاحد غيره سبحانه، و بهذا ينفض عن كاهله غبار الاستخذاء، و يتجاوز كل انهزامية و تخاذل. و بذلك يصبح نواة المجتمع الهادف، و خلية حية ناشطة في جسم ذلك المجتمع.

ما اثر عنه من النثر:

المأثور عن الامام الحسين من النثر يتراوح بين عدة انواع: خطب كلمات مأثورة و(٣) وصايا و كتب و ادعية و كلها آيات في البلاغة تنم عن موهبة نادرة في التعبير عن الغرض، و كلها تدور في فلك الدعوة لسبيل الله، و انتهاج الصراط المستقيم.

خطبه:

لقد خطب بن علي في عدة مناسبات، خطب في كربلاء، في اشد الساعات حرجا، فكان كأنما يفرغ عن لسان ابيه علي، او ينثال بمنطق جده النبي و ظل هو هو في ساعات الشدة و الرخاء: رباطة جأش و ذرابة لسان، و قوة حجة، داعيا لله، و لاتباع رسالة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. لم يغادر صغيرة و لا كبيرة الا اوضح سبلها و ابان عقوبتها. حتى قال لعمر بن سعد قائد جيش يزيد بن معاوية، الذى مناه امير الكوفة عبيد الله بن زياد ان يوليه بلاد الري و جرجان مكافأة له على محاربة سبط النبي، قال له الحسين " اتزعم ان يوليك الدعي (عبيد الله بن زياد) بلاد الري و جرجان

---

١) تلاحظ هذه الابيات كلها في كتاب مناقب آل ابي طالب جزء ٤ ص ٦٥، و في مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٤٢، و في الايقاد للسيد محمد علي الشاه عبد العظيمي ص ٤٤.
٢) تلاحظ اشعاره في هذا المجال في الكتب التالية: بحار الانوار للمجلسي ص ٢١٠، اعيان الشيعة للسيد محسن الامين ج ٤ ص ٣٦٧، مناقب آل ابي طالب ج ٤ ص ٧٦ و ص ٩١.
٣) يلاحظ للاطلاع على شيء من محاسن كلامه الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٦٤— ١٦٨.

فوالله ما تهيأ بحيش بعدى ابدا" . ولما وقف عليه السلام قبالة القوم وقد تهيأوا لقتاله ، ليعذر لله فيهم وليلقي عليهم الحجة فنظر الى جموعهم كالسيل ، وحدق بابن سعد واقفا في صناديد الكوفة ثم انشأ يقول : الحمد لله الذى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالا بعد حال . فالمغرور من غرّه . والشقي من فتنته . فلا تغرنكم هذه الدنيا . فانها تقطع رجاء من ركن اليها ، وتخيب طمع من طمع فيها . وأراكم قد اجتمعتم على امر اسخطتم الله فيه . واعرض بوجهه الكريم عنكم، واحل بكم نقمته ، ، وجنبكم رحمته . فنعم الرب ربنا وبئس العبيد انتم . أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول "ص" ثم انكم زحفتم الى ذريته وعترته تريدون قتلهم . لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم . فتبا لكم ولما تريدون . انّا لله وانّا اليه راجعون . هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم . فبعدا للقوم الظالمين (١)" . فقال ابن سعد ويلكم كلّموه فانه ابن ابيه . والله لو وقف فيكم هكذا يوما جديدا لما انقطع ولما حصر . فقال شمر بن ذى الجوشن وكان من ألد المتعصبين ضد الحسين " ما هذا الذى تقول افهمنا حتى نفهم فقال الحسين : " اقول لكم : اتقوا الله ربكم ولا تقتلوني . فانه لا يحل لكم قتلي ولا انتهاك حرمتي "(٢) .

ومن خطبة ثانية له فيهم:

" ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى اعظكم بما يحق لكم عليّ وحتى أعذر اليكم فان (٣) اعطيتموني النصف كنتم بذلك اسعد . وان لم تعطوني النصف من انفسكم فاجمعوا رأيكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة . ثم اقضوا الي ولا تنظرون . ان وليي الله الذى انزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ... ثم قال : اما بعد فانسبوني فانظروا من انا ، ثم ارجعوا الى انفسكم فعاتبوها . فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ الست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، واول مؤمن مصدق لرسول الله بما جاء من عند ربه . اليس حمزة سيد الشهداء عمي ، اوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي . اولم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولاخي هذان سيدا شباب اهل الجنة فان صدقتموني بما أقول وهو الحق،

---

١) مناقب آل ابي طالب ج ٤ ص ٩٤ . ويلاحظ اعيان الشيعة ج ٤ ص ٢٥٥ .
٢) نفسه ص ٢٥٦ .
٣) الايقاظ ص ٩٥ . تأليف محمد علي الشاه عبد العظيمي .

والله ما تعمدت كذبا مذ علمت ان الله يمقت عليه اهله • وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك اخبركم • اسألوا جابر بن عبد الله الانصاري، وابا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وانس بن مالك يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله "ص"، لي ولاخي اما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي •••••• ويحكم اتطلبوني بقتيل منكم قتلته، او مال لكم استهلكته، او بقصاص جراحه • ثم نادى يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن ابجر، ويا قيس بن الاشعث، ويا زيد بن الحارث • الم تكتبوا لي (١) ان قد اينعت الثمار واخضرت الجنان، وانما تقدم على جند لك مجندة" •

وكل خطابة كما رأينا بليغة تفتح كل باب على كل حجة غير ما تتبسط فيه، خطب تحرك الضمائر، وتهز المشاعر، لو كان ثمة شعور عند هذه الجماعة ليهتز او ضمير ليتحرك وانما " على قلوب اقفالها (٢)" و "ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" (٣) •

هذا جانب من خطبه الكثيرة ومواعظه البليغة، وكلها جديرة بأن تقرأ، وتعاود قراءتها لما فيها من درس وعبر ولما هي قانون حياتي ودستور اخلاقي، علينا ان نتمثل بها خلال ظروف حياتنا، ونتمثل بصاحبها هذا الذي لم تخرجه المصائب المتواترة عن طوره • بل ظل انسانا مؤمنا بربه يدعو الايمان به، ويدعو الناس بأن يلتزموا سبيل الحق وجادة الصواب، وان لا يكونوا عبيد الناس وقد جعلهم الله احرارا، ظل هكذا حتى قضى دون ذلك شهيد الحق والعدالة، وشهيد وقفة العزة يقفها ابن الشعب في وجه الطغاة المتآمرين والحكام المستبدين وهكذا سيعيش ابدا في أخلاد الناس •

الاثر غير المباشر : التأثر

مصرعه : ليس مصرع الحسين حادثة من التاريخ يمكن ان تتكرر، وانما هو بعث لعظمة تاريخ امة، لولاه لحادث بلا تاريخ • وهل تاريخ الامة الا تاريخ عظمائها ؟؟

---

١) يلاحظ حول كتب اهل الكوفة للحسين : مقتل الحسين للخوارزمي الجزء الاول ص ١٩٢ وما بعدها • وص ٢٣٤ وما بعدها وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ٢٤٨ وما بعدها •

٢) الاية ٢٤ سورة محمد • واقفال القلوب الخاصة بها هي الكفر والعناد ونحوهما مما يصحب معه تقبل الدين الحق ومبادئه القويمة يلاحظ معجم الفاظ القرآن الكريم الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠م • المجلد الثاني ص ٤١٠ •

٣) / ١٤ سورة المطففين • اي ان كسبهم غلب على قلوبهم فصدئت وطبع عليها، نفسه جزء اول ص ٥٢٩ •

لو لم يقف الحسين عليه السلام في وجه تيار الفساد و الاقطاع، الذي كان يحمل و يستفرص الفرص ليجرف معالم رسالة التوحيد، لتردّى تاريخ امتنا في مهوى جاهلية جهلاء، اين منها الجاهلية الاولى فسادا و هدر حقوق؟؟

.. حكاية مصرع الحسين و من صرعوه .. حكاية الخير يريد ان يفتح عينيه، الشر يستل مخالبه المحددة و يفغر عن انيابه العصلاء ليغتال الخير و الخصب. و يخصب حياة الناس، و حكاية انها حكاية الحق يريد ان يعتنق المجتمع لتشيع فيه السعادة، و الباطل يحدجه شزرا، و ينقض عليه ليشيع الشقاء.. ان الباطل كان زهوقا (١).

بل هي حكاية العدل : يريد ان يبسط جناحيه، و الظالم يريد ان يقتصه و يقص جناحيه..

انها حكاية النور يسعى ليغلغل أنمله الوردية في سرير الكون، و الظلام يريد ان يرين ليئد معالمه "، و يأبى الصبح الا ان يفضح فحمة الدجى..

انها حكاية الانسانية السامية تريد ان تستوعب نفسها و تنطلق الى رحاب الوجود خيّرة معطاء.. و حكاية البهيمية تريد ان تنقض بجاثومها و تستأصل شجرة الحرية و العدالة، قبل ان يمتد زهرها، و تؤتي أُكلها طيبا كل حين.

و لكن نزوة البهيمية هذه لم تكن الا عاصفة هبت ثم هدأت الى غير قرار..... و ارتوت شجرة الرسالة المحمدية بدم الحسين، فأمرعت و استوت نضرة خضراء، تسرّ الناظرين (٢)

هذا بعض من حكاية مصرع الحسين و حكاية حرب كربلاء، التي انما هي على حد تعبير العقاد " حرب بين اشرف ما في الانسان و اوضع ما في الانسان[٣]" و هكذا كما يقول العقاد ايضا " اقترن تاريخ كربلاء بعد ان سيق اليها ركب الحسين منذ ذلك اليوم، اقترن بتاريخ الاسلام كله، و من حقه ان يقترن بتاريخ بني الانسان حيثما عرفت لهذا الانسان فضيلة يستحق بها التنويه و التخليد (٤).

---

١) تنظر الاية ٨١ الاسراء.
٢) تنظر الى الاية ٦٩ البقرة.
٣) ابو الشهداء للعقاد ص١٤٦.
و يلاحظ المقارنة بين حرب الحسين و اعدائه نفس المرجع ص ١٢٠ و ما بعدها و ص١٢٦ و ما بعدها . و يلاحظ تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ص ٢٠٠.
٤) ابو الشهداء للعقاد ص ١٥٠.

ويتبين لنا مدى صحة هذا الحكم الذى اطلقه العقاد و معظم المؤرخيـــن البلاء البزيهين، اذا عرفنا يزيد بن معاوية هذا الذى حمل في وجهه الحسين لواء الثـورة، فترك مهبط الوحي و مضى الى العراق، يجاهد في سبيل الله و شعاره :

سأمضي و ما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى خيرا و جاهد مسلما (١)٠

والان من هو يزيد ؟؟

يزيد هو ابن معاوية بن ابي سفيان من ميسون الكلبية ٠ ولي الملك بعد ابيـــه معاويــــــة٠

" و قد ولدت فكرة بيعة يزيد بين التوجس و المساومة و الاكراه (٢)" و قوبلـت بجفوة بين اخلص الخلصاء و اقرب الاعوان (٣)" ٠ و حتى يزيد لم ير نفسه اهلا (٤) لتلــك البيعــــة٠

و كيف لا يكون كذلك و الرسول "ص" يقول من جملة ما يقول فيه " اللهـــم لا تبارك في يزيد (٥)" الى غير ذلك من الأحاديث المتواترة المروية في حق يزيد و قتلـــة الحسين (٦)٠ يزيد هذا الذى يقول فيه عبد الله بن حنظلة أحد اشراف المدينة : " والله

---

١) يلاحظ مقتل الحسين للخوارزمي جزء أول ص ٢٣٣٠ و هذا البيت هو احد الابيات التي استشهد بها الحسين، عندما لقي الحر في طريقه الى كربلاء، و خوّفه الحر مغبة الوقوف في وجه ابن زياد و يزيد، لان النهاية ستكون الموت المحتم٠ فصاح به الحسين ابالموت تخوفني : ٠٠ و لكن اقول لك ما قال اخو الاوس و هو يريد نصرة رسول الله "ص" فخوفـه ابن عمه و قال له انك مقتول فانشأ ردا عليه ابياتا هذا اولها ٠
٢) ابو الشهداء للعقاد ص ١٠٤٠
٣) نفسه نفس الصفحة٠
٤) يلاحظ حول ذلك نفسه ص ١٠٠ ـ ١٠٤٠
٥) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٣١٦ ـ ٣٢٠ باب ما جاء في ذم يزيد بن معاوية و نفسه ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ ارى معاوية بن يزيد به ٥٠) مقتل الحسين للخوارزمي جزء اول ص ١٨٨ ٠ ٦) و يلاحظ كذلك كتاب " فضائل الخمسة من الصحاح الستة تأليف السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادى ٠ مط٠ النجف ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣٨٣ هـ٠ ج ٣ ص ٣١٦ ٠ حيث يروى عن كنز العمال للمتقي الهندى ط٠ دائرة المعارف النظامية بحيدر آبـــاد سنة ١٣١٢ هـ٠ ج ٦ ص ٢٩، حديثا مسندا عن الرسول في يزيد و قتلة الحسين و التأوه على ما يلاقي فراخ آل محمد ٦٠) حول يزيد و لمع من اخباره يلاحظ مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٦٧٠

ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء ••• ان رجلا ينكح الامهات والبنات والاخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة • والله لو لم يكن معي من الناس احد لأبليت فيه بلاءً حسنا (١)" •

يزيد هذا الذى على حد تعبير طه حسين "إن امور المسلمين قد صارت ايام معاوية وابنه الى شر ما يمكن ان تصير اليه (٢)" •

هذه الصيرورة الشريرة الممعنة في الشر الى أبعد حدود حتى اصبح الناس لا يأمنون شر يزيد ولا يرجون خيره [٣] يمكن تلخيص بعض منها بما يلي :

١ـ جعل الخلافة ملكا عضوضا •

٢ـ يجلس على كرسي خلافة المسلمين • ويجاهر بالفسق والتهتك والسير بسيرة فرعون بل كان فرعون اعدل منه (٤) ثم لا يرعوى ان يقول من الشعر ما يدل على كفره وزندقته ، وما يفصح به عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد • فلا يؤمن بتحريم الخمرة رغم ما نهى عنها الاسلام، ولا يؤمن بالحساب والبعث، بل تلك احاديث دلسم، ثم لا يتورع عن القول متهكما بأنه سيزور محمدا وقد روت عظامه مشمولة صفراء، من الخمور المعتقة التي طالما روت مشاشه (٥) •

٣ـ فسقه بشهادة الوفد المؤلف من اشراف المدينة الذين قدموا دمشق فعادوا ليتولوا لاهل المدينة رغم صلة يزيد لهم واغداقه عليهم الاموال " انا قدمنا من عند رجل ليس له دين • يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير،

---

١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٨٣ـ١٢٤ • والامام الحسين للعلايلي في اماكن متفرقة من الكتاب • ( ) ابو الشهداء للعقاد ص ٦٢ـ٦٣ •
٢) الفتنة الكبرى ج ٢ لطه حسين ص ٢٤٥ •
٣) يلاحظ تحف العقول عن آل الرسول ص ١٨ • اذ يقول الرسول في احدى وصاياه للامام علي وهو يحدثه عن اشرار الناس يقول الرسول " الا انبئك بشر من ذلك ، من لا يؤمن شره ولا يرجى خيره • "
٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٦٥ • وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزى ص ٣٠٠ •
٥) لاحظ اعيان الشيعة جزء ٤ ص ٣٥٢ • حيث يذكر ابيات يزيد هذه : =

و تعزف عنده القيان ، و يلعب بالكلاب، و يسمر عنده الخراب(١)" و هـذا رأى اجمعت عليه كل الروايات(٢) التي تتحدث عن يزيد • وأكدها هو بتصرفاته المتهتكة و اشعاره الماجنة :

شغلتني نغمة العيدان ... عن صوت الاذان (٣)
و تعوضت عن الحور ... عجوزا في الدنان

٤ـ قتل الحسين و سبي ذرارى الرسول الاعظم كما يسبى المشركون من غير ان يرعى له حرمة او عهد •

٥ ـ اباحة مدينة الرسول ثلاثة ايام لجند الشام على يد مسلم بن عقبة(٤) و مبايعة اهلها على انهم خول ليزيد و عبيد ، فمن ابى منهم هذه البيعة المنكرة ضربت عنقه •

٦ـ حصار مكة و رميها بالمجانيق و حرق الكعبة على يد الحصين بن نمير بعد (٥) هلاك مسلم بن عقبة •

= (زوجته)

ألا هات فاسقيني على ذاك قهوة ... تخيّرها العنسي كرما شآميا
اذا ما نظرنا في أمور قديمة ... وجدنا حلالا شربها متواليا
و ان مت يا أم الأحيمر فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فان الذي حدثت عن يوم بعثنا ... أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بدّ لي من أن أزور محمدا ... بمشمولة صفراء تروى عظاميا

١) ابو الشهداء للعقاد ص ٦٤ او يلاحظ الفتنة الكبرى ج ٢ ص ٢٤٦ حيث يذكر ان يزيد وصل اعضاء الوفد فأعطى كل واحد خمسين الفا ورغم ذلك كانت شهادتهم كما رأيت• و حول فسق يزيد و تهتكه يراجع مروج الذهب ج ٢ص١٨ و ما بعدها •
٢) نفسه ص٦٨ و ابو الشهداء ص ٦٣ •
٣) تذكرة الخواص ص ٣٠١ •
٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٦٩ و يلاحظ ابو الشهداء ص ٧٢ و الفتنة الكبرى جزء ٢ ص ٢٤٨ •
٥) مروج الذهب ج ٢ ص ٧٠ و يلاحظ : الفتنة الكبرى جزء ٢ ص ٢٤٧ و ابو الشهداء ص ١٦٨ •

هذا هو يزيد جرثومة الفساد ، و جاثوم الطغيان ، و لعمر الحق انه لأشقى الولاة، لان اشقى " الولاة كما يقول عمر بن الخطاب من شقيت به رعيته "(١).

فيزيد هذا لقد اصبح امير المؤمنين و خليفة المسلمين :

.. فيزيد ايها الناس امير المؤمنين
.. كلمات تنشر الظلمة حتى في مدار الشمس..
و النقمة حتى في النفوس الطيبة..
كلمات مذنبة..
.. ايزيد .. ذا امير المؤمنين ..
اولا يوجع اذنيك الرنين ؟؟؟؟(٢)

هذا غيض من فيض من صفات يزيد . فكيف يصبح امير المؤمنين اولا يوجع الاذن هذا الرنين كما يقول الشرقاوي . و كيف يسكت الحسين عن استخلافه و توليه امور المسلمين و يبايع مثله في سمو النفس و عزة الدين مثل يزيد في ضعة النفس و المروق من الدين ؟؟؟ الا فليعلن الثورة و ليسجر اتونها حتى و لو كان هو نفسه وقود الاتون .

و هكذا اعلن الامام الحسين ثورته في وجه الظلم و الطغيان و الاستبداد ، وراح يجاهد بعد ان وقف ناقدا يوجه التهم و يجاهر بدعوة الحق .. لقد اعلن الثورة بعد ان سئم النقد الذى رآه لم يحمل شيئا في نفوس تلك الطغمة المستبدة .. لقد عمل هو ما نادى به فيما بعد كارل ماركس و فريدريك انجلز: " ليس النقد هو القوة المحركة للتاريخ للدين ، للفلسفة، و لكل نظرية اخرى، بل الثورة(٣)".

و هكذا امضى سبط النبي على هدى جده الرسول الاعظم، فحارب الوثنية في المجتمع كما حارب جده الوثنية في الفكر . حتى لاقى مصرعه، و هو يناضل ضد التسلطية و الاستبدادية، و لذلك استمرت مبادئه السامية حية في قلب كل منتصر لتضحية عادلة، و ناقوس حرية يزلزل عروش المستبدين الطغاة .

---

١) الاعجاز و الايجاز للثعالبي ص٢٦ .

٢) مسرحية الحسين ثائرا لعبد الرحمن الشرقاوى ، القاهرة، دار الكاتب العربي بدون تاريخ ص١١ . ٣) الايديولوجية الالمانية تأليف كارل ماركس و فريدريك انجلز ترجمة جورج طرابيشي ، دار دمشق للطباعة و النشر، دمشق ١٩٦٦م ص٣٦ .

وهكذا مات الحسين ولكن ليخلد على مسار الزمن الطويل .. وعاش يزيد ولكن ليزول على مدى الدهر، وليباد ذكره الا في مجال مساءة، لانه اصبح مرادف كل وصمة عار، ومقابل كل سبة سوداء في جبين الزمن . ولا جرم ان يحل به ما حل . اذ كما جاء في الكتاب المقدس: " اذا زها الاشرار كالعشب وأزهر كل فاعلي الاثام، فلكي يبادوا الى الدهر(١)"

وهكذا فان الاثر الذى يخلفه فينا مصرع الامام الحسين عميقا ما ابعد مداه. ذلك ان حركته من الحركات القليلة التي وقف عندها التاريخ مستأنيا، وغيرسمته بسماء على معطياتها السامية . ولقد استهوت ثلة كبيرة من احرار العالم اتخذوها مثالا ومحتذى (٢).

الحسين وأصحابه كانوا قلة مؤمنة ."والمؤمنون قليل ما هم" . ولكن في حساب العطاء كبارا كبارا كانوا .. وكل واحد منهم هو ينبوع هداية ثر، ما انفك يمد الانسانية بأسمى مثل التضحية والاستشهاد في سبيل العقيدة الصحيحة، ومعلم ايمان يستعلي عن ان يكون لطائفة من الناس دون طائفة او لفئة منهم دون فئة(٣) . ولا ادل من ذلك من ان نرى من بين اصحاب الحسين والمستشهدين معه اشخاصا من مختلف الديانات ومفترق الاجناس . فمن بين انصاره المخلصين من كان نصرانيا على دين السيد المسيح عليه السلام امثال وهب بن حباب(٤) الذى اندمج في ثورة الحسين واستبسل في الدفاع عن القيم الانسانية المثلى . ومن بينهم ايضا جون(٥) وهو احد الموالي رفض ان يترك الحسين وقد اذن له بالانصراف وأهله من بيعته فأبى الا ان يبقى مع الحسين قائلا له " انا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أتخلى عنكم لا كان ذلك ابدا، حتى يختلط هذا الدم بدمكم" .

---

١) الكتاب المقدس المطبعة الاميركانية بيروت سنة ١٩٠٥م . ص ٥٤٤ . باب المزامير المزمور الثاني والتسعون الاية رقم ٧ .

٢) من هؤلاء الاشخاص على سبيل المثال لا الحصر مصعب بن الزبير الذى رفض ان يستسلم او يستخفى من الامويين بعد ما ان انتصروا عليه قائلا لزوجته سكينة بنت الحسين " لم يبق ابوك لابن حرة عذرا " يلاحظ الامام الحسين للعلايلي ص ١٠٠ . ومن الذين تأثروا بالحسين غاندى الذى يقول " تعلمت من الحسين ان اكون مظلوما حتى انتصر" . يلاحظ ادب الطف الجزء الاول مقدمة المؤلف ص ١٩ . ٣) يلاحظ مقدمة الشيخ محمد جواد مغنية لكتاب ادب الطف ص ١٠ . ونفسه مقدمة المؤلف ص ١٨-١٩ . ٤) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٢ . ٥) جون ارى انها تصحيف لكلمة Jhon الانكليزية او جان Jean الفرنسية بمعنى حنا او يحيى يؤيد ذلك ان هذا الشخص هو من الموالي من الروم=

ولا غرابة في ذلك لان الاديان السماوية كلها جاءت لتعمل في سبيل اسعاد الانسان، وانقاذه من ربقة العبوديات على انواعها • ليصبح الانسان اخ الانسان أحب ام كره • و ليكون الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه أرأفهم بعياله " وليصبح خارجا من حظيرة الايمان كل ذى عصبية جاهلية" فليس منا من مات على عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من دعا الى عصبية" على حد تعبير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانما منا " من لايأكل ويشبع ما دام فيها (الدنيا) من لا طمع له في قرص ونيها بداون غرش واكباد حرى" والذى يقول ويعمل " أأرضى ان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم مكاره الدهر" على حد تعبير الامام علي عليه السلام • فرعيا لذكراك ابا عبد الله، وتخليدا لذكرى مصرعك، هذا الاثر الخالد على الدهر •• فنحن كما يقول العلايلي " احوج ما نكون الى زعيم كالحسين ومجاهد كالحسين، وقدوة كالحسين، نسايره ونوازن بما نجد عنده نزوات نفوسنا وطالعات شهواتنا "(١)•

هذا بعض من معالم سيرة الامام الحسين عليه السلام الذى هو رامز التضحية في سبيل العقيدة، وأنموذج الايديولوجي الملتزم، يقف في وجه الطغيان متحديا، حتى لتهون عليه الحياة ويهون المال والبنون، في سبيل احقاق الحق وارساء العدالة، والمنافحة عن رسالة الانسان في كل زمان ومكان •

وبعد ان عرفنا من سيرة هذا الامام ما عرفنا، وبعد ان قبسنا من انوار تعاليمه ومواقفه ما قبسنا، لا غرابة بعد ان نرى حيدر الحلي يلتزم ايديولوجيا بهذا الامام وان يقدمه لنا من خلال شعره، رسالة محبة وعدالة، وناموس تحرير وتضحية لكل من يبحث عن رائد في هذا المجال •

وهكذا فسنحاول في الباب الاتي الوقوف على ايديولوجية هذا الشاعر عبر رثائه للامام الحسين بن علي عليهما السلام•

فماذا عن ذلك ؟؟

كان مولى لابي ذر الغفارى، يلاحظ حكاية مصرعه في مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ١٩ •

١) الامام الحسين للعلايلي ص ١٥ •

الباب الثالث

الايديولوجيا في شعر السيد حيدر الحلي

الفصل الاول

الايديولوجيا :

نشأة الكلمة :

كلمة ايديولوجيا من اصل يوناني وهي عبارة عن كلمتين Idea: idée, et logos:Science
اول من ابتكر هذه الكلمة الفيلسوف الفرنسي Destut de Tracy (١)
دستيت دي تراسي ، ليعبّر بها عن العلم الذي يهدف الى دراسة الافكار (٢) .

من بين الذين دأبوا على استعمالها " ستندال " " Stendhal " خصوصا
بمعناها المنطقي (٣) .

انتشارها ودلالتها :

لعلها من الكلمات الاكثر انتشارا على صعيد العالم اجمع ، في صفوف المثقفين ،
وبخاصة في ايامنا الحاضرة .

لقد عرفت الكلمة معاني جمة منها :

- انها علوم الافكار من حيث هي افكار ، اي كظاهرة للتفكير الانساني، وبمعنى اكثر دقة هي العلم الذي يعالج تكوين الافكار ، الى جانب كونها نسقا فلسفيا لتشكيل الافكار ، ونظرية فلسفية يكون الحس فيها هو المصدر الوحيد لمعارفنا ، والركيزة الوحيدة لمواهبنا ، وهي بعد نظرية الافكار عند افلاطون (٤) .

---

(١) اسمه الكونت انطوان لويس كلود دي تراسي (١٧٥٤ م ـ ١٨٣٦) فيلسوف فرنسي كان برتبة عقيد بالجيش ، انتخب في مجلس النبلاء ، وفي مجلس الشيوخ . في سنة ١٨١٤ اعلن زوال الامبراطورية ، وكان مجلس الاصلاح La Restauration ، يسميه زوج فرنسا واغدق عليه لقب الكونت . " نلاحظ ترجمته في
Grand Larousse Encyclopédique Tome 4ème.

٢ ـ نلاحظ في الكتب التالية مادة (Idéologie)
-Encyclopedia Britanica Vol.9 P.194
= -Dictionnaire Alphabétique et Analogique de la langue française Tome 3°.

وكلمة ايديولوجيا حسب استعمالات "دي تراسي" تدل على العلم الذي يهدف (١) الى دراسة الافكار (بمعناها العام) ، ان من حيث هي اعمال وعي على صعيد خصائصها ، وانظمتها ، وعلاقاتها ، الى جانب المرموز الذي تمثله ، خصوصا من حيث المنشأ ، وهو يمدّها في هذا المجال (الميتافيزيقا الفلسفية الحديثة ، مقابل الميتافيزيقا اللاهوتية •)

ينبغي ان نشير هنا الى ان المفكر الفرنسي مونتسكيو كان هو وجان جاك روسو واضعي ركائز الاتجاه الايديولوجي ، كذلك فان الشعارات التي رفعتها الثورة الفرنسية : (حرية ، اخاء ، مساواة) كانت ارهاصات للتفكير الايديولوجي الذي اخذ يتبلور في القرن الثاني عشر (٢) •

هذا وان كلمة ايديولوجيا تنطوي على مفهومين : مجرد وانتقادي ، اولهما مدحي ، في حين ان الثاني هو تهكمي واستخفافي •

من الملاحظ مثلا ان (ريمون آرون) (Raymond ARON) يرى ان ثمة توسانا وترجحا بين القبول التهجمي والتهكمي ، حيث الايديولوجيا هي الفكرة الخاطئة ، وانها تنطوي على تبرير المصالح والاهواء •

هذا في حين ان المفهوم المجرد يرى فيها اتخاذ موقف اقل او اكثر عنفا تجاه الواقع الاجتماعي او السياسي ، وانها التفسير الاكثر او الاقل منهجية للواقع كما هو او كما يستحب ويرجى ان يكون (٣) •

---

(٢) = -Vocabulaire technique et critique de la Philosophie
-Encyclopédie "Littré" de la langue française

تابع هوامش الصفحة السابقة

(٣) يلاحظ مادة (Idéologie) في Vocabulaire technique et critique de la philosophie

(٤) يلاحظ مادة (Idéologie) في Dictionnaire alphabétique de la langue française

---

نقلا عن معجم لالاند •

(٢) يلاحظ كتاب تطور الايديولوجية العربية الثورية للدكتور الياس فرح •

(٣) يلاحظ مادة الايديولوجية في Encyclopedia Universalis P.719

وفي وقتنا الحاضر فان الايديولوجيا اخذت المصطلح المدحي ولم تعد ابدا موضع انتقاد ولا مجال استخفاف ، بل اصبح مطالبا بها عبر المطالبة بالالتزام .

والايديولوجية حسب تحديد "آرون" هي نسق اجمالي لتفسير العالم تاريخيا وسياسيا : L'idéologie est un système global d'interprétation du monde historico-politique

(١)

ثم نراه يحدد وظيفة الايديولوجية بان تعطي توجيها للنشاط الفردي والجماعي .
Une idéologie a pour fonction de donner des directives d'action individuelle et collective

(٢)

ان الايديولوجية حسب تعريف دائرة المعارف البريطانية هي: نسق فلسفي اجتماعي او سياسي ، توجد فيه في وضعها العناصر النظرية والعناصر التطبيقية، وهي مجموعة افكار تطمح الى تفسير العالم وتغييره .
An ideology is a form of social or Political philosophy in which pratical elements are as prominent as theoretical ones; it is a system of ideas that aspires both to explain the world and to change it.

(٣)

هذا وان مصطلح الايديولوجيا انشأ يظهر منذ نهاية القرن التاسع عشر ، غب انتشار الفلسفة الماركسية ، وهي في المصطلح الماركسي مجموعة افكار وعقائد ونظريات يدين بها عصر من الاعصر او مجتمع ما او طبقة (٤) .

الايديولوجيا في اللغة العربية :

ان كلمة ايديولوجيا واسعة الانتشار في اللغة العربية وتستعمل بلفظها الاجنبي الذي اصبح مصطلحا عالميا لكل اللغات .

ونحن لو حاولنا ان نجد لفظا مرادفا لها في اللغة العربية لرأينا ان اقرب تفسير

---

(١) يلاحظ موسوعة Encyclopedia Universalis P.729 حيث تنقل رأي ريمون آرون من كتابه : Trois essais sur l'âge industriel

(٢) ننسم نقلا عن كتاب : M. RODINSON : Sociologie marxiste et ideologie marxiste

(٣) مادة Idéologie Encyclopédia Britanica Vol.9 P.194

(٤) مادة Idéologie في Dictionnaire Alphabétique et analogique de la langue française.

لها هو كلمة مذهبية ، وهذا رأي العلامة العلايلي (١) كما ان المعاجم التي ترجمتها الى اللغة العربية ترجمتها بايديولوجية وبكلمة مذهبية (٢)وعلم افكار ، او مجموعة افكار وعقائد ونظريات يدين بها عصر من الاعصر او مجتمع ما ، وهذه الترجمة الاخيرة هي نفس النقل الحرفي للتعريف الماركسي لكلمة ايديولوجيا كما اورده معجم :

Dictionnaire alphabetique et analogique de la langue française. (٣)

وفي المنجد نرى ايديولوجيه بالكتابة العربية وهذا دليل صارخ على استعراب الكلمة (اصبحت عربية) حيث وردت في معجم عربي وعرّفت بانها من البحث في التصورات والافكار ، مذهب يعتبر الافكار المتخذة بذاتها بقطع النظر عن كل ما هو وراء الطبيعة (٤) .

وهكذا نلاحظ ان هذه الكلمة تستعمل في اللغة العربية اكثر بكثير من مرادفها العربي لكونها مصطلحا عالميا ولانها ذات ابعاد ومدلولات تنحصر في هذه اللفظة .

ونحن لو حاولنا تتبع هذه الكلمة في الكتب التي استعملتها لوقفنا على مدى صوابية استعمالها لما تشير اليه وتعبر عنه .

فالايديولوجية هي مجموعة مبادئ تنطوي على النظم السياسية والاقتصادية والاهداف الاجتماعية والقيم الاخلاقية التي ينتهجها حزب معين او حكومة معينة او يسعيان لتحقيقها وتنفيذها بالترغيب والاكراه او بكليهما معا والسير على هداها فورا او في مستقبل قريب (٥) .

ومهما يكن من امر فأن مفهوم الايديولوجيا استوحاه ماركس من هيجل وراح يطبقه في تحليل التاريخ والمجتمع والسياسة . وكذلك فان هذا المفهوم تبناه فرويد ، وعلى اساسه طور علم النفس والاخلاق ، حتى غدا المفهوم الايديولوجي مصرفيا بعد النا[illegible]

---

(١) سمعته منه شخصيا في احدى اللقاءات معه .

(٢) يلاحظ المنهل قاموس فرنسي عربي من تأليف الدكتور سهيل ادريس وجبور عبد النور .

(٣) dans la terminologie marxiste, ensemble des idées, des croyances et des doctrines propres à une époque à une société ou à une classe.

(٤) المنجد في الادب واللغة والعلوم : الاب لويس شيخو اليسوعي .

(٥) يلاحظ موجز المذاهب السياسية للدكتور سوحي فوق العادة ص ٢٤ ويجدر ان نذكر هنا ان المؤلف يرى ان الكلمة مشتقة من كلمة ([illegible]) الفرنسية وان اول من ابتكرها هو كارل ماركس في حين ان الكلمة كما مر معنا قبل قليل مشتقة من اليونانية وان مبتكرها الاول هو دستيت دي تراسي .

لاجتماعيات الثقافـــة (١) .

وهي منظومة منسجمة من الافكار ، تحدد اتجاها انسانيا معينا (٢) ، كما ان للايديولوجيا تعاريف ثلاثـــة :

- التعريف الموسع يرى فيها منظومة من الافكار الخاصة برهط اجتماعي ، تعكس مراكز اهتمـــام هذا الرهط ومصالحـــه .
- التعريف الضيق منظومة من الافكار الموجهة للعمل ، تعكس تصور الواقع ودافعـــا محركا لتغييره وتبديلـــه .
- تعريف تهكمي : البدعة التي يولدها خيال اسطوري متأخر كثيرا عن الواقع او متقدم عليه وهذا التعريف لكارل ماركس (٣) .

وينبغي ان نلحظ الفارق بين الايديولوجيا والنظرية السياسية وذلك ان القيـــم عندما ترتبط بالحركة تغدو ايديولوجية ، ولكن الحركة عندما ترتبط بالمنهاج العلمي للتحليل السياسي فانها ترتفع الى مرتبة النظرية السياســية (٤) .

وعليه فان الوعي الاجتماعي المرتبط بجوانب الحياة هو في رأس مطالب الايديولوجية واتخاذ هذا الوعي شكلا غير علمي في بعض الاحيان لا ينفي وجود الايديولوجيا . لذلك ينبغي ان نميز باستمرار بين الوعي والعفوية وبين الايديولوجية والسيكولوجية (٥) . ... ان الممارســة لا تفسر تبعا للفكرة بل يفسّر تكوين الافكار تبعا للممارسة المادية .

ومن المهم ان نعرف في معرض الحديث عن الايديولوجيا ، ان القرن التاسع عشر هو الذي ركز عليها بشدة وعمل على اعطائها ابعادها حتى دعي بعصر الايديولوجيـــا اذ ان العقائد الاساسية لفلاسفة هذا القرن كانت ايديولوجية الى حد بعيد (٦) .

---

(١) يلاحظ الايديولوجيا العربية المعاصرة لعبد الله العروي ، ترجمة محمـــد عيتاني - ص ١٥ .

(٢) تطور الايديولوجيا العربية الثورية ص ٨ للدكتور الياس فرح .

(٣) نفسه ص ١٠ نقلا عن كتابه الايديولوجيات الافريقية الراهنة لتوماس ا... صدر في باريس سنة ١٩٦٥ .

(٤) المقاومة الفلسطينية والايديولوجيا الثورية ، عبد الرحمن غنيم ، طاولى ص ١٦ وغنيم ينقل هذا الرأي عن د . حامد الربيع في كتابه " ابحاث في النظرية السياسية "

(٥) نفســه ص ٢٠ .

(٦) الايديولوجيا الالمانية ماركس وانجلز ص ٢٠ .

بل اكثر من ذلك فانه منذ ايام (كنت) تزايد الوعي بان الهدف الاول للنقد الفلسفي لم يكن معتمدا على العلم ، في اى معنى من المعاني المألوفة لهذا الاصطلاح وانما كان وشيج الصلة بالايديولوجيا ولا يتلاءم مع غيرها (١) . الايديولوجيا التي هي اسلوب التفكير الذى يميز الفرد او الطبقة (٢) او طريقه في التفكير يتبعها نسق في المواقف (٣) .

بعد هذه الوقفة مع الايديولوجيا في مختلف مراحلها . وبعد ان عرضنا لاهم تعريفاتها ومصطلحاتها ،بما تسمح به الدراسة ولا يخرجها عن موضوعيتها مدفوعين بمنهجية علمية تتحرى الحقيقة ، والحقيقة وحدها ، بني ان نشير الى ان من اهم ما يعنينا في دراسة الايديولوجيا التي انتظمت شعر السيد حيدر الحلي وهو اسلوب التفكير الذى يميز الفرد ، وهو هنا يكاد بل ينحصر في الجانب المذهبي العقائدى ولا بأس هنا من الاستئناس بالمصطلح الذى يرى ان الايديولوجيا هي مجموعة المبادئ والاصول التي ينطوى عليها تشريع او مذهب معين والخطة العملية التي يضعها ذلك التشريع او المذهب لاحالة هذه المبادئ او الاصول الى واقع مادى يعيش المجتمع في اطاره (٤) .

لهذا سنعمد الى دراسة ايديولوجية هذا الشاعر بما تمثله من تفكير او بما تتخذ من موقف فكرى محدد (٥) ، يتلاءم مع عقيدته ، اذ ان العقيدة هي التعبير عما يسمى اليوم بالايديولوجية (٦) .

ولكن هل نحن نطالب الشاعر بان يطبق ايديولوجيته تطبيقا حرفيا ، فينطلق من فكرة معينة ثم لا يتجاوزها . وهل التزام الشاعر بهذا الشكل وجريانه ضمن هذا الاطار المحدود هو المطالب به ، ام ان هذا المضمار هو مضمار النثر ، وايديولوجيا الشاعر تكون على غير هذا الشكل ؟ ..

---

(١) يلاحظ عصر الايديولوجيا تأليف هنرى ايكن (Henri Aiken) ترجمة محي الدين صبحي ــ دمشق سنة ١٩٧١ .

(٢) نفسه ص ٦ .

(٣) نفسه ص ٩ .

(٤) مجلة العربي عدد ٤٠٦ ــ السنة ١٧ ــ ص ٣٢ ــ مقال للدكتور محمد شوقي الفنجرى .

(٥) الشعر العربي المعاصر ــ عز الدين اسماعيل ــ ص ٣٧٥ .

(٦) نفسه ص ٣٧٨ .

ـ الشعر والايديولوجيا

تمهيد

غرب الشاعر من الحق ، تجافيه عنه ، ايمانه ، صدقه ، كذبه ، كل هذا كان مجال نقاش ، ـ منذ القديم ـ وحتى اليوم . لقد كانوا يطالبون الشاعر بأن يقول الحقيقة وأن يكون مؤمنا . وهذا يقترب مما ندعوه اليوم بالالتزام ، او الايديولوجيا الشعرية . هذا يشير الى ان الالتزام ـ كفكرة ـ لم ينشأ في العصر الحديث كما يقرر بعض النقاد المعاصرين (١) ، وانما كان لها جذورها منذ القدم .

فالقرآن الكريم كان في طليعة الدعاة لهذه الفكرة ، فحين تحدث عن الشعراء نعى عليهم عدم التزامهم وقولهم ما لا يفعلون ، مشيرا بذلك الى خطرهم ودورهم الرسالي ، اذ دائما لهم متّبعون .

" والشعراء يتّبعهم الغاوون ، الم تر انهم في كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون (٢) " .

هنا ينبغي ان لا نفهم من هذا القول ان القرآن شن حربا على الشعراء وعلى الشعر ، وانما عبر تبيان مكانتهم وخطرهم ، اراد بدوره الرسالي ان يطالبهم ويوجههم نحو ما ندعوه نحن اليوم بالالتزام .

عبر التفاسير المأثورة لهذه الايات يلاحظ ان هذه الحملة انما قُصد بها الشعراء المشركون الذين تناولوا الرسول الاعظم ، ورسالته بالهجاء ومسوه بالاذى (٣) . عبر سياق هذه الايات نلاحظ ان سبب المهاجة هو انهم يقولون ما لا يفعلون ، اى ينعي القرآن عليهم عدم التزامهم ، وهذا يتبين لنا عبر استثنائه الشعراء المؤمنين من هذا الحكم ، وذلك عبر قوله جلّ وعلا "الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون " (٤) .

اذن فالشعراء المؤمنون الذين يلتزمون بايديولوجية استثناهم الله سبحانه في قرآنه ، وفي هذا يتراءى لنا دعوة للالتزام والانتصار لقضيتهم . وقد تحلّق منهم حول

---

(١) الشعر العربي المعاصر ، عزالدين اسماعيل ـ ص ٣٧٤ .
(٢) سورة الشعراء ، الايات ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
(٣) العمدة ج ١ ص ٣١ . (٤) الشعراء / ٢٢٧ .

النبـي صلى الله عليه وسلم ، كوكبة نذكر من بينهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالـك وغيرهما من الشعراء الايديولوجيين الذين نذروا انفسهم للمنافحة عن شريعة الرحمـة والعدالة الاجتماعيـة .

كذلك فان النبي محمد ص ، اظهر عبر التنويه بمكانة الشعراء الملتزمين ـ مـدى دور الالتزام في الشعر وذلك عبر حديثه عن هذا الرهط من الشعراء الايديولوجييـن بأن " هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبـل [(١)] " .

ارأيت الى دور الشعر ، الى مدى فاعلية التزامه ، انه يفعل في الخصوم اكثر ممـا تفعل النبال او قل اكثر مما تفعل القنابل اذا استعملنا لغة اليوم ، ذلك ان الشعر يعلـن ثورته في الداخل في الاعماق فيزلزل ما يزلزل ، اما النبل والقنابل فلا تعدو ان تكون محاولة غزو خارجي ، غالبا ما يكون اثرها معكوسـا .

لاحظنا عبر الايات الكريمة السالفة حضّ الشعراء على ان يكونوا مؤمنين " ملتزميـن " كذلك فان النبي نفسه ص ، يريد للشعر ان يكون ملتزما ، وان يسير في ركاب الحق والا فـلا خير فيه " انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق فـلا خير فيـه [(٢)] " .

ان في قولة النبي هذه لدعوة صريحة للالتزام ، بل انه ليذهب الى ابعد من ذلك اذ يجعل الشعر رسالة تسل الضغائن من الصدور "الشعر كلام من كلام العرب جـزل ، تتكلم به في بواديها وتسلّ به الضغائن من بينها " [(٣)] .

ان في هذا القول منبهة الى دور الشعر ورسالته ، هذا الدور الذي يتجلى اكثر فاكثر بقوله صلى الله عليه وآله وسلم " ان من البيان لسحرا ، وان من الشعر لحكمـا او لحكمـة [(٤)] " .

يذكرنا بهذا القول كلمة لجورج بومبيدو " ليس بين السياسة والشعر الا خطـوة واحدة du politique au poetique il n'ya qu'un pas. [(٥)] " .

---

(١) العمدة لابن رشيـق ـ ج ١ ص ٣١ .

(٢) العمدة لابن رشيق ـ ج ١ ص ٢٧ .

(٣) نفسـه ـ ص ٢٨ .   (٤) نفسـه ـ ص ٢٧ .

(٥) هذه كلمة لبومبيدو رئيس جمهورية فرنسا في كتابه (Anthologie de la poésie francaise). يلاحظ جريدة النهار عدد (١٢٠٨٥) ٩/٤/١٩٧٤ .

وهكذا يتبين لنا ان الشعر كان رفيع المنزلة ، مستحبا ، ولا ادل على ذلك من قصة الامام علي عليه السلام مع الاعرابي الذى استرفده فاعطاه حلية ، فلما اخذها مثل بين يديه وانشد ابياتا من الشعر ، عند ذلك امر له امير المؤمنين بخمسين دينارا ، مشفعا ذلك بقوله للاعرابي : اما الحلة فلمسألتك ، واما الدنانير فلأدبك ، سمعت رسول الله يقول " انزلوا الناس منازلهم " (١) .

منذ بداية عهد الاسلام ، والشعر ـ خصوصا الملتزم ـ يحتل المقام الاسمى والمنصب المرموق ، لم يشذ عن ذلك ـ فيما نعرف ـ الا ما كان من قولة الخليفة الثاني لحسان بن ثابت ، اذ مر بالمسجد وحسان ينشد الشعر ، فاعترضه بقوله " أرغاء كرغاء البكر " . فاجابه حسان منتصرا للشعر " دعني عنك يا عمر ، فوالله انك لتعلم لقد كنت انشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغيّر عليّ ذلك " (٢) .

ولطالما رأينا هذا الخليفة فيما بعد يحرض على تعلم الشعر ، متراجعا عن حملته هذه على حسان ، حين كتب الى ابي موسى الاشعرى احد عماله " مر من قِبَلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالي الاخلاق وصواب الرأى ، ومعرفة الانساب " (٣) .

هذا ولقد كان الشعر محور نقاش دائم مما دفع بابن عباس وهو الصحابي الجليل الورع ان يقف في وجه من يذهب الى ان الشعر من رفث القول مرددا ـ وهو صائم ـ ابياتا لم يتورع فيها عن ذكر فاحش القول ، رفضا لتلك الدعاوة قائلا " انما الرفث عند النساء " (٤) ثم أُحرم للصلاة . بل ذهب الى ابعد من ذلك حاثا محرضا على التوفر على مدارسة الشعر ، ومن وجهة نظر دينية ، ذلك ان الشعر مرجع لغوي ثرّ ، وخير معين على تفهم آي القرآن الكريم " اذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه ، فاطلبوه في اشعار العرب ، فان الشعر ديوان العرب " (٥) .

وقد كان ابن عباس وتمشيا مع رأيه في الشعر ـ اذا سئل عن تفسير شيء من القرآن انشد فيه شعرا .

---

(١) العمدة لابن رشيق ـ ص ٢٩ .
(٢ و ٣) العمدة لابن رشيق ـ ج ١ ـ ص ٢٨ .
(٤) نفسه ص ٣٠ .
(٥) نفسه ص ٣٠ .

تناهيك بهذه الدعوة غير المباشرة للانهمار على قراءة الشعر ، وصولا لتفهم كتاب الله .

ان في هذه الشهادة من حبر الامة " الشعر ديوان العرب " لكبير دلالة على عبقرية هذا الصحابي الجليل ، وعلى رؤيته الواضحة ، عبر تكريسه لدور اللغة في الشعر ، اذ جعله المرجع فيها والمرشد .

الالتزام شعرا ونثرا :

التفريق بين الالتزام الشعري والنثري ليس جديدا وليد هذا العصر ، فان نقادنا القدامى كانوا يفرقون بينهما منذ القديم . فهذا القاضي الجرجاني يطالعنا بشيء من هذا حين يقول " والشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء " (١) .

عبر تأملنا لهذا القول ، يطالعنا اصرار الجرجاني على اختلاف مجرى الشعر من مجرى النثر في الالتزام . هذا الذي راح يوضحه اكثر بقوله " والشعر لا يحبب الى النفوس بالنظر والمحاجة ، ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة " (٢) .

هذه شهادة قيمة نسجلها لهذا الناقد العربي الذي فهم روح الشعر الأصيل فقرر ان الشعر ليس مجاله المنطق والقياس وحسن الدفاع والمحاجة . هذا الرأي يتبناه نقاد القرن العشرين العالميون امثال " جان بول سارتر " في كتابه " الادب الملتزم " وهذا ما عبر عنه الشاعر العربي :

الشعر لمح تكفي اشارته ... وليس بالهذر طولت خطبه

وان نفى الجرجاني عن الشعر المحاجة والقياس ، انما اقرها للنثر حيث الهدوء والمنطق ، لا في الشعر حيث الحركة والاختلاج والموران المتواصل .

هذا وان في الرأي المشهور " يحق للشاعر ما لا يحق لغيره " لاصدق دليل على ان للشعر التزاما خاصا غير الالتزام المطالب به في النثر . لذلك نقد اباحوا ثمة ما حظروا هنا .

ولما كان الشعر يعتمد الطبع والسجية ، ويعانق العاطفة اكثر من اي شيء آخر ، ولما كان النثر موقفا فكريا منطقيا قبل اي شيء ، كان لا مشاحة من عدم تلاقيهما على صعيد التعامل الايديولوجي . وهذا ما سلط عليه القاضي الجرجاني الاضواء عبر طلبه ـ الى من يحاول ان يتناول ابا الطيب المتنبي من بعده بالنقد والدراسة ـ ان تكون

---

(١) مقدمة الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ ص ١٩ .

(٢) نفسه ص ٨٥ .

مآخذ الناقد وآراؤه من باب ما يمتحن بالطبع لا بالفكر (١) .

هذه شهادة نيتد ذواقة نسجلها للقاضي الجرجاني ايضا ، الذى استطاع ان يثبت جدارته لان يكون قاضيا يستطيع ان يفتي على مستوى الشعراء ايضا ، من خلال حيثيات حكمه على من يريد ان يتوفر على مدارسة الشعر ، وذلك عبر مطالبته باعتماد الطبع والسجية ، متجاوزا القيود والاطر المسبقة التي تفقد الشعر حرارته وعفويته .

هذه المطالبة بعفوية الشعر وطبيعيته ، لم يكن الجرجاني فيها — نسيج وحيده — بل ان الرسول الاعظم أنبه الى هذا المنطلق الشعري من قبل حين قال : "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين" (٢) .

اعظم بها من شهادة في هذا المضمار . اذ لو امعنا النظر في هذا القول ، نحاول ان نستشف ما ورائياته ، لنقف على ايماءاته ومراميه ، لطالعنا الشأو البعيد الذى طوى معارجه النبي عبر تفهمه لمنطلقية الشعر .

فالشعر كما نرى في هذا القول ، عاطفة ، احساس ، يحرك كوامن النفس ، حالة مبهمة تلح على الشاعر ليعبر ، فيستجيب بعفوية وصدق ، فتنطلق النغمة الشعرية من اعماقه حارة صادقة ، كما الحنين من الابل ، استجابة لرعشة داخلية ، لدفع من الاعماق اقرب الى الفطرة والطبيعة ، وليس انطلاقا من دوائر لا تتجاوز ، ولا اتباعا لخط مستقيم لا يتعرج .

وفي هذا كل الحق ، وهنا يكمن تباعد ما بين الشعر والنثر في الالتزام . اذ الشعر خفقان قلب هائم ، موار بالعاطفة ، قبل ان يكون تقريرات فكرية محددة مرسومة ، وهو رعدة حياة تجري في اوصال الكلمة ، قبل ان يكون فكرة ذهنية ، وهو مخاض حالة نفسية ، قبل ان يكون نتيجة قضية منطقية .

انه اتساق ظلال ، تبين وتستخفي ، رؤى نبويات عليهن لثام ، وليس وعيا مسيطرا وتصميما مخططا ، وهو — بعد — حنين افئدة راعشة ذاهلة ، قبل ان يكون صحوا متيقظا متوهجا .

عبر هذه الجولة مع بعض آراء القدامى ، يتبدى لنا بوضوح كيف نميز بين تناول كل من الشعر والنثر للقضايا ، فحين يكتفي الاول باللمح والاشارة ، يعتمد الثاني الايضاح

---

(١) نفسه ص ٣٠٦ .

(٢) العمدة لابن رشيق — ص ٣٠ .

والتفسير ، ومن هنا يتراءى لنا ان مضمار الشعر ابعد ما يكون عن التفسير والشروح ، وهو ـ ان يغد كذلك ـ يفقد دوره كشعر ٠ لان الشعر كما بيّنا ، هو حالة تمتري ، شعور ينتاب ، لحظات تستولي على الانسان ، تفعم قلبه بمشاعر معينة ، فتتوزع هذه على رؤى الشاعر ، تستبدّ به ٠ فيمسك القلم ليخط املاء القلب وفيض الوجدان ، وعصارة العاطفة ٠ وبهذا يستبين بعد ما بين ميدان النثر وميدان الشعر ٠ اذ ان النثر كما سبق وانبهنا اليه ، يعتمد الايضاح ويستدعي البرهان ٠ وانطلاقا من هذا فسّر صاحب العمدة سبب نزول القرآن منثورا ٠ اذ ان الله جل ذكره " جعله منثورا ليكون اظهر برهانا "(١)

هذا التأكيد على التفريق بين تناول الشعر والنثر للايديولوجيا ، والذى يخص النثر بالبرهان والمنطق ، يشير الى دور كل منهما منطلقا وغاية ٠

بحسبنا شهادة النبي ـ تكريسا لهذا التباين ـ حين شبه تفجّر الشعر من ينبوع العواطف الانسانية ـ ملاحظا البيئة في التمثيل ـ تاركا الايماءة للاجيال ، حين شبهه بحنين الابل ٠

كذلك فان ابن رشيق عبّر عن هذا الاختلاف حين رأى ان الشاعر " انما سمي شاعرا لانه يشعر بما لا يشعر به غيره " (٢) ٠

من هنا يتأكد مدى التفاوت بين ايديولوجيا الشاعر والناثر ، ومدى صلاحية كل منهما للالتزام ٠ فالشاعر يمكن ان يكون معتنقا لمذهبية بعينها ، ولكن آن يندفع النهر الشعرى في مجراه يتخذ السمت الذى يلائمه ، يتقولب في القالب الذى يستسيغ ، متخذا مجراه حسب الدفعة الشعورية ، فاذا اعترض معترض ، او قام حاجز ، استدار حوله ، او طما فوقه ، متجاوزا كل السدود ، حاملا شحنته الشعورية ، سائرا بها او سائرة به ، مترسما خطاها باسماح وسهولة ٠

الشعر حين يكون مقيدا بقيود ، ومنطلقا من فروضات سابقة ، يستعصي عليه ان يعايش التجربة ، وينوء بثقل الصورة ، التي تجعل القارىء يعاني معاناة الشاعر ويندمج في تجربته ٠ اذ يرفض الشعر الحق ان يجرى كما يؤطر له ويصمّم ، اذ ليس هو سائلا يعبأ في مفرغات بعينها ، وانما يصوغ الشاعر اداته ويختار تعابيره ، بحيث تتلاشى المسافة بين الطريقة والموضوع ، بين الشكل والمضمون ، يذوبان في كلية وتمام ٠

---

(١) العمدة ـ الجزء الاول ـ ص ٢٠ ٠

(٢) نفسه ص ١١٦ ٠

وانطلاقا من هذه الرؤية رفض ابن قتيبة — كما يبدو — شعر العلماء الذى يقوم على التكلف ورداءة الصنعة "كذلك اشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن اسماح وسهولة " (١)

وكيف يمكن ان يكون الا كذلك ، وهم يريدون ان يجعلوا منه ميدانا يعرضون فيه علومهم ومقدرتهم لامتلاك ناصية اللغة ، ومعرفتهم بغريبها ، انهم ينطلقون من اطر بعينها ، ومن تعابير مفروضة ، هم يسيطرون على الشعر ، لا الشعر الذى يسيطر عليهم ، فيضعون المعنى ، يفكرون بالكلمات قبل ان يستيقظ في نفوسهم وهج التجربة . عندها يتغلب العالم في الانسان على الشاعر الذى فيه ، تستخفي الرؤى وتتلاشى الصور ، ليظهر على المسرح التفسير والايضاح والموقف الفكرى ، وفي اختلاف ما بين هذين المنطلقين يتجسد اختلاف ما بين الشعر والنثر على مستوى الالتزام الايديولوجي .

بعد هذه الالمامة بدور الايديولوجيا في الشعر والنثر .

بعد ان اطلعنا على بعض آراء النقاد فيها ، واستبان لنا في النهاية انهم يتقاربون ، ويتفقون على ان ثمة اختلافا كبيرا او صغيرا ما بينهما ، رأيناهم في النهاية يقررون انه لا بد من التزام شعرى بشكل من الاشكال .

ف (سارتر) حين استبعد الشعر من دائرة الالتزام انما ارتكن لفهمه لطبيعة التعبير الشعرى ، ولافتراضه لتكوّن العالم الشعرى باستقلالية عن المعنى المباشر ، لان تعبيره ابعد ما يكون عن المباشرة في المعنى والتقريرية الواضحة والمحددة . لذلك نراه حين يتحدث عن تركيب الشاعر للجملة يقول : " وقد نظن ان الشاعر يركّب جملة ، ولكن هذا العمل ليس الا ظاهريا . لانه انما يخلق موضوعا " .

" ان الكلمات — الاشياء تتجمع عن طريق تداعيات سحرية للتطابقات والنشازات " (٢)

مع تقديرنا الكبير لهذا الرأى الا اننا نرى ان هذا لا يمنع الشاعر من الالتزام ولكن بما يحافظ على حرم الشعرية . وسارتر نفسه عاد فقرر الالتزام الشعرى في دراسته (اورفيوس الاسود) . اذ نادى بالالتزام الشعرى ، رغم مناداته فيما قبل " اى سخف بان نطالب بالتزام شعرى " (٣) .

والواقع ان كثيرا من الشعراء كانوا ملتزمين دون ان يخنقوا انطلاقية الشعر ودون

---

(١) الشعر والشعراء — ج ١ ص ١٦ .
(٢) الادب الملتزم — ص ٥٨ لسارتر .
(٣) نفسه — ص ٦٠ .

ان يصابوا بالجمود النثرى ، نربح معهم الشاعر الشوط ، ولم يخسر ، وليس " بابلونيرودا " و " ناظم حكمت " يدع في هذا المضمار . وعنا لا بد من التنويه بشاعر آخر هو السيد حيدر الحلي الذي التزم بايديولوجيا بعينها ، دون ان يتدهدى الشعر بين يديه الى مهاوى التقريرية والجمود . بل رأيناه يغدق عليه شحنة شعورية ابداعية ،جعلته يقف على قدميه عملاقا ، امام كل التحديات التي واجهها الشعر بل الادب كله ، ذلك ان هذا الشاعر الكبير كان يعيش في القرن التاسع عشر ، حين كانت سحابة عصر الانحطاط لم تنقشع بعد من سماء الادب العربي . وفي هذا يكمن الكثير من عبقرية هذا الشاعر ورساليته ، وجدارته بان تكشف عنه سجف المغمورية ، وان ينفض عنه غبار التناسي والاهمال . ذلك اننا نجد هذا الشاعر عندما يدخل عالم الشعر لا يطرح من نفسه افكاره ومشاعره بل يدخل اليه محملا بكل هذه الافكار والمشاعر ، وهذا ما يطالب النقاد الشاعر به (١) .

كما اننا نلاحظ عند هذا الشاعر ذروة الالتحام بين نفس الشاعر وما يقوله من شعر وهي الروح الشعرية التي ينطقها الشاعر كلمات . (٢)

وهذا ثمة ما يصبو اليه تعامل الشاعر مع الايديولوجية .

هذا التعامل الشعرى مع الايديولوجيا بحميمية وقدرة شعرية فائقة ، هو ما سنحاول ان نعرض له خلال مدارستنا لشعر السيد حيدر الحلي في رثاء الامام الحسين ، ولكن بعد ان نلمّ بشيء من الايديولوجيا الشيعية ، تلك التي كانت منطلق الشاعر ، وينبوع استلهامه ، فماذا عن تلك الايديولوجيا ؟

---

(١) الشعر العربي المعاصر ـ ص ٣٦١ لعز الدين اسماعيل .

(٢) شعرنا الحديث الى اين ـ ص ١٨٦ لغالي شكري .

الفصل الثاني

الايديولوجيا الشيعية

تمهيد :

لا بد من وقفة ولو متسارعة مع التشيع والامامة والايديولوجية الشيعية . ذلك ان الشاعر موضوع الدراسة تمتح ايديولوجيته من هذا الينبوع ، فمن معينها أنهر مياه عقيدته ، وكيف يمكن على صعيد المنهجية ان نتحدث عن تعبير الشاعر عن هذه الايديولوجيا ومعاناته لها ، دون ان نلم ببعض معالم هذه الايديولوجية .

اصول الاسلام عند الشيعة الامامية :

هذه الاصول تقوم على اربعة اركان : التوحيد ، العدل ، النبوة ، المعاد .
وفي هذا يلتقون مع سائر الفرق الاسلامية .

الا ان الشيعة الامامية تمتاز من سائر المذاهب الاسلامية بتشديدها على ركن خامس وهو الامامة .

وفكرة الامامة متفق عليها عند سائر المسلمين ، لما تواتر عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ان " من مات ولم يعرف امام زمانه فقد مات ميتة جاهلية " (١) .

في هذا يلتقي الشيعة مع المذاهب الاسلامية كلها ، ويختلفون عنهم بأن المذهب الشيعي يرى ان منصب الامامة منصب الهي كالنبوة (٢) .

ومن استدلالاتهم على آلهية المنصب وانه بتعيين من البارئ عز وجل ، الآية الكريمة " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة " (٣) .

---

(١) يلاحظ كتاب كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء ص ٤٧٢ ـ تأليف الشيخ جعفر الجناحي الذي اشتهرت الاسرة باسمه بعد تأليفه لهذا الكتاب فاصبحت اسرة آل كاشف الغطاء وهي من اكبر الاسر العلمية في النجف الاشرف .. وجدها هذا ت ١٢٢٧ هـ ، وهو من اكابر اساتذة الفقه والكلام وجهابذة المعرفة بالاحكام . تلاحظ ترجمته في كتابه هذا ص ٤٧٢ .

(٢) يلاحظ اصل الشيعة واصولها للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء صفحة ٩٨ .

(٣) سورة القصص / ٦٨ .

وهكذا لما كانت الامامة من اهم ميزات الايديولوجية الشيعية ، فلا جرم ان نقف عندها بما يسمح لنا به الظرف ولا يخرج بنا عن منهجية البحث .

الامامـــــــة :

" هي التقدم فيما يقتضي طاعة صاحبه والاقتداء به فيما تقدم فيه " (١) .

والمعرفة بهذا الامام هي فرض كآكد فرائض الاسلام (٢) . كما يقول الشيخ المفيد احد اعلام المذهب الشيعي ، ويستدل على ذلك باربعة وجوه :

١ ـ القـــــرآن :

وذلك في قوله تعالى " يا ايها الذين آمنـوا اطيعوا الله واطيعوا الرســـول واولي الامر منكم " (٣) . فاوجب معرفة الائمة من حيث اوجب طاعتهم ، كما اوجب معرفـة نفسه ومعرفة نبيـه ص ، بما الزم طاعتهما ، وكذلك في قوله تعالى " يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرأون كتابهم ، ولا يظلمون فتيــلا " (٤) .

وليس يصح ان يدعى احد بما لم يفترض عليه علمه والمعرفة بـــه .

٢ ـ الخبر المتواتر عن النبي ص :

" من مات وهو لا يعرف امام زمانه مات ميتـة جاهليـــة " .

وهذا صريح بان الجهل بالامام يخرج عن دائرة الاســـلام (٥) .

٣ ـ الاجمـــــــاع :

اذ انه ليس ثمة من خلاف بين اهل الاسلام على ان معرفة ائمة المسلمين واجبة علـى العموم . والحديث السابق عن الرسول الاعظم ص ، الى جانب احاديث مستفيضة في الحـث على معرفة الامام والانصياع له كثيرة عند جميع المســلمين .

٤ ـ النظر القياسي والاعتبـار :

ان الخلق منوطون بالائمة في الشرع اناطة يجب بها عليهم معرفتهم على التحقيـق

(١ و ٢) الافصاح للشيخ المفيـد ص ٤ .
(٣) النســاء / الآية ٥٩ .
(٤) الاســراء / الآية ٧١ .
(٥) نفســه ص ٣ .

والا كان ما كلفوا به من التسليم لهم في اخذ الحقوق منهم ، والارتفاع اليهم في الفصل عند الاختلاف ، والرجوع اليهم في حال الاضطرار ، والفقر الى حضورهم لاقامة الفرائض ، وتبيين وجه الشريعة وارشادهم الى امور الدين ، تكليف ما لا يطاق . ولما استحال على الحكيم الرحيم ان يكلف نفسا الا وسعها (١) ، ثبت " انه فرض معرفة الائمة ودلّ على اعيانهم بلا ارتياب " (٢) .

بعد استدلالات الشيخ المفيد الاربعة حول وجوب معرفة الامام ، آخذا بيد الناس الى المحجة الصحيحة ، لتجنيبهم مواقع الزلل ، بارشادهم الى تعاليم الله واقامة حدوده .

بعد هذا ، لو استقرأنا كتب اعلام العلماء الاماميين حول الامامة لرأيناهم ينظرون الى الامامة انها لطف الهي ، ولهذا وجب نصب الامام على الله تعالى (٣) .

ومرّد هذا الوجوب لان العقلاء متى كان لهم رئيس يمنعهم عن التغالب والتهارش . ويصدهم عن المعاصي ويعدهم ويحثهم على فعل الطاعات ، ويحكم بينهم بالتناصف والتعادل ، كانوا الى الصلاح اقرب وعن الفساد ابعد ، وهذا امر ضروري لا يشكك فيه العاقل (٤) .

فالامامة اذن منصب الهي ، لا يقوم غيرها مقامها ، وان معرفة الامام واجبة كما يرى العلامة الحلي لوجوه منها :

ان نظام النوع لا يحصل الا بحفظ النفس والعقل والدين والنسب والمال . فشرع لحفظ النفس القصاص واشار اليه بقوله تعالى " ولكم في القصاص حياة " (٥) .

ولحفظ العقل شرع تحريم المسكر والحد عليه ، ولحفظ الدين قتل المرتد والجهاد ، ولحفظ النسب تحريم الزنى والحد عليه ، ولحفظ المال قطع يد السارق وضمان المال .

هذه امور مهمة يجب حكمها في كل شريعة وفي كل زمان ، وهذا لا يتم الا بمشول لذلك ، يكون عارفا بكيفية ايجابها ، وكمية الواجب ومحله وشرائطه ولا يقوم غيره مقامه في ذلك . ولا بد ان يمتاز هذا المتولي عن بني نوعه بنص الهي ، ومعجز ظاهر ، لاستحالة الترجيح بغير مرجح ، ولجواز اجتماع الاراء على غيره ، لاختلاف الاهواء . وانه لولا ذلك

---

(١) مصداقا للاية الكريمة " ان الله لا يكلف نفسا الا وسعها " الاية الاخيرة من سورة البقرة .

(٢) الافصاح ـ ص ٤ .

(٣) شرح تجريد الاعتقاد " المتن من وضع العلامة نصير الدين الطوسي ، والشرح للعلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر " . ص ٢٠٢ .

(٤) نفسه ص ٢٠٣ . (٥) سورة البقرة / الاية ١٧٩ .

لادى الى الهرج والمـــرج (١) .

الشيعة لا يرون ان الامامة منصب الهي وحسب ، بل انهم يقولون بعصمة الامـــام ، ولهم على ذلك ادلة مستفيضة وكتب كثيرة (٢) .

يقولون بعصمة الامام لأن المقتضي لوجوب نصب الامام هو تجويز الخطأ على الرعيــة فلو كان هذا المقتضي ثابتا بحق الامام ، وجب ان يكون له امام آخر ، وهذا يوقع فـــي التسلسل الى امام لا يجوز عليه الخطأ فيكون هو الامام الاصلي (٣) .

وامتناع التسلسل يوجب عصمة الامام ، لانه حافظ للشرع ، ولوجوب الانكار عليــه لو اقدم على المعصية . وهذا يضاد امر الطاعة الذى اوجبه الله تعالى على الرعية له (٤) . فيفوت بذلك الغرض من نصبه (٥) . لان فائدة امامته هي انقياد الامة له وامتثال اوامـــره واتباعه فيما يفعله ، فلو وقعت المعصية منه لم يجب شيء من ذلك ، ولو جاز عليه الخطـــأ لم يوثق بما تعبدنا الله تعالى به ، ولا بما كلفناه .

هذا ، وكون الامام حافظا للشرع يوجب عصمته ايضا . وانما انيطت به هذه المهمة بعد النبي ، لان الكتاب لا يكفي لذلك لعدم احاطته بجميع الاحكام التفصيلية ولا السنة تكفي للسبب نفسه ، ولا اجماع الامة ، لان كل واحد منهم على تقدير عدم وجود المعصوم فيهـــم يجوز عليه الخطأ ، فالمجموع كذلك (٦) .

---

(١) كتاب الالفين الفارق بين الصدق والمين ـ تأليف العلامة الحلي ت ٧٢٦ هـ . ص ١٠

(٢) يلاحظ على سبيل المثال الكتب التالية : الارشاد والافصاح للشيخ المفيد ـ اكمال الدين واتمام النعمة للشيخ الصدوق ، كتاب الالفين ، شرح تجريد الاعتقـــاد للعلامة الحلي ، دلائل الامامة للطبري . كشف الغطاء للشيخ جعفر آل كاشـــف الغطاء . اصل الشيعة واصولها للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء . عقائد الشيعة الاماميـــة للشيخ محمد رضا المظفـــر .

(٣ و ٥) شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي ـ ص ٣٠٤ .

(٤) وذلك في الاية الكريمة " اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم " .

(٦) شرح التجريد ـ ص ٣٠٤ ، ويلاحظ في ارشـاد المفيد ص ٢٧٧ ـ ٢٨٠ المحاجة التي دارت في حضرة الامام الصادق بين متكلم ومتفقه شامي وبين هشام بـــن الحكم احد تلامذة الصادق ، اذ اثبت هشام للشامي انه لا بد من دليل بعد رسول الله غير الكتاب والسنة لانهما لا يكفيان لرفع الاختلاف وازاحة العلل لايجازهمـــا ولحاجتهما لمن يقوم على تطبيق احكامهمـــا .

منطلق التشــــيع :

اول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية (١) .

للوقوف على ذلك ، يكفي ان ترجع الى احاديث الرسول في هذا المضمار ، وان نطلع على سبيل المثال على كتابي : غاية المرام ، وفضائل الخمسة من الصحاح الســـتة ، لنلاحظ الكثرة الكاثرة من احاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حق الائمة وشيعتهم • من بين تلك الاحاديث ما يدور حول ان عليا وشيعته خير البرية (٢) وانهم الفائـــــزون الخ .. (٣) .

هكذا كما مر معنا نلاحظ ان الامامة هي مسألة شيعية بوجه خاص ، ومن الجديـــر بالاشارة هنا ، ان لا ننسى ان الشيعة يعتبرون الامام علي بن ابي طالب خليفة لرسول اللـه بنص من الرسول ، في اكثر من موضع وعلى اكثر من صعيد ، يكفي حديث غدير خم في حجـة الوداع (٤) • حين جمع الامة ليخطب فيهم فقال " الست اولى بالموءمنين من انفســـهم ، فقالوا اللهم بلى ، فقال : " من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد مـــن عاداه • فاوجب النبي لعلي عليهم من فرض الطاعة والولاية ما كان للنبي عليهم بما قررهم بـــه من ذلك ، فلم يناكروه ، وهذا ظاهر في النص عليه بالامامة والاستخلاف له في المقام (٥) .

وكذلك فقد ثبت عن النبي قوله لعلي عند توجهه الى تبوك " انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي " (٦) .

هذه المنزلة التي اقرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم للامام علي عليه الســـلام ، وبأمر من الله تعالى ، والتي هي بمنزلة هارون من موسى ، تثبت للامام كل ما كان لهـــارون من موسى باستثناء النبوة • فاوجب له الوزارة ، والتخصيص بالمودة والفضل على الكافـــة ، والخلافة عليهم ، لشهادة القرآن بذلك كله لهارون من موسى عليهما السلام •

فقد ورد في كتاب الله العزيز على لسان موسى ، واجعل لي وزيرا من اهلي ، هارون اخي ، اشدد به ازري ، واشركه في امري ، كي نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا ، انك كنـــت بنا بصيرا " (٧) .

---

(١) اصل الشيعة واصولها ص ٨٢ •
(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ص ٩٣ من الجزء الثاني •
(٣) نفســه ص ٩٤ •
(٤) **يلاحظ حول هذه المسألة كتاب الغدير** للعلامة عبد الحسين الاميني فقد عالجهـــا من مختلف الجوانب واتى بالادلة من التواريخ الاسلامية والاحاديث النبويــــــة =

لقد استجاب الله جل ذكره لموسى طلبته فقال سبحانه " قد اوتيت سوء لك يا موسى " (١) .

فثبت لهارون شركة موسى في النبوة ، ووزارته على تأدية الرسالة ، وشد ازر به في النصره .

هذا واما في الاستخلاف فقد ورد في القرآن الكريم على لسان موسى ايضا " اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين " (٢) . فثبتت له الخلافة ايضا بمحكم التنزيل .

لقد جعل النبي منه لامير المؤمنين جميع منازل هارون من موسى باستثناء النبوة . فوجب له بذلك الوزارة ، وشد الازر بالنصر ، والفضل والمحبة ، لما تقتضيه هذه الخصال من ذلك في الحقيقة . كما اوجبت له الخلافة في الحياة بصريح الاية ، والخلافة بعد انقضاء عهد النبوة بتخصيص الاستثناء . كما اخرج منها بذكر "بعد " " لا نبي بعدى " .

وعليه فقد ثبت للامام علي من النبي في جميع الازمنة ، وحتى بعد وفاة الرسول جميع ما ثبت لهارون من موسى ، باستثناء النبوة ، والا لم يكن للاستثناء من معنى ، لان العام الافرادى لا جرم ان يستتبع عموما زمانيا ، اذ متى وجب وجود الامام في وقت لزم استمراره مدى الايام (٣) .

مواصفات الشيعي الملتزم :

من اهم الامور التي يشدد عليها الشيعة انه " من الواجب على كافة البشر معرفة من عاصرهم او تقدمهم من الائمة الاثني عشر " (٤) .

لقد مر معنا تأكيد الشيعة على وجوب عصمة الامام وتنزيهه عن الخطأ ، الى جانب ان يكون اعلم اهل زمانه واورعهم واتقاهم .

تابع هوامش الصفحة السابقة

= الصحيحة والايات الكريمة من القرآن الشريف .

(٥) ارشاد الشيخ المفيد ص ١٠ .

(٦) يلاحظ الحديث في فضائل الخمسة من الصحاح الستة . ج ١ ص ٢٩٩ ، اذ يحيل على وجود الحديث باسانيده المتصلة في كتب الحديث المعتبرة خصوصا في الصحاح .

(٧) سورة طه / ٣١ .

---

(١) طه / ٣٦ .

(٢) الاعراف / ٤١ .

(٣) كشف الغطاء ـ ص ٦ .

(٤) كشف الغطاء ـ ص ٦ .

وفي هذا كبير دلالة على مثالية الشيعي ٠

لو تفحصنا اشتقاقات كلمة " الشيعة " والمعاني الاخرى التي لها في اللغة ، بعد ان عرفنا ان النبي هو واضع البذرة الاولى في حقل التشيع ، طالعنا ان التسمية لم تكن مرتجلة ، عفو الخاطر ، وانما هو من باب وضع الامور في موضعها ، وتسمية الاشياء باحسن اسمائها ٠

ذلك ان من معاني مشتقات الكلمة : الاتباع الصحيح ، والشجاعة ، وولد الاسد ، الى ما في معنى الشيعة بالفتح من كونها شجرة طيبة تجرسها النحل وتمتص رحيقها لتقدم العسل المصفى ، شفاء للناس ، ولما تختص به هذه الشجرة من شذى زاك ، حتى اختصت بتطييب الثياب ٠

لعل في طليعة ما اوقظ في وعينا هذه المعاني ، ما نلاحظ من مطالبة الائمة الاثني عشر لاتباعهم وشيعتهم ان يتحلوا بصفات حميدة ، وان يتسموا باخلاق دمثة ، ليكونوا جديرين بحمل هذا الاسم ٠

لو تصفحنا كتاب الايمان من اصول الكافي للكليني ، وهو احد المراجع الاربعة الكبرى في المذهب الشيعي ، لوقفنا على كثرة كاثرة من الاحاديث التي يحض فيها الائمة شيعتهم ، على ان يكونوا مثاليين في تعاملهم وتعاطفهم ومواساتهم وورعهم ومحبتهم واخلاصهم وصدقهم ٠

يكفي ان نذكر هنا كمصداق لهذا المستوى المثالي المطالب به الشيعي ، هذا الحديث الصحيح لابي اسامة احد اصحاب الامام الصادق المقرّبين ٠ فقد قال سمعت ابا عبد الله الصادق يقول : " عليك بتقوى الله والورع ، والاجتهاد ، وصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وحسن الجوار ٠ كونوا دعاة الى انفسكم بغير السنتكم ٠ كونوا زينا ولا تكونوا شينا وعليكم بطول الركوع والسجود (١) ٠

ارأيت كيف ارادوا من شيعتهم ان يكونوا اسما على مسمى وان يكونوا صفوة البشر وخيرتهم ٠ وهكذا نلاحظ العناية في اختيار الاسم وذلك ليكون عنوان الكتاب مرشدا الى مضمونه ، دليلا على ما ينطوي تحته ، يكفينا هذه الدعوة التطبيقية يتوجه بها الصادق الى اتباعه " كونوا دعاة الى انفسكم بغير السنتكم " ٠

---

(١) اصول الكافي ـ ج ٢ ص ٧٧ ٠

لذلك ، سيرا على هدى جدهم ، انصرف الائمة من آل البيت الى تهذيب المسلمين وتربيتهم تربية صالحة كما يريدها الله تعالى منهم (١) .

وهكذا ما احجم الائمة الاطهار عن حث اتباعهم ، ودعوتهم المتكررة لهم ، لان يكونوا دعاة للحق ، صوى للخير ، هداة للرشاد .

فالعقيدة كما تستشف من خلال تعاليمهم ، والايديولوجيا كما تتراءى عبر منهجيتهم انما هي تطبيق وعمل ، وليست شعارات تتلى . وهذا ما اكده الامام الباقر حين خاطب جابر الجعفي احد اصحابه : " يا جابراً يكتفي من ينتحل " التشيع " ان يقول بحبنا اهل البيت ، فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون ـ يا جابر ـ الا بالتواضع والتخشع والامانة (٢) الخ ... الى آخر ما هنالك من سرد لمواصفات المتشيع الحقيقي ، وما ينبغي ان يتمتع به من تربية فاضلة ، وورع جم ، وروح اجتماعية غيرية ، الى ان يكمل هذا الحديث لجابر قائلا :

" من كان لله مطيعا فهو لنا ولي ، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو ، وما تنال ولايتنا الا بالعمل " (٣) .

فكل من يكتفي من التشيع بحب اهل البيت فهو منتحل لهذا الاسم ، لان ولايتهم ، كما أكد في نهاية الحديث " لا تنال الا بالعمل " .

ارأيت الى دعوة اكثر فاعلية ، وابعد مدى من هذه الدعوة الحارة للعمل . أرأيت الى الحث المطرد على ان يكون التطبيق والعمل سمة كل دعوة من دعوات هؤلاء الائمة ، لان النظرية بلا تطبيق محارة بلا لؤلؤ .

فأي ادب سام هذا الذي راحوا ينشئون عليه شيعتهم ، والى اية انسانية متسامية يستشرفون ، هذه الانسانية المتكاملة التي ما زلنا نحلم ببعض منها على ابواب القرن الواحد والعشرين .

وهؤلاء الاتباع اذا تنكروا لبعض هذه الصفات ، او ان مسارهم في الناس كان معوجا ، وعلى غير المنهجية السليمة ، فما اقل من يتبع جعفرا منهم ، كما قال الامام الصادق

---

(١) عقائد الشيعة الامامية للشيخ محمد رضا المظفر ـ ص ٨٨ .
(٢) اصول الكافي ـ ج ٢ ص ٧٤ .
(٣) نفسه ص ٧٥ .

لابي الصباح الكناني (١)، احد اصحابه الاخيار يوم تذمر من ان بعض الناس ترمي بعض الشيعة بما ليس من صفاتهم .

هؤلاء الشيعة اذا لم يتلاحموا مع هذه الايديولوجية التي سنها لهم ائمتهم ، واذا لم يصلوا الى درجة الاخوة الحقيقية ، والثقة المتبادلة ، حتى يدخل احدهم يده في كيس نقود اخيه ، فيصيب منه ما يحتاج ، وهم ان لم يكونوا كذلك فان "النوم لم يمطوا احلامهم بعد" (٢) .

ارأيت الى الاحلام الراجحة التي يريدها الصادق لشيعته ، والى هذا النضج العقائدي الذي يريدهم ان يكونوا عليه ، ولهذه المثالية الانسانية يستشرفهم اليها .

هذه بعد قبسات من مشاعل الايديولوجية الشيعية .

ونحن بعد ان استهدينا بومضات هذا القبس ، وبعد ان وقفنا على مثالية تلك المبادئ ، فهل نلوم السيد حيدر الحلي ان يتفيأ بهذه الظلال الوارفة ، وان يلذ بواحتها الممرعة من وهج صحراء حياته القائظة ، حتى رجّع على قيثارة محبتها احلى انغام قلبه ، وراح يستنهض في هجير ايامه اللاهبة ، اطلالة المهدي المنتظر ، ليصدع بامر ربه ، ويملأ الارض قسطا وعدلا ، بعدما ملئت ظلما وجورا .

وينبغي ان نشير هنا الى ان الايمان بالمهدي وانتظار مجيئه ، من اهم مقومات الايديولوجية الشيعية ، هذه الايديولوجيا التي استهدى شاعرنا بهداها .

---

(١) نفسه ص ١٧٤ .

(٢) نفسه ص ١٧٤ .

الفصل الثالث ـ منطلقات الايديولوجيا عند السيد حيدر الحلي

ان ايديولوجيا السيد حيدر الحلي ـ على صعيد المنطلق ـ هي الايديولوجية الاسلامية الشيعية • وقد التزم الشاعر بهذه الايديولوجية على مستويات مختلفة ، حتى رأيناها تتسرب الى احناء شعره ، وتتصدر معظمه •

لقد كان ملتزما دينيا ايضا ، حتى على صعيد الشعائر والطقوس ، وعلى مستوى العبادات ، يقوم بالفرائض الدينية على اكمل وجه ، مسلما بالمعنى الخاص ، ومؤمنا مواليا على ارفع المستويات (١) •

هذا الى جانب تمتعه باخلاقية رفيعة ، وانسانية سامية • حتى رأينا المراجع الدينيين الكبار ، امثال السيد حسن الشيرازي • والسيد مهدي القزويني ، والشيخ محمد حسن آل ياسين ، يبالغون في تقدير هذا الرجل ، والاحتفاء به ، لما كان له من اباء نفس ،وشدة تقوى ، وورع جم •

وهو يعد من اتقى اهل عصره ، واشدهم صلاحا واكثرهم زهدا ، يقضي ليله بالعبادة والتهجد (٢) •

هذا التقدير ـ للمسلكية الدينية ـ لم يكن وقفا على العلماء الدينيين بل عند مختلف الطبقات ، مما جعل له في النفوس نوعا من القداسة • يكفي لنعرف له هذا الشأو الذي بلغ في نفوس عارفيه ، ان يرى في انهمار المطر بعد الانتهاء من دفنه ، في عام مجدب ، انه ببركة السيد حيدر رحمه الله •

هذه الظاهرة لم تفت الشعراء الذين رثوه ، بل عرضوا لها ووقفوا عندها ، من هؤلاء الشاعر الشيخ حمادي نوح الذي استوحى هذه الظاهرة وضمنها في شعره فقال :

بكت عليك السماء فانهل منفمرا ... وجه البسيطة حتى عيشها نجحا (٣)

فكنت نورا لها ـ حيا ـ ومنهلها ... ميتا ، وكنت لها بالجدب منتدحا

---

(١) مقدمة الدر اليتيم ـ ص ٤ •

(٢) نفسه ص ٤ و ٧ وطبقات اعلام الشيعة ـ القسم الثاني من الجزء الاول لآغابزرك صفحة ٦٨٧ •

(٣) الدر اليتيم ـ صفحة ٧ •

نظرا للمنزلة الاجتماعية التي كان يحتلها ، ولهذا المقام الديني الذي وقر له في النفوس ، علقت الدروس في الجامعات الدينية في العراق ، بأمر من المرجع الديني ، حدادا على وفاة هذا الشاعر الكبير (١) .

ولعل من خير ما يمتاز به السيد حيدر الحلي وفاؤه الشديد وشدة حبه لاهل البيت ، وفي هذا يتبدى الكثير من التزامه الديني الاسلامي ، خصوصا بعد ان اشرنا الى ما كان عليه من تقوى وورع .

ولا ادل على وفاء السيد حيدر ، من هذه العلاقة الحميمة التي كان يطالعنا بها عبر علاقاته باصدقائه ، واخلاصه الشديد لهم ، كما ان في اجادته الرثاء خير ما يبرهن على هذا الوفاء الجم ، اذ ليس كل شاعر يتمتع بالنفسية المتسامية ـ ان لم يكن ايديولوجيا ـ فيكون وفيا حتى بعد الموت ، فينهمر على رثاء من تجمعه بهم صلات مودة واخاء ، فيجيد في هذا الرثاء .

وكون الرثاء انما يعمل على الوفاء ، شهادة ساقها الخريمي الشاعر (٢) ، عندما ليم على عدم اجادته الرثاء كما اجاد في المدح . فما كان جوابه الا ان الاول يعمل على الوفاء ، والثاني على الرجاء ، وبينهما ـ كما يقول ـ بون بعيد (٣) .

اذا شهد الخريمي ضد نفسه في عدم الوفاء ، فان رثاء السيد حيدر وهو اجود شعره يشهد بالوفاء لهذا الشاعر الايديولوجي .

ونحن اذا انطلقنا من هذا المبدأ وانسحبنا به على شعر شاعرنا ، لادركنا اية انسانية سامية نبضت بها شرايينه ، واية اخوية صادقة مؤمنة عايشت ايديولوجية هذا الشاعر الذي يعد امير فن الرثاء بلا منازع (٤) . واذا عرفنا ان اجود رثائه كان في اهل البيت ، نستطيع أن نقف على مدى حبه الغامر لهم ، وعلى مدى تغلغل الايديولوجية الاسلامية في اعماقه .

---

(١) طبقات اعلام الشيعة ـ القسم الثاني من الجزء الاول ص ٦٨٨ .

(٢) هذه الشهادة اطلقها ابو يعقوب الخريمي ـ وكان متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جيدة ، ثم رثاه بعد موته ، ولكن مدائحه كانت اجود من مراثيه فعوتب في ذلك فكانت حجة ما اشرنا اليه . تلاحظ ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٣١ ـ ٧٣٦ .

(٣) الشعر والشعراء ـ ج ١ ص ٢٤ .

(٤) طبقات اعلام الشيعة الجزء الاول ـ ص ٦٨٧ لآغا بزرك الطهراني .

وهكذا بعد ان عرفنا من ورع السيد حيدر وتقاه ، وشدة وفائه وحبه لاهل البيت نستطيع ان ننظر اليه وقد ارتدى حلة الاسلام عن جدارة واستحقاق . وذلك بشهادة رسول الله ص ، اذ يقول "الاسلام عريان ، فلباسه الحياء ، وزينته الوفاء ، ومروته العمل الصالح ، وعماده الورع ، ولكل شيء اساس ، واساس الاسلام حبنا اهل البيت " (١) .

هذا الاساس كان الركيزة المتينة المكينة التي اقام عليها شاعرنا بناء ايديولوجيته اذ كانت تطالعنا عبر شعره معالم تلك الايديولوجية وتغلغلها في اعماق شعره .

الايديولوجية الشيعية في رثائه :

ماذا نفهم من كون اجود اشعار السيد حيدر هي تلك التي قالها في اهل البيت ، وخصوصا في رثائهم ؟

انا نفهم من هذا شدة الولاء لهم ، ومظهرا مهما من مظاهر معانقته للايديولوجيا الشيعية ، بحرارة وصدق . ولا أدل على ذلك من ان نراه يستوحي عبر قصائده في اهل البيت ، معظم القضايا المذهبية الشيعية ، وتتسرب الى احناء شعره جل الاحداث التي مرت بها الايديولوجيا الشيعية .

وما التزام هذا الشاعر بالمهدوية ، وتغلغلها في حنايا شعره ، وطول مناجاته لصاحب الامر ، لينقذ البشرية من حمأة الضلال الرهيب الذي تردت فيه ، الا خير دليل على التلاحم الوثيق بين هذا الشاعر وبين الايديولوجيا التي يتبناها .

وهو في شعره هذا ، يقدم مثالا رائعا للشاعر حين يرتبط باحدى قضايا الانسان ارتباطا شعريا حقيقيا . ونلاحظ ـ هنا ـ شدة الالتحام بين الشاعر الذي في الانسان والايديولوجيا التي استلهمها ، اكثر منها بين المفكر الذي في الشاعر والايديولوجيا التي يسير على هداها .

فجاءت تبعا لذلك عملية الارتباط هذه شعرية في الاساس ، لانها معانقة صميمية بين الذات الشاعرة وايديولوجيا الشاعر .

والمثال الذي يقدمه على صدق ولائه وعمق التزامه الشعري الداخلي ، هو في مناجاته للمهدي باخلاص ومحبة ، وصدق نية ، ابعد ما تكون عن الرياء المصطنع والتزلف المشبوه ، ضارعا للبارى عز وجل ، ان يذود عن حوض رحمته كل مراء نمام ، مستقلا الفداء بالروح لمولاه المهدي :

---

(١) اصول الكافي للكليني ـ ج ٢ ص ٤٦ .

أفهل نبقى كما تبصرنــــــا ننفذ الايام صبرا ورجــــاء (١)
لا رأى الرحمة من قال ريــــاء قلت الروح لمولاهــــا فــداء

فهو يفصح لنا كما رأينا في خاتمة قصيدته في ذكرى المبعث النبوى الشريف عن مدى تغلغل الايديولوجيا الشيعية في نفسه ، وانسحابها على نتاجه ، حتى انعكست عبر ايديولوجيته الخاصة التي من اهمها ترقب ظهور صاحب الامر ، هذا الذى نرى الشاعر يتلظى على نار انتظاره ليصدع بامر ربه ، ولقد عبر عن هذا الشوق العارم الذى يلهب الاحشاء حين ناجاه قائلا :

فمتى تبرد احشـــاء لنــــا كدن بالانفاس يضرمن الهــواء (٢)
ونرى يا قائم الحق : انتضــت سيفها منك يد الله انتضــاء

فهو هنا يعاني الايديولوجيا الشيعية ، مترقبا مجيء مخلص البشرية ، السيف الجراز الذى ستنتضيه يد الله لتحصد بماضي شباه رؤوس الظلمة المستبدين وتنشر راية الحرية والعدالة والرحمة في كل مكان .

وهنا يتجسد التلاحم الايديولوجي العميق مع المذهبية الشيعية عبر تمسك الشاعر الشديد بصاحب الامر ، ويبدو لنا دور هذا التمسك الشديد بآخر ائمة اهل البيت ، اذا وقفنا على مدى تأكيد اهل البيت على ولاء الامام الاخير والاعتراف باحقيته ، وترغب ظهوره ، من ذلك قولة الامام الصادق عليه السلام : " المنكر لآخرنا كالمنكر لاولنا " (٣) .

الارتباط الايديولوجي عبر وفائه واخلاصه لاهله وداده :

لعل في شدة الاخلاص والوفاء (٤) لاهل الوداد والاصدقاء ـ عند السيد حيدر ـ خير ما ينم عن مدى ارتباطه الايديولوجي . وان في التوفر على قراءة اشعاره ـ في هذا المجال ـ لدليلا على مدى صدق عاطفته تجاه من يحب ، وتجاه من توشجه بهم علاقات حميمة .

ولعل في عمق هذا الجوى الذى يطالعنا عبر قصيدته في رثاء عمه خير ما يستشهد به على هذا الصعيد . فما ان نقرأ هذه القصيدة حتى نحس باللوعة التي اضرمت حشاه ،

---

(١) الديوان ـ ج ١ ص ٣٠ .
(٢) الديوان ـ ج ١ ص ٣٠ .
(٣) اكمال الدين واتمام النعمة للشيخ الصدوق ـ ص ١٤ .
(٤) ويلاحظ من هذا الفصل ـ مبحث مواصفات الشيعي الملتزم ـ ص ١٠١ .

وحتى نلمح بوهج ضرام الشعور الذي خامره ، وهو يصرخ "بظبا الردى " ان تشام من ترابها لتنصلت فوق وريده .

ولا غرابة ، فدواهي الزمن أودت ببسمه : عدته وعديده ، وخلّفته وحيدا في قبضة الدهر ، بعدما احتسب مربيه وكافله :

أظبا الردى انصلتي وهاك وريـدى	ذهب الزمان بعدتي وعديـدى (١)
نشبت سهام النائبات بمقتلـي	فلحفظ ماذا ، أتقي عن جيـدى

لو استعرضنا ديوان الشاعر في هذا الباب ، لالفيناه مليئا بهذه القصائد التي تحكي لنا حكاية رثائه الشديد واخلاصه الجم ، وصدق المشاعر ، تجاه هؤلاء الاشخاص الذين شدّته اليهم عرى محبة ، وجمعته بهم وشائج تعاطف ، الى جانب ما يزخر به هذا الباب من تأبين كبار العلماء الدينيين الذين توفّوا في ايامه ، فكانت له - معهم - وقفات خالدة تسجل مآثرهم وتشيد بمحامد افعالهم ، متحدثة عن دورهم البناء في ارساء قواعد الدين ، ومحاربة البدع والضلال . الى جانب قصائد جمة - مدحا ورثاء - في افراد الاسر العريقة التي كانت تربطه بهم اواصر ود واخاء ، نذكر منهم آل كبة ، وآل القزويني .

انسانية فـذة :

ان اباء السيد حيدر ، وشرف نفسه ، والتزامه المذهبي ، كل ذلك جعله يتمتع بانسانية فذة . فألفيناه يترفع عن ان يتكسب بالشعر ، راغبا بنفسه عن مديح اورثاء الزعماء وذوى الجاه المشبوه ، الذين لم يكن لهم دور في انهاض المجتمع ولا في محاولة تلبية حاجات الجماهير . وهذه مأثرة تسجل له .

لذلك رأيناه ينأى عن ان يهين عنفوان شعره ، وايديولوجيته ، على اعتاب الحكام الذين تنكروا لمتطلبات الشعب مهما بلغ خطرهم .

هذا وان في القصائد النزرة التي انشأها في بعض الحكام تسجيلا لخدمات اسدوها للشعب ، فانما كان في اغلب الاحيان بناء على التماس من لا تسعه مخالفته من مراجع دينيين ، او من اهل وداده ، اذ على حد تعبيره : " من تمام شرف النفس ومكارم الاخلاق ان لا يجبه احد طالب حاجة برده " (٢) .

---

(١) الديوان - ج ٢ ص ٨٧ .

(٢) نلاحظ مقدمة عبد المطلب الحلي لديوان السيد حيدر " الدر اليتيم " ص ٤ . ويلاحظ شعراء الحلة للخاقاني - ج ٢ ص ٣٤١ و ٣٤٢ .

ومهما يكن فان هذا المديح الذي كان يتأتى ـ على الاغلب ـ بناء على التماس الملتمسين ، انما كان تشجيعا لهؤلاء الممدوحين ، ليتابعوا مسيرتهم في خدمة الشعب ، وللالتفات الى شؤونه ، في محاولة لتشجيع العلوم ، وتخفيف الضائقة عن الكواهل ، اذ كان جاثوم الاحتلال التركي مسيطرا ، يذيق ابناء الشعب الوان العذاب ، ويجرعهم كؤوس الغصص والحرمان ، غير كارثين لما يحل بهم من ويلات ولا لما يلم بهم عن صروف ونكبات .

وهكذا ظل هذا الشاعر ـ مع قلة ذات يده ـ يترفع عما يتصف به الشعراء الوصوليون من التدهدي والانهمار تمسحا على اعتاب الملوك والحكام ، ملتزما برثاء آل البيت ، مثالا للمؤمن الملتزم (١) ، الذي يصدر دائما عن ايديولوجية مستاء .

وما احرانا ان نذكر هنا تدليلا على انسانيته السامية ، ونفسيته المترفعة ، تلك المناظرة التي قامت بينه وبين العلامة ابي الفضل الطهراني (٢) ، فلقد كان موقفه بعد هذه المناظرة يشير الى عمق تمثله لايديولوجيته ، تلك التي كانت توصي فيما توصي به ، بان يبتعد الانسان عن الحقد والانانية ، وان يحمل ـ ابدا ـ اخاه على الاحسن ، وان يعترف بالحق وينقاد له .

ففي سامراء ، وفي مجلس المرجع الديني المجدد الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي ، قامت مناظرة بين السيد حيدر والعلامة الطهراني كما اسلفنا . خلال هذه المناظرة (٣) حالف النجاح الطهراني لكثرة محفوظاته ولسرعة بديهته (٤) وللحركة الفكرية التي كان يملك زمامها .

المحاضرة من حيث هي لا تهمنا في هذا البحث ، بقدر ما يهمنا ما نمّت عنه ، واومأت اليه ، من رفعة النفس ، ونقاوة السريرة ، التي كانت تثري اخلاقية السيد حيدر رحمه الله .

ذلك ان هذا السيد الشريف اقدم بعد ما انتهت المناظرة على انشاء قصيدة اطراء في مناظره ، تقديرا لمواهبه وغزارة اطلاعه .

---

(١) طبقات اعلام الشيعة ـ ج ٢ ص ٣٨٧ ـ ومقدمة الدر اليتيم لعبد المطلب الحلي ـ ص ٥ .

(٢) كان الطهراني عالما متبحرا باللغتين العربية والفارسية ١٢٧٣ ـ ١٣١٦ هـ . تلاحظ ترجمته في طبقة اعلام الشيعة ج ١ ص ٥٣ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٦٨٧ .

(٤) نفسه الجزء الاول ـ ص ٥٤ .

فأية انسانية سامية هذه ، وأي ايمان عميق ، لا يعرف الاحن والشحناء ، وايـــة اخلاق رفيعة ، تآزحت من اقطارها تدفع بالسيد حيدر لان يطري خصمه بدل ان يهجيــه ، ويحبه بدل ان ينقم عليه ، فبدل ملاحاته والتعنت عليه نراه يرفع عقيرته مادحــا :

يا ابا الفضل كلما قلت شــــعرا	فيه اودعت من بيانــك سـحرا (١)
واذا ما بعثت غائص فكـــــر	في بحور القريض ، ابــرزت درّا
كم تماطيتغاية جئت فيهــــا	سابق الحلبتين : نظما ونثــرا

هكذا بعد ان استبان لنا من سيرة الشاعر الايديولوجية على صعيد العلاقـات مع الناس ، وعلى صعيد الصفات التي كان يتحلى بها ، وعبر ترفعه عن التمسح بالاعتــاب تكسبا وتملقا ، برغم ما كان عليه من فقر وتقتير في الرزق ، لا نملك الا ان ننظر بالاعجــاب والتقدير لهذا الشاعر ، خصوصا حين نلاحظ ان شعره جاء منتظما في سلك ايديولوجيتــه التي تكن الولاء المحض لآل الرسول ، وتتمسك بالوفاء المخلص من قبل معتنقها لكل من تشده اليه وشيجة ، عبر اصرارها على احترام حقوق الانسان والتمسك باهداب الحق والخيــــر والفضيلـــة .

.. وهكذا بعد ، بقي ان نشير الى ناحية مهمة في شعره الايديولوجي ، تلـك هي المهدوية والايمان بالامام الثاني عشر ، القائم بالحق ، المنتظر لتخليص البشـــرية من ربقة الظلم وجور الاستبداد .

فهل كان للمهدوية دور فاعل في شعره ، وهل انسحب هذا الجانب الايديولوجي على مدار قصائـــده .

هذا ما سنحاول ان نجيب عنه ، بعد ان نقف قليلا مع المهدوية ما هي ومـــا منطلقها وما تطلعاتهــا ؟؟ ..

---

(١) الديــوان ـ ج ٢ ص ١٧٠ .

الفصل الرابع
المهدوية

غاية المهدوية :

نشدان المجتمع الحر المتكامل المتكافئ ، تسوده العدالة الاجتماعية ، مطمح انساني قديم ما كف عن السعي له ، والتبشير به رادة الانسانية منذ القديم •

فأصحاب الرسالات السماوية كلهم بشّروا ودعوا لهذا المجتمع وسعوا لتحقيقه ، وحتى اصحاب القوانين الوضعية لم يبارحوا هذا السمت، فجمهورية افلاطون ومدينة الفارابي الفاضلة ليسا نسيج وحدهما في هذا المجال • فالقوانين الوضعية الحديثة ايضا سواء منها الفردية كالرأسمالية او الجماعية كالاشتراكية والشيوعية ما فتئت تحمل لواء الدعوة لمثل هذا المجتمع•

والمهدوية لا تختلف عن هذا المنطلق، اذ انها تتشوف الى مجتمع تسود فيه الحرية والعدالة، وينتصب الحق، ويقضى على الظلم والاستبداد ، وهي من حيث هدفيتها ما تزال غاية الغايات الى يومنا هذا •

فالمسلمون – في مهدويتهم – اذن ليسوا بدعا في هذا المضمار، فهم يتلاقون مع نظريات العصر، في الدعوة لإقامة مجتمع العدالة والحرية ، وان اختلفت الوسائل عند كل •

فالمهدوية فكرة تحررية تؤمن بتخليص البشر من ربقة الظلم والاستعباد على يد الامام الثاني عشر، هذا الذى سيخرج بالسيف انتصارا للمستضعفين في الارض ليقيم لهم دولتهم كما بشر بها القرآن فيصبحون هم القادة وهم الوارثون (١)، وتملئ الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا •

وللشيعة على ذلك ادلة كثيرة، ومؤلفات مستفيضة، بعضها يستند للآيات القرآنية، وبعضها يرتكز على احاديث الرسول الاعظم، او على تعاليم الائمة من آل البيت واحدا واحدا •

---

١) يلاحظ سورة القصص / ٥ •

والفرق الاسلامية كلها تتفق على مجيء المهدى، وانما يختلفون حول ولادته، وفي تعيين شخصه ، والان من هو المهدى المنتظر؟؟.

المهدى:

هو الامام الثاني عشر عند الشيعة الامامية، محمد بن الحسن العسكري، الملقب بالمهدي و " هو صاحب السيف من ائمة الهدى، والقائم بالحق المنتظر لدولة الايمان (١)".

ولد الامام المهدى ليلة النصف من شعبان عام ٢٥٥ للهجرة، وكانت سنه عند وفاة ابيه خمس سنين.

نص عليه نبي الهدى والائمة واحدا واحدا، ونص عليه أبوه عند ثقاته وخاصة شيعته (٢).

اخفى والده مولده وستر امره ، لحافظا للظروف الصعبة آنئذ ، ونظرا للتضييق الشديد على الشيعة يومذاك . ولالحاح السلطان العباسي في طلبه ، واجتهاده في البحث عن امره ، لما شاع من مذهب الشيعة فيه ، وفي انتظارهم لقيامه . لهذا لم يظهره والده في حياته ، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته.

الامام المهدى سيقوم بالسيف رمزا بذلك للقوة التي سيحارب بها المستبدين المستغلين ، وله قبل قيامه هذا غيبتان : قصرى وطولى.

تمتد الاولى من لدن ولادته الى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة آخر سفير(٣). ويستمر امد الطولى الى ان يقوم بالسيف صادعا بأمر الله ، معيدا اشادة بناية التوحيد (٤).

---

١) الارشاد للشيخ المفيد ص٣٤٦.

٢ و ٤) الارشاد للشيخ المفيد ص٣٤٦.

٣) نفسه ص٣٤٥.

لقد حض الله تبارك و تعالى على الايمان بالغيب، فقال جلّ ذكره " هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب"(١)٠

و من الايات التي يستدل بها الشيعة على حجيّة الغيبة قوله تقدس اسمه " و اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة(٢)" ٠

في هذه الاية حجة على غيبة المهدى، اذ ان الله طلب من الملائكة ان يؤمنوا بخليفة قبل ان يوجد ٠ و الغيبة قبل الوجود ابلغ الغيبات، اذ لم يشهد الملائكة قبل ذلك خليفة قط، بينما نحن البشر شاهدنا خلفاء كثرا ، اخبر عنهم القرآن ، و تواترت الاخبار (٣) بذكرهم٠

و الايمان بالامام حال غيبته اعظم مثوبة و اكثر اخلاصا ، ذلك ان هذا الايمان ابعد ما يكون عن الرياء و التزلف، لان غيبة الامام انما كانت خوف اعدائه ، و الامام الغائب مقموع مقهور، مزاحم في حقه ، لاقى بعده شيعته من اعداء الله ما لاقوا من سفك دم، و نهب اموال، و ابطال احكام ، و جور و استبداد ، و تبديل للصدقات (٤)، و معاناة للابتزاز و الاستغلال ٠

لهذا كان للمنتظر لقيام المهدى، المترقب لدولة العدل و الرحمة، ثواب عظيم و اجر جسيم٠ بحسبنا لنقف على مدى ذلك، قولة الامام لعبد الحميد الواسطي احد اصحابه يبين له اهمية الالتزام الصحيح و صبر النفس : " يا عبد الحميد اترى من حبس نفسه على الله عز وجل لا يجعل له مخرجا " ؟؟ " بلى و الله ليجعلن له مخرجا ، رحم الله عبدا احيا امرنا "(٥)٠ بل ان الامام ذهب الى ابعد من ذلك ، حول هذا الايمان حال الغيبة، حين سأله عبد الحميد نفسه عن اجر من يموت قبل ان يدرك القائم و هو مؤمن به مهيئ نفسه لنصرته ضد المستبدين المستغلين ، فما كان جواب الامام عليه

---

١) الايات ٣ و ٤ من سورة البقرة، و من تفسيرات هذه الايات في كتب التفسير المعتبرة ان المتقين هم الشيعة و ان الايمان بالغيب هو الايمان بقيام المهدى٠

٢) البقرة / ٣٠٠

٣) اكمال الدين و اتمام النعمة للصدوق ص ٣٠٧٠

٤) نفسه ص ١٢٠

٥) نفسه ص ٦٠٤٠

السلام الا " القائل منكم ان ادركت قائم آل محمد نصرته كان كالمقارع معه بسيفه ، بل كالشهيد معه (١)"

هذا و الايات القرآنية الكريمة التي يستدل بها الشيعة الاماميون على قيام القائم كثيرة منها :

- " و نريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض و نجعلهم ائمة و نجعلهم الوارثين (٢)• "

- و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض لله يرثها عبادي الصالحون (٣)" •

- " و استبقوا الخيرات، اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ، ان الله على كل شيء قدير (٤)"

- " وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، و ليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا (٥)" •

- " و لئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه ، الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم، و حاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٦)" •

- " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و ان الله على نصرهم لقدير (٧)" •

هذا في الايات القرآنية التي يفيد تفسيرها بالروايات المسندة انها كلها تتحدث عن قيام دولة المهدى التي ستملأ الارض عدالة و حرية و تنتقم من الظلمة المارقين الذين تنكروا لواجباتهم الانسانية •

---

١) نفسه ص ٦٠٤ •
٢) القصص / ٥ •
٣) الانبياء / ١٠٥ •
٤) البقرة / ١٤٨ •
٥) النور / ٥٥ •
٦) هود / ٨ العذاب خروج القائم ليعذب الظالمين و الامة المعدودة هم اصحابه و عدتهم عدة اصحاب بدر • ٧) الحج / ٣٩ •

كذلك فان الاحاديث النبوية ــ على هذا الصعيد ــ زاخرة بالدعوة لانتظار القائم المهدى، وعلى تعبئة النفوس المؤمنة ارتقابا ليومه الموعود •

ونحن سنحاول ان نقتبس بعضا من تلك الاحاديث من كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة لان احاديثه مستقاة من كتب الصحاح المعتمدة في الاحاديث ومن غيرها من المراجع في كتب الحديث•

من هذه الاحاديث:

= " عن انس بن مالك ان رسول الله "ص" قال : نحن بني عبد المطلب سادة اهل الجنة : انا وعلي وجعفر وحمزة، والحسن والحسين، والمهدى (١)" •

= "عن ابي هريرة قال رسول الله "ص" : " لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي (٢)"•

= عن ابي سعيد الخدرى قال : " قال رسول الله "ص" : لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا ، ثم يخرج من اهل بيتي من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا (٣)" •

ـ عن حذيفة : ان النبي "ص" قال : " لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد ، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من ولدى، اسمه كأسمي ، فقال سلمان الفارسي من اى ولدك يا رسول الله فقال من ولدى هذا ، وضرب بيده على الحسين عليه السلام (٤)" •

بعد ان ذكرنا نبذة من الايات والاحاديث النبوية التي تتحدث عن المهدى بقي ان نشير الى بعض الكتب الكثيرة التي عالجت ــ عند الشيعة ــ هذا الموضوع، حيث

---

١) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ص ١١٠•

٢) نفسه ص ٣٢٤•

٣) نفسه ص ٣٢٨ وذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة محمد وبتفصيل اكثر•

٤) نفسه ص ٣٢٥•

تتفق معها على الاحاديث المتواترة التي يسوقونها عن النبي و عن الائمة من آل الرسول، مع استدلالات مستفيضة و براهين جمة(١)٠

و هكذا فان البشارة بظهور المهدى في آخر الزمان، ثابتة في القرآن، و عن النبي و آله بالتواتر٠ سجّلها المسلمون على اختلاف نزعاتهم فيما رووا من اخبار و ما ساقوا من احاديث٠

هذا و ان فكرة المهدوية ليست مستحدثة طارئة، تبناها الشيعة كحلم بالخلاص من هذا الذى لاقوه من تشريد و ظلم و جور، فنشدوا منتصرا للحق لينشر لواء العدالة و ليطهر الارض من رجس الظلمة المستبدين (٢)٠

و انما كانت كما بينا - فكرة مرصودا لها خلال اى القرآن الكريم، و عبر الاحاديث النبوية التي تتحدث عن المهدى، و اخبار الائمة الاطهار، حتى وقرت في الاذهان واستقرت في النفـــوس٠

و لولا ثبوت فكرة المهدى عن النبي" على وجه عرفها جميع المسلمين، وتشبعت في نفوسهم و اعتقدوها، لما استطاع ان يستغل هذه الفكرة بعض مدّعي المهدوية في القرون الاولى كالكيسانية و العباسيين و جملة من العلويين، خدعة للناس و وصولا لآرابهم في طلب الملك و السلطان (٣)٠

..بعد هذه الوقفة العجلى مع المهدوية، و بعد ان عرفنا ان الامام المهدى حجبه الله عن العيون، و هو مترتب امر الله، ليشهر سيف العدل و الحق في وجه الطغاة المارقين، ليبني دولة المستضعفين في الارض المؤمنين بالغيب، العباد الصالحين الموحدين الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلم، هؤلاء الذين سيستخلفون في الارض لصبرهم و طول انتظارهم فيكونون مصداق قوله تقدس ذكره " جاءهم نصرنا فنجّي من نشاء، و لا يرّد بأسنا عن القـــوم المجرمين (٤)" ٠

---

١) من هذه الكتب على سبيل المثال: اكمال الدين و اتمام النعمة للشيخ الصدوق حيث قسم هذا الكتاب الى ابواب في النص على المهدى يبتدئها في نص الله تبارك و تعالى عليه، ثم نص النبي، و امير المؤمنين، فالائمة واحدا واحدا حتى الامام الحسن العسكرى عليه السلام والد القائم المهدى٠ ٢) عقائد الشيعة للشيخ محمد رضا المظفر ص ٥٥٠
٣) عقائد الشيعة ص ٥٥ ٠ ٤) يوسف/ ١١٠٠

وبعد ان عرفنا ان الايمان بالمهدى من اخص خصائص الشيعة الاثني عشرية، لان " المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا "(١)• كما يقول الامام الصادق عليه السلام•

فهل كان الشاعر موضوع الدراسة، ممن استلهم هذه الناحية من الايديولوجية الشيعية، وهل انتظمت شعره فيما انتظمت، ام انه تجاوزها ولم يلق اليها بالا ؟؟

المهدوية في شعر السيد حيدر الحلي :

لو تفحصنا شعر هذا الشاعر وبخاصة ما كان منه في اهل البيت النبوى، لرأينا ان المهدوية من أبرز سمات هذه القصائد ، حيث تتمثل فيها على اكثر من صعيد •

شعره في عترة الوحي ، خاصة في حسينياته ، ترجمة صادقة لارتباطه الوثيق مع الايديولوجية الشيعية •

فالصورة التي نستخلصها من شعره ، خصوصا ما كان منه في الامام المهدى ، انما هي هذا الحلم المشرق الوهاج ، الذى يترقرق عبر قصائده ، لا يخامره شك من انه سيتقمص في حقائق • وهو ـ عنده ـ عبارة عن تلاشي المسافة بين اليقظة والرؤيا ، بين الواقع والحلم ••

•• انه تجربة العذاب المرير، والصبر الغصص متمثلين باصطدام امنياته المنتظرة لترب الفرج بالايام القاسية والاحداث المأساوية التي لفحت بخلالتها لا حياته فحسب، بل حياة الشيعة عبر التاريخ مما فجر في نفسه ينابيع الشعر المعانق للايديولوجيا بتمثل واعتناق •

ان القصائد التي تمور باستنهاض صاحب الامر كثيرة • كذلك تلك التي تناجيه من عمق المآسي التي تنوب ، يدعوه للخروج ، لينقذ المستضعفين ، وليعيد بناء دولة الحق، وثمة قصائد خاصة في صاحب الامر، تم عبر تدافع امواجها عن عمق معاناته وصدق تجربته الشعرية •

ففي قصيدة له في ذكرى البعثة النبوية، قيلت في سامراء حيث يوجد مقام الامامين علي الهادى والحسن العسكرى، والمقام الذى غاب عنه المهدى، نراه يصرّح على ذكر

---

١) اكمال الدين واتمام النعمة ص ١٤ •

الغيبة، وما خلّفته في النفوس من عميق الاسى •

وبما عزّ على تلك التـــي	اودعتنا عندها الغيبـــة داء(١)
حجب الله بها (الداعي) الذى	هو للأعين قد كان الضيـــاء

بعد ان يذكر الداء العضال الذى تركته الغيبة في نفوس منتظرى دولة الحق، وبعد ما حجب ضياء عيون الهدى باحتجاب القائم المهدى، لنستمع اليه يقول عن مهجـــة ذائبة ينضحها من العينين دما :

يا امام العصر ما اقتلهــــا	حسرة كانت هي الداء العيـاء(٢)
فمتى تبرد احشاء لنـــــا	كدن بالانفاس يضرمن الهواء
وترى يا قائم الحق انتضــت	سيفها فيك ـ يد الله انتضاء
افهل تبقى ــ كما تبصرنـــا ـ	تنفذ الايام صبرا ورجـــاء

اية دعوة حارة، واية صرخة لاعجة يبعثها هذا الشاعر الذى ينتظر الداعـــي لله بمهجة ذائبة وهى جدار صبرها • وبأحشاء لاهبة احرقها الشوق حتى كاد ان يضرم الهواء دقاع زفيرها • وفي هذا كبير دليل على مدى معايشته للايديولوجيا التي يؤمـــن بها • الا ترى لهذا التعلق الشديد بصاحب الامر، وايمانه الرائع به • اكثر ما يتجلى هذا الايمان الملتزم، حين يروح يستنهض بشوق عارم، لان شجرة صبره جفت عروقها، واســـرع الذواء الى غصونها، فهو يسأله ان يدركها قبل ان تهوي اعجازا خاوية (٣)•

أرأيت الى هذا الاندماج الرائع، او قل الحلولية ـ اذا سمح لنا المتصوفة ــ بين الشاعر وايديولوجيته، حتى اصبحت القضية العامة قضيته الشخصية الخاصة، فهو يـرى ـ كما يرى الشيعة ـ ان الله حجب الامام عن اعدائه، وان فجر ليل انتظاره لا بد آت• لكن ليل الانتظار استطال حتى كأن ليس له من آخر• فحلت النكبات بالمنتظرين، وتابــت الويلات حتى بات الصبر لغلى يسجر، فلاذ الاتباع بمنقذهم يستغيثونه عن مهجة ذائبة فهي تسيل من العينين دما بدل الدموع•

---

١ و ٢) الديوان ج ١ ص ٣٠•

٣) من الجدير بالذكر هنا اننا نحاول حين التحدث عن معانقته لايديولوجيته ان نضمن كلامنا نفس تعابير الشاعر قدر المستطاع•

فراح الشاعر وقد تجسمت في اعماقه كل مآسيهم، يستنجد بأمام العصر ليواسي من هذا الداء العياء، الذى نزل بالناس وانشأ يفترسهم بلا هوادة •

ولكن ما الذى ينقذ من هذا الداء داء الاثرة والاستبداد والظلم والطغيان غير امتشاق سيف الحق والعدالة على يد المهدى، فينقذ المؤمنين من براثن الشرك ، لتبرد لواعج اشجانهم في ظل راية العدل والحرية، وهكذا يتحقق ما وعد الله به المؤمنين المستضعفين في الارض ليجعلهم ائمة ويجعلهم الوارثين •

لقد انتظر الشاعر واصطبر، رغم المعاناة التي لا تطاق، لكن صبره لم يكن صبر القنوط واليأس بل كان صبر الامل والرجاء" تنفذ الايام صبرا ورجاء" • على حد تعبيره •

وهنا تتبدى ابعاد التزامه الايديولوجي العميق، بترقب قيام دولة الحق •

ونحن سنحاول فيما يلي ان نستعرض بعضا من شعر السيد حيدر في تعبيره الايديولوجي عن المهدوية، باستثناء ما كان من ذلك في القصائد الحسينية، اذ سنترك الحديث عنها متكاملة في فصل الرثاء، حرصا على ان لا يجرنا التقيد الحرفي بشكلية التقسيم الى الابتسار •

لو حاولنا ان نتتبع تعبيره عن الايديولوجيا عبر فكرة المهدوية، لطالعنا التزام الشاعر بملاءات الايديولوجيا الشيعية، وبأسلوب شعرى نآء عن التقريرية والمباشرة، بعيد عن التكلف والتصميم المسبق •

من الجدير بالتنويه هنا، اننا آن نقرأ اشعاره ننس ان الشاعر يعبر عن ايديولوجيا بعينها، وانما نحس انه يعبّر عن اشيائه الخاصة، عن قضيته هو ذاته، حتى انتظمت تلك الايديولوجيا اشعاره تبعا لدفق داخلي عميق، واحساس كياني متوهج، الحّ على الشاعر ليعبّر، فعبّر بصدق معاناة، وصدق تجربة، حتى بتنا نعايشه في شعره ذاك معايشة حميمة، فلم يعد يهمنا عن اى شيء يتحدث، لانه كان يصدر عن قضايا انسانية، عن معاناة انسان للظلم والاستبداد، فسهر الشوق في عينيه متطلعا الى فجر الخلاص •

ينظر الشاعر كما يتبين من خلال قراءة شعره، ينظر الى المهدوية — شأن الشيعة الامامية — على انها قضية الهية • لان الامامة ليست بالرأى والاختيار وانما هي تعيين من لدن الله الحكيم الخبير، اذ يستحيل — وفاق قاعدة اللطف الالهي — ان يحيل

الله تعالى الى خلقه هذا الاختيار، الذى عليه مدار الاحكام وتمييز الحلال من الحرام ، وكشف حقائق الاشياء، و تمييز التكاليف التي امر بها الله سبحانه ، اذ انه تعالى لـم يحل اليهم شيئا امر به من الواجبات، ولا المستحبات، اذ ان في تلك الاحالة بعثا على اثارة البغضاء و المنازعة الشديدة، كما حصل للمهاجرين والانصار، بعد وفاة النبـي "ص"(١)• بل لقد كانت المنادة باحالة ذلك الى الناس مثار خلاف بين المسلمين على مر العصور •• كما انه لا يرضى العقل للنبي المختار رحمة للعالمين ، ان يوصي بأشـياء عرضية، و يغفل بما لو اطيع به لارتفعت الفتن ، و لجنب الخلق ان يغدوا في هرج و مـرج ولا يتيم لهم ما يصلح امورهم و يسير بهم في الطريق المستقيم(٢)•

ما دامت هذه هي النظرة الشيعية للامامة، فلا غرابة ان يرى فيها الشاعـر كذلك و انسجاما مع ايديولوجيته التي يعتنق مبادئها ، و تجاوبا مع ما قرره القرآن مـن ان الاختيار هو لله سبحانه " وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيـرة سبحانه و تعالى عما يشركون (٣)" فحسب سياق الاية فلاحظ ان المناداة بأن يختار الناس انما هي نوع من الشرك •

لذلك حين نظر السيد حيدر الى المهدى ، على ان رب السماء انتجبه لدينه ، لينقذ الناس من ظلمات الجور و الاستبداد ، كان تلاقيا حميما مع الايديولوجية الشيعية و مع مبادئ القرآن ••

يا ابن الامام العسكرى و من رب السماء لدينه انتجبه (٤)

و هو عبر حديثه عن المهدى لا يقف بجمود و توقع، و انما استجابة للشحنات الشعرية، الشعورية نراه ينطلق، متجاوزا كل قيد •

---

١) يلاحظ كشف الغطاء ص ٦ للشيخ جعفر الجناحي المعروف بكاشف الغطاء ••

٢) يلاحظ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي ص ٢٠٢ ـ و كشف الغطاء ص ٦ •

٣) سورة القصص / ٦٨ •

٤) الديوان ج ١ ص ٣١ •

لذا رأيناه في هذه القصيدة يستطرد الى ذكر ناحية مهمة من الايديولوجية الاسلامية تلك التي تقول بأن سبب خلق الدنيا ، انما هو النبي وآله (١) وذلك في قوله :

ايضيق عنا جاهكم ولقد وسع الوجود وكنتم سببه (٢)

وهو عبر هذه القصيدة يعبر بصورة غير مباشرة عن مدى تلاقي النبوة والامامة وان الثانية امتداد للاولى ، وراعية لمبادئها ، فالنبي ارسل رحمة للعالمين ، وكذلك يرى الشاعر انّ الامام رحمة من الله وذلك عبر قوله :

غضب الاله وانت رحمته يا رحمة الله اسبقي غضبه (٣)

من هذه الاستطرادات المحببة عبر حديثه عن المهدى والتي تنم عن مدى معانقة الشاعر للايديولوجية الشيعية . ومدى انصهاره في بوتقتها ، وتكشف عن تعمقه الشديد في اخبار النبي وآله ، وعن مدى تغلغل ذلك في اعماقه حتى اصبح جزءاً من كيانه ، ومهيلا ثرا من مناهل احاسيسه ووجدانه ، قوله متحدثا عن الائمة في قصيدة يمدح بها الامام المهدى متحدثا عن دار غيبته حديث المتيم الصوفي ، حتى ينتقل على جناح الشحنة الشعورية الى الحديث عن الائمة الاطهار الذين :

لهم على الكرسي قبة سؤدد عقد الاله بعرشه اطنابها (٤)
كانوا اظلة عرشه ، وبدينه هبطوا لدائرة غدوا اقطابها

قبل ان نرمي الشاعر بالمغالاة ، ونذهب الى القول بأن المحبة الشديدة التي يكن في قلبه لائمته هي التي دفعته الى اعطائهم هذه المراتب . يجدر بنا ان نتذكر

---

١) يلاحظ حول هذه الاحاديث كتاب غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الامام من طريق الخاص والعام للسيد هاشم البحراني . الباب الاول من هذا الكتاب يدور حول احاديث الرسول : انه لولا الخمسة محمد "ص" وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، ما خلق الله جل جلاله آدم ولا الجنة والنار ولا السماء ولا الارض الخ .. ويسوق هنا تسعة عشر حديثا من طريق العامة اولها من كتاب الشيخ ابراهيم الجويني من كتابه : فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين .

٢) الديوان ج ١ ص ٣١ .

٣) الديوان ج ١ ص ٣١ .

٤) الديوان ج ١ ص ٣٢ .

حديثا قدسيا مسندا عن رسول الله ، يتحدث فيه النبي "ص" عن الليلة التي اسرت بـه فيها ، و بعد ان يذكر ان الله اشتق اسم النبي محمد من اسمه و كذلك اسم الامام علـي و بعد ان يحدثنا عن دور ولاية النبي و الائمة التي طالب بها المؤمنين ، يخبرنا النبـي بأن الله سبحانه و تعالى طلب الى النبي ان يلتفت الى يمين العرش فالتفت فاذا بعلي و فاطمة و الائمة كلهم " في ضحضاح من نور ، قيام يصلون ، و هو في وسطهم يعني المهـدى كأنه كوكب درى" (١)

بعد ان عرفنا هذا الحديث المسند عن النبي ، نقف على مدى التجاوب بيـن الشاعر و ايديولوجيته ، حين استلهم حديث الرسول بفضل اهل البيت ، و عرضه علينا عبـر التجربة الشعرية ، و الشحنة العاطفية •

أرأيت الى هذا الشاعر كيف يصدر عن ايديولوجية ملتزمة و عقيدة ، بنّاءة ، تعايش في احشائها جميع الاشياء ، دون ان يجنأ شعره في اهداف التقريرية ، و دون ان يقع فـي جفاف النثرية •

و هذه الظاهرة ليست بالنزرة و لا باليسيرة في شعره ، و انما تتعدى في اكثر من مجال و على اكثر من صعيد ، لنستمع اليه يتحدث عن جبلّـــة النبي و آله :

فالله صوّر (آدما) من طينة لهم تخيّر محضها و لبابها (٢) •

هذه الصورة الشعرية الرائعة التي ساقها لنا ، ليست من تزويق الخيـــال المترف المغرق في سبحاته ، و انما هي مستوحاة من حديث الرسول عند خلق آدم ، اذ رأى على يمين العرش نور خمسة اشباح سجدا ركعا ، فأخبر الله آدم عنهم و هم النبي و علـي و فاطمة و الحسن و الحسين •

" يا آدم هؤلاء صفوتي بهم احييكم و بهم اهلككم " (٣) •

---

١) يلاحظ كشف الغطاء ص ٧ حيث يذكر الحديث بتفصيله ، و كذلك غاية المرام للسيد هاشم البحراني ص ٦٩٢ حيث ينقل نفس الحديث عن اخطب خوارزم و هو من اعيان علمـاء العامـــة •
٢) الديوان ج ١ ص ٣٢ •
٣) يلاحظ نص الحديث بتمامه في غاية المرام للسيد هاشم البحراني ص٩ •

هنا يتراءى لنا مدى استلهام الشاعر لقضيته ، ومدى تعمقه في استيعابها وتمثلها .

لو تصفحنا حديثا آخر من احاديث الرسول الاعظم في محاولة استجلاء لمدى تسرب ايحاءاته في شعر السيد حيدر، لراعنا بهذه المقدرة العجيبة على استلهام الاحاديث النبوية وعرضها عبر شريط شعره . ففي حديث مسند عن الرسول عن سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله يقول :

" خلقت انا وعلي بن ابي طالب من نور عن يمين العرش نسبح الله ونقدسه، قبل ان يخلق آدم بأربعة عشر الف سنة . فلما خلق آدم نقلنا الى اصلاب الرجال وارحام النساء الطاهرات، ثم نقلنا الى صلب عبد المطلب، وقسمنا نصفين ، فجعل النصف في صلب ابي (عبد الله) وجعل النصف الثاني في صلب عمي (ابي طالب) فخلقت انا من ذلك النصف وخلق علي من النصف الاخر " .(١).

بعد ان وقفنا على هذا الحديث سنحاول ان نرى كيف استوحى الشاعر هذا المعنى وضمنه في شعره ، حين يتحدث عن اهل البيت، وكيف ان الله تقدس ذكره صوّر آدم من طينة تخير للنبي محضها ولبابها ، الى ان يقول انسجاما مع ما جاء به الحديث النبوي الشريف:

وبراهم غررا من اللطف التي	هي كلها غرر وسل احسابها
تخبرك انهم جروا في اظهر	طابت وطهّر ذو العلى اصلابها (٢)

أرأيت كيف استوحى الحديث الانف الذكر، وكيف تغلغل في حنايا شعره ، واستطاع ان يكون شاعرا ذا قضية حين اندمج بها اندماجا جعل من الصعب علينا ان نفرق بينه وبينها ، حتى تراءى لنا يتحدث عن نفسه وعن اشيائه الخاصة، وليس عن مذهبية بعينها ، وهذا لعمر الحق اسمى ما يصبو اليه الشعر الايديولوجي .

---

١) نفسه ص٦ .

٢) الديوان ج ١ ص ٣٢ .

هذا وانا لنراه يتسلسل في التعبير الايديولوجي ، حتى تحمله الشحنات الشعورية الى ابناء المهدوية ، قضيته التي تملكت مشاعره ، فعبر عنها بحرارة وصدق ، ساعد على تأجيج اوارها ظروف بيئته واحداث زمانه ولذلك يكمل الصورة السابقة فيقـول :

وتماسلوا فاذا استهل لهم فتى	نسجت مكارمه له جلبابهـا
حتى اتى الدنيا الذى سيهزها	حتى يدك على السهول هضابها
وسينتضي للحرب محتلب الطلى	حتى يسيل بشفرتيه شعابهـا (١)

.. هنا ينبغي ان نقف عند كلمة حتى أتى ، حين يتحدث عن صاحب الامـر ، فهو هنا يقر بولادة صاحب الامر ، انسجاما مع المذهبية الشيعية ، وينبغي ان نلاحظ مدى اعتقاده بحتمية مجيء المهدى ، حين عمد ـ جريا على الاساليب القرآنية ـ باستعمال الصيغة الماضوية ايذانا بحتمية الوقوع .

ثم ان في كثرة استعماله لكلمة " حتى " لكبير دليل على ايمانه بحتمية ما يذهب اليه .

في هذه الابيات يتراءى لنا كيف يتحدث عن صاحب الامر الثائر للحـق ، كما مرمعنا في الحديث القدسي قبل صفحتين ، هذا الذى سيصدع بأمر ربه فيهز الدنيا هزا عنيفا ، حتى يعيد الدين الحق دعائمه ، وينتصر للضعيف من القوى ، وللمحروم من المستبد ، منتضيا في حرب الطغاة سيفا علويا ، ذا شفرتين ، وكأنه ذو الفقار ، يحتلب من رقاب الاعداء الكافرين دماءها ، ثم نراه يعود فيؤكد ـ وهنا يتجلى مدى ايمانيته الملتزمة ـ ان هذا الامام العظيم لا بد وان يدرك ثأره من اعداء الله . ولا جرم ، فقد وكل الله سبحانه له طلاب هذا الحق وادراك ترته . كما اكد على ذلك الرسول العظيم في احاديث كثيرة جدا ، وهذا ما اشار اليه الشاعر :

ولسوف يدرك حيث ينهض طالبا	ترة ، له جعل الاله طلابهـا (٢)
هو قائم بالحق ، كم من دعـوة	هزّته ، لولا ربه لاجابهـا

---

١) الديوان ج ١ ص ٣٢ .

٢) نفسه ص ٣٣ .

•• يبدى لنا مدى عمق مسار ايديولوجيته في مشاعره واحاسيسه وعلى مستويات مختلفة حتى جاء شعره معبّرا عنها، ولا ادل على ذلك من قصيدته "المعجز الباهر" • والتي انشدها :

" لما هبت من الناحية المقدسة نسمات كرم الامامة فنشرت نفحات عبيرها بتلك الكرامة، فأطلقت لسان زائر من اعتقاله، عندما قام عندها ملحفا بتضرعه وابتهاله "(١)•

كذا يظهر المعجز الباهـــر	فيشهده البر والفاجـــر(٢)
ويروى الكرامة مأثورة	يبلّغها الغائبَ الحاضـر

حتى اذا وصل الى مدى تسرب الفرحة الغامرة بهذا الانتصار، وبهـــذا المعجز الباهر، وآن راحت تحتوية الكرامة العبّاقة بين اجنحتها الملائكية صاح من فـرط اعجابه وتأثره :

اجل طرف فكرك يا مستـدل	واجد بطرفك يا غائـــر(٣)
تصفح مآثر آل الرسول	وحسبك ما نشر الناشـــر

•• فها هو الشاعر حين تشابكت في نفسه محبة آل الرسول، ولما غمرتــه الفرحة بنشوتها الساحرة، رأينا الصورة عنده تكاد ان تسبق التعبير• وهو هنا مرتكن الى الايحاء، الى الاشارة، حين يعرض للحديث عن مآثر آل الرسول، فهي كثيرة كثيرة، رغـم كل المحاولات التي قامت في وجه ذيوعها وانتشارها بل في سبيل وأدها وتشويهها، وبحسب من يتطلع الى هذه المآثر، بحسبه هذا النزر اليسير الذى قيض له ان ينشـر، وهذا يذكرنا بقولة الخليل بن احمد الفراهيدى متحدثا عن الامام علي ومآثره الجمـة، مآثر امرئ اخفى محبوه امره خيفة، وكتمه اعداوءه كرها، فخرج من بين هذين ما مـلاء الخافقيـــن•

عبر هذا التمازج الشديد بين الشاعر وايديولوجيته، والانتشاء بشـفاء الاخرس ببركة صاحب الامر، لا ينس وهو في تلك الحالة، وهذا دليل معايشة دائمـة لقضيته، لا ينس ان يستغيث المهدى الذى هو الملاذ والمغيث اذا نضض الحـادث وحزب الامر:

---

١) مقدمة القصيدة كما كتبها الشاعر نفسه في تبيان سبب نظمها، يلاحظ الديوان ج ١ ص ٤١•
٢) نفسه نفس الصفحة• ٣) الديوان ج ١ ص ٤١•

ايكبو مرجّيه دون الغياث　　　وهو يقال به العاثـــر (١)

أحاشيه، بل هو نعم المغيث　　　اذا نضنض الحادث الفاغر

حتى اذا بلغ التفاعل بين الحادثة والشاعر اوجه، راح يصطرخ من نشـــوة فرحته وعميق بهجته بهذه الكرامة الارجة الفواحة :

أدم ذكرها يا لسان الزمان　　　وفي نشرها فمك العاطـــر (٢)

وهكذا يحيل الشاعر الصورة التقريرية المباشرة - بوهج رؤاه وعمق تجربته، يحيلها الى فعل وصيرورة يتوهجان بحرارة اللقاء بين الذات والموضوع، وصدق التمازج بين الذات الشاعرة والقضية الشعرية.

لو تصفحنا شعر السيد حيدر الحلي في صاحب الامر، لاستطعنا ان نقـف على مدى تعلقه الشديد به، وتوقه المتوقد ليوم الفرج المنتظر، لذلك لا تفوته مناسبة من مناسبات القائم المنتظر الا وعايشها معايشة حارة.

ففي عيد مولد صاحب الامر، عبر تسجيله لذلك اليوم العظيم من خلال شعره نراه يطالعنا بلوحة شعرية رائعة يتبدى لنا فيها الكون وكأنه على موعد مع ميـــــلاد صاحب الامر، انه في عيد البشرى بولادة المنقذ، والشاعر الذى هو الطائر الغرّيد فـي حديقة المهدى، أيطل عيد ميلاده ولا يسكب الحانه من حبات قلبه، ولا يرفرف في سـى الافاق يزف البشرى بذلك العيد ؟ الا يحر الشاعر المحب على شراع محبته في نهـــــر الفرحة اللألاء، يتهادى بهجة وحبورا ؟ وهل ثمة ما يغلغل البشر في القلب اكثر مــن ذكرى هذا الميلاد الميمون، انه بداية تحقق الحلم بالخلاص، فكيف لا يرفع عقيرته بالغناء الهازج النشـــوان :

بشرى فمولد صاحب الامـــــر　　　اهدى اليك طرائف البشر (٣)

وبطلعة منه مباركـــــــة　　　حيّا بوجهك طلعة البدر

(١و٢) نفسه ص٤٢.

٣) الديوان ج ١ ص٤٤.

فتبارك هذا القدوم الميمون ، وسعدت هذه الاطلالة المشرقة، تحمل حامله آنق خلعة، مكثت تمقها زمنا طويلا يد الفخر •

لقد هبت نسمة ناعمة خضلة، مضمخة بأرج هذه الذكرى القدسية النفحات انه ارج النبوة:

فحبك عطرا ذاكيا وسموى أرج النبوة ليس من عطر (١)

الله •• الله •• لهذه البشرى الرائعة بمولد صاحب الامر، ولهذا البرد الموشى تمقه يد الفخر، انه من طراز الوحي ، فلا نزع عن عطف مجده حتى آخر العمر •

ويا لروعة هذه الفرحة النشوى التي سكر الشاعر بخمرتها الالهية العطرة، والتي تسور بأرج النبوة ونشر ميلاد المهدي، والى كون هذا الميلاد نعمة من البارى تبارك مجده ليبتهج الدين بعودة الدماء الى عروقه ، ويفتر ثغر الامامة عن ابتسامة جذلى بحفاظه على الرسالة، ففي هذا الميلاد العظيم:

الآن اضحى الدين مبتهجا وفم الامامة باسم الثغر (٢)
وتباشرت اهل السماء بمن حفّت به البشرى الى الحشر

عبر هذه الفلذات التي اقتطفناها من شعر السيد حيدر الحلي ، تبدّت لنا معالم مذهبيته الامامية كما تبدّت ديمومة التعايش الايديولوجي في ذلك الشعر عبر غمرة الفرح والايناس فتراءى لنا الشاعر طائرا نشوان بالفرحة، يسكب اغانيه في حديقة المهدوية فيزيدها ألقا وبشرا ، ويبثها في نفوس المتلقين لشعره ، حتى يقوم تلاحم حميم، وتسود جواء عابقة بأرج الامامة الذي هو امتداد للأرج النبوي، كل ذلك في صياغة شعرية رائعة، تنبض بالحياة وتخفق بالحيوية •

هذا في صفحة الفرح والبشر، فما عن ذلك في الصفحة المقابلة صفحة الحزن والالم؟؟

(١و٢) الديوان ج ١ ص ٤٤ •

مظاهر المهدوية في حالة الحزن و الالم:

بعد ان عرضنا لمظاهر المهدوية في شعر السيد حيدر، عبر شريط الفرحة الغامرة بميلاد صاحب الامر، و عبر تحقيق المعجزات ببركته، علينا ان نلتفت ضمن اطار المهدوية، و يدافع من خاصة التداعي، الى اللوحة الثانية المقابلة، لوحة الشجن و الالم، التي رسم خطوطها الاسيانة يراع الصبر الذى استعلى على الطاقة البشرية، و لونتها ريشة الانتظار الطويل الذى يوهي العزائم مهما صلب تماسكها •

القضية عند الشاعر ـ في هذا الجانب ـ شديدة الوضوح و هي ان القيم العليا تمرغت في وحول هذا الزمن الوصولي الشهوي ـ و ان رسالة النبي "ص"، اصبحت في عضين، و الدين الالهي يتظلم شاكيا مما نزا به على ايدى الذين نصبوا انفسهم قيمين عليه •

الشاعر هنا ـ حين يجعل نفسه احدى الشموع التي تذوب بليل الانتظار، و حين ينذر نفسه جسرا للعبور الى مطامح العدالة و دولة الرحمة، فانما يدعونا بأسلوب غير مباشر لان نلتزم طريقه، و نعانق انتظاره •

قد يتفق القارئ ـ مع الشاعر ـ و قد يختلف في هذه النظرية التي يؤمن بها، و لكنه لا جرم سيعايش معه ـ مآسي جيله بل الاجيال كلها، و شقاء مجتمعه، و سيضيء في عينيه ـ على غراره ـ مصباح الالم، و يستنشق في عبير ايامه المضنية لواعج المعاناة، و لوعة الاكتواء بنار التجربة، لا عدام تجاوب يقوم بين قارئ شعر و الايديولوجية التي يعبّر عنها ذلك الشعر •

•• لقد اشتبكت في نفس الشاعر معالم ايديولوجيته، و تزاوجت مع معاناته الرهيبة لوطأة الظلم و الحرمان و الاستبداد، فراح ينتظر قيام القائم المهدى، بشوق الزهرة الذابلة صوّحها الهجير لقطرة طل، حالماً بيوم الفرج الموعود، يوم يصدع المهدى بأمر ربه، حاملا راية العدالة و الحرية، فينضوي تحت لوائه، منافحا عن دين الاله، ثائرا في وجه الظلم، الذى عطّل الحدود، و منع الحقوق و مارس الوان الاضطهاد ضد ابناء الشعب الكادحين بما لم يدر مثله على خاطر، حتى غدا الصبر لا يطاق، فكانت من جرّاء ذلك ـ تلك الصرخة الوالهة، اللاعجة تتردد من اعماق الشاعر، تشف عن خلفياتها الدفينة مناجية صاحب الامر:

أقائم بيت الهدى الطاهـر ... كم الصبر فتّت حشا الصابـر (١)
وكم يتظالم دين الالـه ... اليك من العقـو الجائـر
يمدّ يدا يشتكي ضعفهـا ... لطبك في نهضها القاطـر
نرى منك ناصره غائبـا ... وشرك العدى حاضر الناصر

فيا للحزن العميق، ويا للالم الممض يتفجران عبر هذه الصرخة اللاهثة، تستنهض صاحب الامر وقد جاوز الظالمون المدى، لينقذ الدين من براثن الجائرين قبل ان يفترسوه، ويأتوا على ما تبقّى من شلوه . ويا لهؤلاء المنتظرين يتجرعون كؤوس الشقاء وغصص الحرمان .

لكن هؤلاء الصحب المسهدين في ليل الانتظار، يعرفون ان مقدمه امر لا ريب فيه رغم مناجاتهم له واستغاثتهم به ليأتيه امر الله بالنهوض حينذاك يمتشق صارمه الصقيل، ليحصد رؤوس الكفرة الفجرة المارقين .

في هذه القصيدة نلاحظ اشعاعات الامل وبوارق التفاؤل تنسلّ من بين سجف ليل الانتظار، مؤكدة ان نهضة صاحب الامر، لا بد اتية، ولا جرم ان تأتي اكلها مهما استطال امد الانتظار . وهذا وفاق حديث الرسول "ص" المسند عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس: " والذي بعثني بالحق " بشيرا ونذيرا، لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدى المهدى .." (٢) .

خروج المهدى هذا الذى ينتظره الشاعر بالتزام ايديولوجي ليس فيه ادنى اهتزاز ولا اقل تأرجح، بل بيقين ثابت وايمان مطمئن، وايمانه الصادق بهذا الامام وبظهوره، دفعه ان يهيب بمن يتأشب حوله، مخاطبا صاحب الامر:

ولا بد من ان نرى الظالميـن ... بسيفك مقطوعة الدابـر (٣)
بيوم به ليس تبقي ظباك ... على دارع الشرك والحاسر

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٣ .
٢) يلاحظ هذا الحديث في كتاب غاية المرام ص ٦٩٣ .
٣) الديوان ج ١ ص ٧٣ .

هذا النهوض المنتظر ، انما يراه الشاعر ، وبدافع من مذهبيته الشيعية ، يأتي عن امر الباري عز وجل ، ويرى ـ انطلاقا من الايديولوجية الشيعية ايضا ، بأن الامام ينبغي ان يكون معصوما ، وهو افضل اهل زمانه علما وحلما ، وخلْقاً وخُلُقاً ، لذلك راح يخاطب صاحب الامر انسجاما مع مبادئ ايديولوجيته يدعوه للنهوض:

ولكن نرى ليس عند الاله اكبر من جاهك الوافر(١)

فهو في هذا الرأي يصدر عن تجاوب عميق مع عقيدته . فالامام عند الشيعة، يشترط ان يكون كالنبي معصوماً عن الخطأ والخطيئة، والا لزالت الثقة به . لان الغرض من تنصيب الامام هو تكميل البشر وتزكية النفوس . لهذا ينبغي ان يكون أفضل اهل زمانه في كل فضيلة، وأعلمهم بكل علم ، ولزوم العصمة للامام يتبدى صريحا (٢) عبر الاية الكريمة التي يخاطب فيها الله تعالى ابراهيم عليه السلام " اني جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدي الظالمين (٣)" .

وانطلاقا من هذا رأى الشاعر انه ليس اكبر ـ في زماننا ـ عند الله من جاه المهدي، لذلك راح اعتمادا على هذا يطلب الى صاحب العصر والزمان ان يسأل الله تعجيل ظهوره لما له ـ عند الله ـ من وافر الجاه ، وعلو المقام :

فلو تسأل الله تعجيله ظهورك في الزمن الحاضر(٤)
لوافتك دعوته بالنهوض بأسرع من لمحة الناظر

كل ذلك انما هو لاقامة دولة العدل واعادة تشييد بناء الدين المنقوض، وهنا يجنح الى النسج على منوال الاسلوب القرآني في استعمال الصيغة الماضوية، ايذاناً بحتمية تحقق ما يذهب اليه ، لنصغ اليه مستعملا ذلك الاسلوب متحدثا عن الدور الذي سيتركه ظهور صاحب الامر في النفوس:

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٢ .

٢) اصل الشيعة واصولها للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ص ٩٨ .

٣) البقرة / ١٢٤ .

٤) الديوان ج ١ ص ٧٣ .

فتقف عداك من دينهـــا | قنا عجمتها يد الاطـــر(١)
و سكن امتك مذ عشـــا | غدت بين خافقتي طائـــر

ما دامت حشا المؤمنين لطول ما عانت قد غدت بين خافقتي طائر، فـلا غرابة ان ينفجر الشاعر في ثورة عاطفية عارمة. لقد أوهى جدار الصبر طول الانتظار، و ما يلاقونه من صنوف المحن و ويلات الكروب : الشقاء و الحرمان يخيمان في كل مكـان، زوار الحسين ينهبون على طريق كربلاء و النجف، المدن العراقية المقدسة تتعرض للهجـوم و الغزو الوهابي اكثر من مرة، سواء الحلة موطن الشاعر او النجف او كربلاء. الفرقـة الطائفية يزرعها جاثوم الاحتلال التركي في النفوس، و الجماهير اخذت تئن تحت وطـأة اقدام الغزاة المستبدين (٢). لكن ثمة وعد بالخلاص على يد صاحب الامر.

و هذا بعض من ايديولوجية الشاعر التي يسير على هداها مستلهما مقولا تها و لهذا راح يصطرخ مستنهضا الامام المهدي :

الام و حتام تشكو الحسام | لسيفك ام الوغى الحاسر(٣)
و كم تتلظى عطاش السيوف | الى ورد ماء الطلى الهامر

و هكذا و قد تأججت نفسه بنار تلك الآلام، و قد انصهر في أتون الاسى و الشجن و الصبر المرير، حتى تراءى ليل الانتظار و كأنه بلا آخر، فصاح من اعماق جراحه :

اما لقعودك من آخر | أثرها، فديتك من ثائر(٤)

و لكن استفهامه هنا استفهام الامل المرتجى، لا اليأس القانط، يؤكد ذلـك حين راح يطلب الى الامام المنتظر ان ينهض قادة الابطال فوق صهوات مذاكي الخيـل، هؤلاء الذين سينضوون تحت لواء القائم، و الذين هم كما يصورهم الشاعر، شوس صناديـد لانهم سيكونون خيرة اهل الارض فهم النخبة التي على ايديها سيقوم بناء المجتمـع الجديد مجتمع العدالة و الحق:

---

١) نفسه ص ٧٤.
٢) يلاحظ الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي من ص ١٠ حتى ٤٨ حيث يوجد تفصيل لمعظم تلك الحوادث و في اماكن متفرقة من الكتاب.
٣ و ٤) الديوان ج ١ ص ٧٤.

اولئك آل الوغى الملبسون	عدوّهم ذلة الصاغــر(١)
هم صفوة المجد من هاشم	و خالصة الحسب الفاخر
كواكب منك بليل الكفــاح	تحف بنيرها الباهـــر

آل الوغى هؤلاء الذين يتحدث عنهم، و الذين سيلبسون عدوهم ذلة الصغار، سيجتمعون تحت لواء المهدى، من اقطار الدنيا، ليقيموا بناء دولة الحق.

هؤلاء يخاطبهم الله تعالى بقوله " فاستبقوا الخيرات، اينما تكونوا يــأت بكم جميعا، ان الله على كل شيء قدير "(٢).

مهما يكن من امر فان هذه القصيدة مصدر ممرع نستجلي فيها ايديولوجيــة الشاعر، ففي كل مقطعــ بل في كل بيت نلمح ذلك المسار الايديولوجي الشعرى الــذى ينتظم كل قصائده الملتزمة.

في هذه القصيدة المهدوية التي عرضنا لقسم منها، يحتل تصوير الصبــر الذى يعاني الشاعر و رهطه منه دورا مهما في الهاب النفوس و المشاعر، و تتل الحالــة النفسية التي ولّدها تجرع كؤوس الصبر المرة التي كانت نوعا من الانتحار، لقد غدا الامــر عسيرا لا يطاق فكيف اذن ينشدون الصبر و على ماذا يصبرون :

اصبرا على مثل حز المدى	و لفحة جمر الغضا الساعر (٣)
اصبرا و هذى تيوس الضلال	قد أمنت شفرة الجــازر
اصبرا و سرب العدى رائع	يروح و يغدو بلا ذاعــر

اية حالة اجتماعية بائسة هذه التي يعانون منها، و التي تطالعنا عبر هــذا الخزين الشعورى الاليم.

•• هنا في هذه القصيدة ينبه الشاعر في وعينا عن غير ما قصد، قضية السيدة الزهراء حين ابتزت منها الارض التي ورّثها اياها الرسول المسماة بـ(فدك).

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٤.
٢) البقرة : ١٤٨ يلاحظ تفسير البرهان و تفسير علي بن ابراهيم حيث يذكران ان هذه الايات نزلت بأصحاب القائم.
٣) الديوان ج ١ ص ٧٦.

فليس عن طريق المصادفة ان تجيء كلماته ، هنا ، نفس الكلمات التي رددتها بضعة النبي محمد "ص" ، وانما يتراءى لنا في هذا التلاقي التعبيري، مدى تمثلـــه للايديولوجية الشيعية، و معايشته لجميع احداثها حتى اغتدى قسما منها او اغتـــدت هي قسما منه •

لقد قالت السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها الاحتجاجية على اخـــذ فدك " او نصبر منكم على مثل حزّ المدى"(١) و هو نفس تعبير الشاعر " اصبرا على مثـــل حز المدى"(٢)•

و هكذا راحت تمر امام ناظرى الشاعر سلسلة الحوادث التي ألمت بأهـــل البيت و شيعتهم، وذاقوا منها ما لا تبرك على مثله الابل، على حد التعبير القديـــم• من هذه الخطوب المتوالية، و المآسي الدراماتيكية المتتالية، ان سيف الظلم و الجور، مـــا زال منتضى فوق هاماتهم، يسامون منه خطة لا يرضى بها سوى الكافر، و هذا ما عبـــر عنه الشاعر بقوله متحدثا عن هؤلاء الظلمة المارقين :

فنشكو اليهم و لا يعطفون كشكوى العقيرة للعاقر (٣)

هنا يدير وجهه ناحية صاحب الامر بعد ان اوقفه على ما هم عليه من معاناة ظلم، و جور حكام ليخاطب المهدى مستغيثا :

و حين التقت حلقات البطـــان ولم يرَ للبغي من زاجـــرا (٤)
عججنا اليك من الظالميـــن عجيج الجمال من الناحر

هكذا ايها المحيي الشريعة، و معيد تشييد بناية الدين، ان ما يعانونه مـــن ظلم الاتراك و تعسف ولاتهم، و ما يتحملون من استبداد طغاتهم، يمت بأمتن الاســـباب كما يقول الشاعر نفسه، الى يوم الامام الحسين جد المهدى، فالقوم ابناء القوم:

---

١) دلائل الامامة لابي جعفر الطبرى ص ٣٤، و تلاحظ الخطبة كلها في نفس الكتاب مـــن ص ٣١ـ٤١، و هي جديرة بالقراءة لا لبلاغتها و فصاحتها و حسب، بل لاسلوبها الحقوقـــي و دفاعها المنطقي المدعوم بالحجج و الادلة•

٢و٣) الديوان ج ١ ص ٧٦•
و٤

فباطن ذاك الضلال القديم مضمره عين ذا الظاهر (١)

لقد آن الاوان ايها المعدّ لمحو الضلال ، و قطع دابر الظالمين ، لقد آن الاوان لتستجيب لدعوة المضطر الذى مسه واهله السوء ، لتدرك ترتهم ، فآلامهم لا تطــــاق ، و جراحهم تُنكأ كل يوم فتدمى من جديد ، ولا تجد سابرا يعمل على مداواتها ، وانما تعمق و توغل ابداءاتها يا ابن الرسول :

الى الان تعمق تلك الجراح واوجع منها نوى السابر(٢)

وانسجاما مع ما هو فيه من حالة نفسية ، وقد برزت على صفحة وجوده كل همومه ومآسيه ، يلتفت مخاطبا صاحب الامر ، معتمدا الاشارة والرمز ، مشيحا عن التفصيل والاسهاب ولكن بمنطق الحكمة واسلوب الحجة ، عارضا للامام قضية الذاتية الخيرية في آن معا ، لانها قضية المعذبين المستضعفين في الارض ، متسائلا بصيغة الاستفهام ولكن ليقرر ، مخاطبـــا المهـــــدى :

فعنك انطوى اى تلك الخطوب فتحتاج فيه الى الناشــــــر(٣)

هذه القصيدة تكاد ان تكون من خير ما يعبر الشاعر به عن قضيته . والـــى جانب تبنيه للمهدوية - هنا - كمطلب اساسي ، وهذا يبرز عمق التزامه ، نراه يتمثل كـــل الحوادث والغير التي المت بأصحاب هذه الايديولوجيا منذ القديم . وهنا يتبـدى لنـا صدق معاناته وعميق تجاربه ، عبر معايشته لتلك المراحل الاليمة التي كانت تمر بها هــذه الايديولوجيا ، معايشة فريدة فذة ، يتراءى لنا - عبر تسرب تلك المراحل من خلال شعـره - انه قد عايش كل تجربة قاسية انتابت الشيعة .

خلال مطالعتنا لاشعاره ، نحس بوهج وحرارة تلك التجارب ، وكأن الشاعـــر يعانيها ويكتوى بلهيبها لتوّه ، وهذا ارفع ما يسمو اليه شاعر ملتزم في معاناته ايديولوجيته .

---

١) الديوان ج ١ ص٧٦ .

٢و٣) الديوان ج ١ ص٧٦ .

فآن نعيش مع هذا الشعر مراحل العذاب و الالم عبر مسارها الطويل ، ننسى ان الشاعر يتحدث عن شيء تاريخي مرّ عليه الزمن ، و انما نعايشها عن كثب ، و يلفح وجوهنا وهجها •

لهذا آثرنا ان نتتبع مراحل هذه القصيدة محاولين ان نقف عبرها مع تجاوب الشاعر مع ايديولوجيته ، بخاصة قضية المهدوية •

و هو آن يعرض هذه القضية - في القصيدة - لا يقدمها مبتسرة مبتورة ، و انما يعرضها عبر الشريط المسلسل الذى تأتي في نهايته تتويجا و حلما بالانتصار ، برغم الظلم الذى عانوا من ودلأته ، و الاستبداد الذى ران بكلكله •

و الشاعر آن يخاطب صاحب الامر مستفهما مقررا ان الخطوب التي مر بها المسلمون لم ينطو عنه شيئا منها ، و مع ذلك يذكر كثيرا منها و يسردها على مسمعه متسلسلة ، لان في ذلك نوعا من تنفيسة المكروب ، و مواساة الكليم الذى نوى سابره ، و غاب ناصره ، يرددها لا ليفثأ من غلوائها ، و يهدّأ من فورتها ، و لكن ليعاين مدى لفح هجيرها ، و لتكون اذ يعرضها امام صاحب الامر شاهدة معه ان الصبر على معاناة الويلات لم يعد بالاستطاعة تحمله ، و الظلم الذى ران بجاثومه لم يعد يطاق •

هكذا استيقظت في نفس الشاعر تلك الخطوب الجسام • فهذا ابو سفيان يهتبل الفرص لينقض على الدين الاسلامي ، مضرما اوار الفتنة في صفوف المسلمين ، خصوصا وان المسلمين - بعد وفاة النبي - يختلفون فيما بينهم انصارا و مهاجرين ، و هكذا :

فهب و ما نام حقد القلوب	و لكن رأى فرصة الثائر (١)
فأضرمها فتنة لم تدع	رشادا لباد و لا حاضر

اى فتنة ادهى من ان يحال بين امير المؤمنين على بن ابي طالب و بين ان يثبت قواعد الاسلام في النفوس ، و يغرس تعاليمه كما ارادها النبي • و لكن الامام صبر على محنته تلك - كما يقول طه حسين - اجمل الصبر (٢) • فحافظ على التئام عرى وحدة الدين ،

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٧ •

٢) الفتنة الكبرى لطه حسين ج ٢ ص ١٧٢ •

مشيحا عن كل دعوة ـ مهما بلغ اغراؤها ـ، لانه ادرك بعميق رؤياه ما يراد بالاسلام من ويلات و من شرور • فالاسلام عنده هو الغاية و الوسيلة، و لن يسمح للغاية ان تبرر التواءات الوسيلة، بل ان الغاية السامية لا يمكن ان تحققها الا الوسائل السامية، لذلك لم يكن ليألو في النصح للخلفاء ابلغ النصيحة، و ان يقف الى جانبهم عند كل شدة تنزل او ملمة تنوب، مسددا وموجها ، حتى كانت اقوال عمر الخالدة : " لولا علي لهلك عمر " " لا كنت لمعضلة ليس فيها ابو الحسن "(١) ـ خير ما يثبت على مناصحته للخلفاء و الاخذ بيدهم عند كل مزلقة •

بعد هذا ينتقل الشاعر ليعرض علينا لوحات مسلسل المآسي الذى مر به آل النبي الاطهار، مرورا ب (فدك) و ما لاقت السيدة الزهراء في ابتزازها تلك الارض التي حي ارثها من ابيها ، و ما كان من المحاولات الكثيرة التي كانت دائما تفسح الا صبع الاموية ـ التي لم تكن تدخر جهدا في العمل على اذواء فرع الهدى الناضر •

فراح ابو سفيان و من حازبه ينصبون اشراكهم لغيلة عترة الوحي ، و محاولة وأد الدعوة النبوية، عبر ملاحقة آل البيت، حملة مشعل الرسالة بعد النبي ، لانهم يأبون الا الحفاظ على شجرة الهداية التي غرسها و نماها النبي "ص" ، فقاموا من بعده يتعهدونها و يحافظون عليها لتظل فارعة ممرعة ميادة •

هنا تتمثل ابعاد المأساة متتالية متوالية امام عين الشاعر، فينقلها لنا ـ و قد تمثلها ـ في صورة راعفة بالالم ، مورّة بالاسى •

فهذه السيدة الزهراء تدفن تحت ستر الدجى ، مغلوبة على امرها ، مستلبة حقها ، و هذا امير المؤمنين ، سيف الله المصلت في وجه المشركين و المرتدين و المتآمرين هذا الذى حبه ـ كما يقول النبي ـ عنوان صحيفة المؤمن ، و ان من سبه فقد سب الله و رسوله ، و ان حبه ايمان و بغضه كفر (٢) •

---

١) يلاحظ الجزء الثاني من فضائل الخمسة في الصحاح الستة ص ٢٧١ و ما بعدها في رجوع ابي بكر لعلي ، و ص ٢٧٣ و ما بعدها في رجوع عمر لعلي ، و ص ٣٠٠ و ما بعدها في رجوع عثمان لعلي •

٢) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج ٢ في الصفحات ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٠٧ •

هذا الامام العظيم معلي راية الاسلام اذا احتدمت الوغى و تفرقت الانصار، و مجلي المبهمات اذا حزبت الامور و طمست المعالم، يقتل غيلة في محرابه و هو ساجد يصلي لباريه ، فيخضب من نجيعه القاني •

و مثلما قضى امير المؤمنين شهيد الذياد عن حياض الرسالة النبوية، كذلك قضى الائمة الاطهار من بعده ، محتذين نفس السمت، حتى لاقوا ربهم مظلومين مدافعين عن حقهم، ولا هم لهم الا ان يبقى صرح الدين شامخا ممردا (١)•

اغتيل امير المؤمنين ، و دُسّ للحسن السم حتى برى احشاءه ، بعد ما كان من نقض معاوية لكل العهود والمواثيق التي اخذها الحسن منه •

ثم ولي يزيد سدة الملك العضوض بعد ابيه معنا في مجونه و تهتكه ، و زرايته على الدين ، حتى اذا قام الحسين بن علي ينافح عن دين الله و رسالة جده السمحاء، لان يزيد اراد اطفاء جذوته ، و اخماد لهيب شعلته ، ليستحيي الجاهلية الراعنة بعد اندثار، فما كان من نصيب منافحة الحسين الصارمة ، الا ان يخر صريعا ، شهيد الدفاع عن الحق و الحرية و العدالة، حتى :

قضى والهداية في مصرع و وسد و الرشد في قابر (٢)

هنا يوقف الشاعر مسلسل لوحاته المأساوية، فهو ليس مؤرخا ناشرا يريد ان يعرض علينا تاريخا بعينه ، و انما هو شاعر يريد ان يوقظ في النفس احساسا ، و يستفز شعورا ، يريد ان يشرفنا على لهاة الخطوب الفاغرة التي احتوشت آل الرسول ، الى ان يصل بنا الى حمى المهدي لمحو الضلال الساهر من تواتر الهموم، يمضي النهوض منتظرا امر الله سبحانه و تعالى (٣)•

---

١) تلاحظ القصيدة التي تعرض في صورة شعرية تلك الاحداث ص ٧٥ـ٧٨ من الجزء الاول •

٢) نفسه ص ٧٧•

٣) نفسه ص ٧٧•

بعد ان قدم الشاعر ـ عبر شريط شعرى ملهم ـ بعضا من حيثيات حكمه بدعوة صاحب الامر للنهوض وبعد ان اطلعنا على موجبات استنهاضه عبر عرضه للوحات المآسي الدراميكية التي مرّ بها اجداده والتي تلح عليه بأن يقتص لهم، ويدرك ترتهم، نـراه يدعو المهدى ويناجيه ليصدع بأمر ربه ويقذ المستضعفين وكيف لا، والذى قد حـلّ بهم انما هو:

مصائب يصدع عن قلب الجليـد ويقصحن دمعا حشا الصابـر(١)
فهل يقشد الصبر في مثلها وما مثلها دار في خاطـر

لقد تبدى لنا ـ بعد ـ بعض معالم ايديولوجية هذا الشاعر• حيث لمحنـا تجاوز الـ(انا) في طريقه الى المثل الاعلى الذى يعانقه، وصولا الى المنبع الذى يمتح من منهلـه•

اما الطريق الذى سلك الى معانقة هذه الايديولوجيا، فقد تعدّى الوصـف الخارجي، وسلك مسربا داخليا عبر معايشته الحميمة، ومعاناته الرهيبة، في محاولة للخروج من ضيق دائرة الانتظار، الى رحاب واحة الوصول، من الشخصانية الى العالم، من تربـص على جمر الترقب، ولظى الصبر، الى التغلغل الوثيق في حنايا الرسالة التي يؤمن بهـا• ويأمل ان يشارك في تحقيقها عبر محاربة الظلمة المستبدين، ورفع مداميك بناء دولـة المستضعفين في الارض اصحاب الحق الصراح•

لقد استبان لناـفي هذه الوقفة مع ايديولوجيته ـ التزامه الشعرى بالتعبير عن قضيته، عبر الاندماج فيها، فاستوعبت وجوده، وتوزعت كيانه، ثورة انتصار للحـق، وحرارة تعبير، وصدق تجاوب، وعمق معاناة•

لقد نقلنا الشاعر عبر شريط الكلمة الشعرية الموهوبة الى رحلات قصية، استوقـف خلالها الزمن بمقدرة عجيبة• اذ ان الزمن لا يعرضه تمثال، ولا ترسمه لوحة، ولا تناغمـه سمفونية، بقدر ما تذخره وتعيه كلمة شاعرة، تلبسه طيلسان تمرد على كل تحريف، وجمـاد

---

١) نفسه ص٧٨

ثورة على كل تبديل، حين تروح تمده بالدم النقي الذى يجرى في اوصاله رعدة الحياة •

وآن تلامسه الكلمة الشاعرة بأنامل الحنين، تعرضه بملاءات الخيال، و صور الشعر، عالما يمور بالحياة، فمحروري من ثياب البعاد المتوهم، و تعانقه في لهفة المعاناة الصادقة، و وهج التلاقي المستمر، الذى هو لهب يمد سراجنا بالشعلة، و يكشف سر الضياء الذى هو جوهر المحتوى، و غاية المسار •

و هكذا فقد حاولنا ـ عبر عرضنا لايديولوجيا الشاعر، ان نقف على مدى التزامه بخاصة عبر فكرة المهدوية التي كان الشاعر شديد التعلق بها، وفاق ما املته عليه ظروف عصره و احداث زمانه، و حاولنا ان نختصر قدر الامكان حفاظا على منهجية البحث، و حتى لا نخرج شططا عما رسمنا من مخطط الموضوع •

لقد عرضنا هنا ـ للمهدوية و غيرها من المظاهر الايديولوجية، خلال مديح الشاعر لصاحب الامر و مناجاته له، باستثناء ما كان من ذلك في غضون رثاء الامام الحسين، اذ تركنا الحديث عنها لمبحث الرثاء، حتى لا يجرنا التقيد الشديد بالتقسيم الى شكلية محضة، يفقد معها البحث رونقه و تسلسله •

و الواقع ان في رثاء الشاعر للامام الحسين اكثر من ظاهرة ايديولوجية، فما عسانا ان نلتقي في رثائه لهذا الامام العظيم ؟؟

الفصـــل الخامـــس

ـــرثاء الامام الحسين في شعر الحلـــي

تمهيد :

الرثاء ـــكما يراه الدكتور شوقي ضيف ـــ هو بكاء يتعمق في القدم منذ وجد الانسان، و وجد امامه هذا المصير المحزن : مصير الموت و الفناء (١)" .

انواع الرثاء :

الرثاء ثلاثة انواع : منه بكاء الاقارب حين يعصف بهم الموت، و رثاء النفس حين يجد الانسان نفسه على فم الهاوية بين شدقي الموت، و من هذا الصنف بكاء مـن ينزلون من المرء منزلة النفس و الاهل ممن يحبهم و يؤثرهم و هذا هو الندب . و مراثـي الشيعة من خير الامثلة التي تصور ذلك .

و منه التأبين و هو ادنى الى الثناء المحض منه الى الحزن الخالص و النواح الثاكل . انه ضرب من التعاطف و التعاون الاجتماعي ، تعبير عن حزن الجماعة في فقدها لاحد نجومها اللوامع آن يخر من سماء المجتمع . و هذا الضرب من الرثاء محاولة تسجيـل للفضائل .

اما النوع الثالث فهو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين ، ينفذ الشاعر في غضونهـا من حادثة الموت الى التفكير في حقيقة الموت و الحياة، و الى ما ينتهي به هذا التفكيـر من معان فلسفية عميقة و آراء حكمية صائبة، و هذا هو العزاء(٢) .

---

١) سلسلة فنون الادب العربي : فن الرثاء لشوقي ضيف المقدمة ص ٥ .
٢) نفسه ص ٥ و ٦ .

في المعنى اللغوى للرثاء ولاحظنا الاشارة الى معاني الوجع والالم، والتخثر .
وهذا اشارة الى مصدره ودوره في تخثير الاحزان بالتعزية والمواساة، الى جانب ما
تومىء اليه المعاني الاخر، من تعداد المحاسن وذكر المناقب . وجاء الاصطلاح قريبا
جدا من هذا المفهوم، وكلاهما لا ينسى دور التعزية والتهدئة من ثورة الحزن .

اما سبيل الرثاء فهو ـ كما يقول ابن رشيق في عمدته ـ ان يكون ظاهر
التفجع، بيّن الحسرة، مخلوطا بالتلهف والاسف والاستعظام ان كان الميت " ملكا
او رئيسا كبيرا (١)" .

" ولقد جعلت المراثي تسلية لمن عضته النوائب بأنيابها، وفرقت حوادث
الموت بين نفسه واحبابها، تأسية لمن سبق الى هذا المصرع، ونهل من هذا المشرع (٢)" كما
يقول النويرى .

هذا هو الرثاء اذن، متعدد الجوانب كما رأينا، ساحته فسيحة رحبة، ويجد
القلب الكليم، عبر نافذته ـ متنفسا . وهو متباين الاسلوب مختلف الاطراف والشعوب
فمنه المفجع النائح الذى يدمي القلب، او المسلي الذى يعزى النفس بلطيف المقال، ويصرفها
عن موارد الهلاك (٣) .

اذا كان هذا هو الرثاء، فما كان دور شاعرنا معه ؟؟

---

١) العمدة لابن رشيق ج ٢ ص ١٤٧ .
٢) نهاية الارب للنويرى ص ١٦٤ من الباب الثاني من السفر الخامس .
٣) نفسه ص ١٦٥ .

الرثاء عند السيد حيدر الحلي :

لا غرابة ان يجيد السيد حيدر الرثاء .

بل من البديهي ان يعزف على قيثارته الشجية ارق انغام الحزن و اشجى الحان الالم . وكيف لا يكون ذلك ، وفي مهاد الحزن و الالم ترعرع ، فثكل أباه ولما يتم عامه الثاني بعد ..

فشب في دنيا الحزن الخالص ترف من حوله غربان الشجن ، و تحوم غيوم الاسى ... الحكم التركي يفرض سلطته الاستبدادية ، يكم الافواه ، يضيّق الفضاء ، يغتال الحرية ، يصب سوط الظلم و النقمة ، يمتص دماء الشعب ، يفرض الضرائب الفاشمة ، و يبعث الفرقة و الشقاق بين السكان ، و يذّر بذور الفتنة بين الطوائف ، يعيث من كل ناحية فسادا و يبث رعبا .

الى جانب جاثوم هذا الاحتلال البغيض ، انتشر الغزو الوهابي ، يحمل معه الاضطراب ، و يوزع الخراب ، فضربت مدينة كربلاء ، و هدم ضريح الامام الحسين (١) ، و هوجمت النجف ، و كذلك الحلة ، ... النهب ، قامت قيامته على طريق زوار الامام الحسين و الامام علي ، و محاولات " تتريك " العراق (٢) على يد الحكومات التركية بصنوف الارهاب و التنكيل ..

كل هذه الحوادث تجرى ، و كل هذه النكبات تترى : فترى العين ، يستوعب القلب ، تتملى الافكار ، يهتز الكيان ، و ما في اليد حيلة ، فالشعب ضعيف مستضعف ، لا يكفيه ما هو فيه من ويلات و دواه عنصرية ، حتى راح ينقسم على نفسه ، فتحمل السلاح فئة على فئة ، و قبيل على قبيل ، ومع هذا الموج المائج و الحزن المنتشر ، تعصف رياح الاوبئة الفتاكة ، فتخترم المنية للشاعر اكثر من فلذة كبد ، و يرزأ بأكثر من حميم من جلة اودائه و اصفيائه ، الى جانب كونه " ضعيف البنية ، عليل الجسم (٣) " .

---

١) يلاحظ الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي ص ٤٠ ـ ٧٩ حيث يذكر جلّ هذه الحوادث .

٢) نفسه ص ٩٦ .

٣) تاريخ الحلة جزء ٢ ص ١٤٣ .

هل ثمة من غرابة ان يستجيب بعد ... لدواعي الحزن، و ينصاع لبواعث الاسى، فيجيد الرثاء، هذا الذى انصهر في بوتقة الاشجان و عايش تجارب الالم.

اسباب انبهاره على الرثاء:

لهذا الذى تقدم ، كان من الطبيعي ان ينهمر الشاعر على الرثاء، و يتوفر على تعاطيه ، مدفوعا بوفائه الشديد ، الذى يترجمه جودة رثائه ، اذ ان الرثاء يحمل على الوفاء كما ينقل ابن قتيبة(١).

و من الوفاء للصحاب، و الاخلاص للاصفياء، ان نرثيهم، نترجم ابعاد الحزن الذى خلّفه في النفس مضّ فراقهم، الى جانب هذا الوفاء المخلص كان للنكبات التي المت على جميع الاصعدة دور في انهمار الشاعر على الرثاء . فان مهاجمة المدن المقدسة، وهدم الاضرحة الشريفة فيها ، كان نوعا من تجديد حوادث الطف ، و ايقاظ صورتها في النفوس.

و هناك ظاهرة كان لها دور في توفر كل شاعر على الرثاء في عصر شاعرنا ، تلكم هي حفلات التأبين التي كانت تقام لكل ذى جاه مرموق اجتماعيا او ادبيا او سياسيا .

فهل يمكن ان يغيب عن هذه الحفلات شاعر بمستوى السيد حيدر.

و هكذا تعاضد حزن من الداخل و حزن من الخارج على احتواء الشاعر، و توجيهه نحو الرثاء، الى جانب سيادة الروح الانهزامية التي دبّت في صفوف الشعب ، اذ افتقد الداعية القوى الذى يؤلف حوله الجماهير، و يتبنى مطالبهم، و يقود هم لانتزاع حقوقهم . الى ما في الرثاء من مجال لتدفق العاطفة ، و كونه متنفسا للمعاناة.

هذه العوامل تآلفت جميعها لدى الشاعر، فجعلته يجد في الرثاء نوعا من الخلاص سواء في ذلك الرثاء العام او رثاء الامام الحسين .

لهذا كله كانت المراثي أجود اشعار السيد الحلي ، و المراثي ـ كما ينقل العقد الفريد ـ اشرف اشعار العرب، لانهم يقولونها وقلوبهم تحترق(٢)، و كأن اعينهم كانت على السيد حيدر حينما عمدوا لاصدار هذا الحكم في الرثاء.

---

١) الشعر و الشعراء ج ١ ص ٢٣.
٢) العقد الفريد الجزء الثاني لابن عبد ربه ص ٢.

اقسام الرثاء عند السيد حيدر الحلي :

لو تصفحنا مراثيه عبر ديوان شعره ، في محاولة للوقوف على اقسام هذا الرثاء لامكننا ان نرد ابرز هذه الاقسام الى أربعة مناح • اولها رثاؤه لنفسه ، انطلاقا من مأساته الخاصة، وصدق معاناته وحرارة تجاربه ، ثانيها رثاء اهل البيت بصورة عامة، والامام الحسين بصورة خاصة، حيث كان هذا الرثاء مسرحا لعرض ايديولوجيته على جناح الشعر، اما القسم الثالث فهو رثاء الاحباب والاصدقاء الودودين ، الذين احتلوا من قلب الشاعر المكان الاسمى •

ورابعهم الرثاء التقليدي، وهو رثاء الرجالات المرموقين ممن كان لهم دور مجتمعي بنّاء، فرثاهم والحياة من حولهم تمور •

رثاؤه لنفسه :

كيف نتصور حياة شاعر ترفّع عن التكسب والتزلف، وتسامى عن اراقة ماء الوجه مهما الم به من نكبات، وحل به من صروف، شاعر يتمتع بسمو النفس واباء الضيم(١)، في زمن كالذي عاش فيه ، كيف نتصور حياته الا قاسية عجفاء، مدعاة للرثاء، احساسا بالمصير الاسود ، والخطر المدلهم، فلا جرم ان تفرج شفتاه عن هذا النداء الراعف بالاسى ، المخضل بالالم :

وما احد الا ويقبر ميتا	وها أنذا حيّ قبرت بمنزلي (٢)
على ان هذا الدهر طبّق سيفه	الجوانح منّي ، مفصلا بعد مفصل
وحمّلني أعباءه فكأنني	على كاهلي منها أنوء بأجبل

اما ترق لهذا الشاعر الذي راح يرثي نفسه وقد قبر حيا بمنزله ، وكيف لا يرثي نفسه والهموم تتراكم عليه من كل ناح وصوب، حتى بهظت كاهله بجبال اعبائها التي تهد الانسان مهما كان شديد القوى، صلب العزيمة، ولكنه رغم ذلك ما استسلم لليأس ولا نفض يديه من الوجود • وكيف يستسلم من يصدر عن ايديولوجية بناءة، تغلغلت في اعماق كيانه ، وكيف لا يلوذ بمن هم الوسيلة الى الباري على حد تعبير السيدة الزهراء،

١) شعراء الحلة او البابليات لعلي الخاقاني الجزء الثاني ص ٣٤٢ •
٢) الديوان ج ١ ص ٤٧ •

كيف لا يستغيث بمن هم ابواب الرجاء مشرعة للقاصدين ، و حياض الهدى نجعة للواردين ، فلذ لك و ان طبّق سيف الدهر جوارحه مفصلا بعد مفصل ، و قلب له ظهر المجن فهو سيقرع باب الامام الحسين "ع" مزورا عن الدهر ، الذى سد في وجهه ابواب الرجاء ملتفتا الى امامه ، الذى يشرع ابوابه ابدا لكل قاصد :

و مذ سد ابواب الرجاء دون مقصدى قرعت بعتبي منك باب التفضل (١)
أأصدر ظمآنا و قد جئت مـوردا رجائي من جدواك اعذب منهل
و تسلمني للدهر بعد تيقنـي بأنك مهما راعني الدهر معقلي
فهب سوء فعلي من ملاك مانعي فحسن رجائي نحو جودك موصلي (٢)

وهكذا نراه في رثائه لنفسه ... و هو المؤمن الملتزم .. لا ينصاع لدواعي اليأس و لا يرتمي في احضان القنوط ، و انما يتوسل الى ربّه مستشفعا بأئمته الاطهار ، وهذا دليل على صدق التزامه ، و معايشته الايديولوجية التي يصدر عنها فلا يجافيها حتى وهو يتحدث عن نفسه مباشرة .

هذه الابيات تذكرنا بفقرة من فقر دعاء الصباح لامير المؤمنين علي عليه السلام ، و هذا دليل آخر يشير الى تمثل الشاعر لايديولوجيته و معايشته لها على كل صعيد ، لا ادلّ على ذلك من تسرب دعاء الامير الى حنايا شعره .

و بديهي تأثره بدعاء الامير و توفره على مطالعته ، لما عرف عنه من تهجد و تعبد (٣) و طول مناجاة ، و ما دام قد عرفه عن كثب فلا جرم أن يستوحي فقرة من فقره التي يقول فيها الامير :

" الهي قرعت باب رحمتك بيد رجائي ، و هربت اليك لاجيا من فرط اهوائي "

و البيتان الثاني و الثالث ... و هذا دليل تأثره بدعاء الامير ... يمتحان من فقرة ثانية من دعاء الصباح و هي التي يقول فيها الامام علي عليه السلام " الهي كيف تطرد

---

١) فاعل سد هو الدهر .
٢) الديوان ج ١ ص ٤٨ .
٣) طبقات اعلام الشيعة لاغابزرك القسم الثاني من الجزء الاول ص ٦٨٧ .

مسكينا التجأ اليك من الذنوب هاربا ، ام كيف ترد ظمآن ورد الى حياضك شاربا . كلا و حياضك مترعة في ضنك المحول ..."

و اما بيته الاخير : " فهب سوء فعلي من صلاتك مانحي " فيبه في وعينا قولة الامام زين العابدين في أحد ادعيته : " فانا لعفوك أرجى مني لعملي " .

و هذا اليس دليلا على مدى معانقة الشاعر لايديولوجيته ، و على مدى علوقها بنفس الشاعر، حتى رأينا استئناسه بالاساليب و التعابير و حتى الالفاظ التي يردد ها الائمة الطهار ..

و قريب من هذا المؤدى ، و الذى يمكن ان يسلك في عقد رثائه لنفسه وان بطريقة غير مباشرة، ابياته التي يتوسل فيها بالامام الحسين و اولاده ، بين يدى الله لكي لا يتردى الى مهوى الذل و سؤال من يسوى و من لا يسوى (١).

و مما يمكن ان يعد في باب رثائه لنفسه ، رثاؤه لمجتمعه ، فهو رثاء للنفس من خلال المجتمع، اليس هو خلية فاعلة من خلايا المجتمع. فاذا عم البلاء ، و طفح موج الخطر ، و الشدائد توالت و الرحاب ضاقت ، و استغرق رجس الضلال مطارح الارض كيف يمكن للشاعر آنئذ ان يكون بمنأى عن المجتمع.

لذلك كانت قصيدته اثر عزم الوالي عمر باشا (٢) على تطبيق نظام التجنيد الاجبارى في العراق سنة ١٢٧٤م ، تعبيرا عن هذا الرثاء. لقد قامت حوادث رهيبة مهيبة ، قابلها الوالي بعنف و ظلم مبالغين في القسوة . لقد اراد ان يستخدم ابناء الشعب ضد قضاياهم . و ضد مصيرهم المشترك فرفضوا ذلك . و كانت نقمة الوالي طاغية عتو العقلية التركية التي تحكمت بمصائر البلاد العربية ، غشيمة ظالمة كممارساتهم الظالمة الغشيمة فما كان يعنيهم ، ان يلذوا و الناس من حولهم يألمون ، و لا يستثيرهم ان يكرعوا كؤوس مسراتهم و مزاجها دموع الشعب و دماؤه بل ان " سادّيتهم " كانت تجد الراحة كل الراحة في ان تنعم في بلهنية العيش و الناس من حولهم يتجرعون الشقاء و الحرمان كؤوسا حنظلية .... و لنستمع الى الشاعر يصور لنا تلك الحالة التاعسة البائسة ، و تلك الغمرة الغريبة العجيبة .

---

١) تلاحظ هذه الابيات في الديوان ج ١ ص ٤٨ .

٢) يلاحظ هامش الديوان ج ٢ ص ٢٧ و الشعر السياسي في العراق في القرن التاسع عشر ص ١٩٤ ـ ١٩٧ .

يا غمرة من لنا بمعبرهــــا	موارد الموت دون مصدرهـا (١)
يطفح موج البلاء الخطير بهـا	فيغرق العقل في تصورهــا
وشدة عندها انتهت عظمـا	شدائد الدهر على تكثرهــا

فهذه الخطوب التي نابت وعايشها السيد حيدر بحرارة وجدانه، اندمج في معاناتها مع الشعب فراح يعبر عنها كقضية خاصة عامة في وقت معا •

فيا لهذه الشدة التي حانت عندها شدائد الدهر الكثيرة التي كانت تلم بالشاعر وبمجتمعه هذه الشدة التي :

ضاقت ولم يأتها مفرّجهــا	فجاشت النفس في تحيرهـا (٢)
الان رجس الضلالة استغرق	الارض فضجت الى مطهرهـا
وملة الله غيرت فغــدت	تصرخ لله من مغيّرهــا

هكذا غمر البلاء الشاعر والمجتمع، واستغرق رجس الضلال اقطار الارض وغيرت شريعة الله، فراحت تضج وتستغيث من هؤلاء الذين غيروا وبدّلوا • وهو كعادته آن تضيق في وجهه الرحاب، وتتوالى الخطوب، يلتفت الى ايديولوجيته مستلهما من تعاليمها مستهديا بمنارتها، التي ترسل الاضواء نحو المنقذ المخلص نحو صاحب الامر فراح يناجيه :

لم صاحب الامر عن رعيتـه	اغضى، فغصت بجور اكفرها (٣)
ما عذره نصب عينيه انتهكت	شيعته وهو بين اظهرها

وهو هنا اذ راح يعرض عليها حال الشعب ومآل الشيعة راثيا لحالهـم، وهنا يتبدى مدى التمازج بين رثائه لنفسه ورثائه لمجتمعه، وفي كلتا الحالتيـن يستصرخ صاحب الامر، ليواسي النكبات ويقوم الامت الذي صار عليه المجتمع فلقد طغـت الفحشاء واستفحل المنكر، وعطلت الحدود والهدى مات، لذلك صاح من عمق اساه مستغيثا بالمهدي:

---

١) الديوان ج ٢ ص٧ •

٢و٣) الديوان ج ٢ ص٧ •

يا غيرة الله لا قرار علـــى	ركوبك شائنها و منكرهـــــا
سيفك و الضرب ان شيعتكم	قد بلغ السيف حزّ منحرهـــا
مات الهدى سيدي نقم وامت	شمس ضحاها بليل عثيرهـــا (١)

من الملاحظ في هذا الرثاء الاجتماعي اذا صح التعبير، انه يسجل كـــل النكبات و الويلات التي تلم به و بالجماعة التي هو احدها • خصوصا الشيعة لما سامهم الظالمون المستبدون من انواع الخسف و منحوهم العصف• و صبوا عليهم اسواط النقمـــة • فطالما تعرض الشعب بأسره لاصناف ممارسات الحكام الاتراك التعسفية وناء تحت تسافل اخلاق موظفيهم • الى الحد الذي جعل الشاعر ـ عبر تصويره لتلك الحالة البائســـة و الشقاء المحيق بالشعب ـ ان يرى بأن الموت اشهى من هذه الحياة • فقد اندثـــر الايمان و معالم الهدى اندرست• فاصبح تمني الموت مع ما كان عليه الشعب من الضعف و الاستعباد خير ما يرثى به هذه الحياة :

ماتت شعار الايمان و اندفنت	ما بين خمر العدى و ميسرهـــا (٢)
ابعد بها خطة تراد بهـــــا	لا قرّب الله دار مؤثرهــــــا
الموت خير من الحياة بهـــــا	او تلك النفس من تخيرهـــــا

هذا النوع من الرثاء للمجتمع يبين لنا عمق ايمان الشاعر فرغم ان الموت اضحى في خضم هذه الصروف، اشهى من الحياة الا انه بدافع من ايمانه و التزامه يرفض الانتحار اليائس و الاستسلام القانط •••• و لنقف على الحالة التي كان عليها الشعب من بؤس و شقاء اشد ما يكون من البؤس، و اعنف ما يكون الشقاء، لنستمع اليه يرثي لتلك الحالـــة، يبكيها بكلمات مدادها من دم القلب، و من توتر الاعصاب ذلك ما يتبين عبر تصويره لتلك المأساة الرهيبة التي كان يتحدى نيرها ابناء الشعب:

قرب حرّا محشى لواحدهـــا	شكت الى الله في تنورهـــا (٣)
توشك انفاسها و قد صعدت	ان تحرق القوم في تسعرها

---

١) الديوان ج ٢ ص ٧ •

٢) نفسه ص ٨ •

٣) الديوان ج ٢ ص ٨ •

و دائما نلاحظ ان رثاءه هذا للمجتمع، يتمازج تمازجا وثيقا مع رثائه لنفسه و دائما نراه رغم هول و رهبة ما يحل به من صروف، يجد متنفسه و تفريج كربه عند الائمة المنتجبين • لذلك فهو لن يتسكع على العتبات مهما بلغ به ضيق الضيق، و مهما انتابه من جسام الحوادث، و انما يلوذ بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب مستصرخا :

أمير المؤمنين أغث صريخـــا ألم بجنب تبرك مستغيثـــا (١)
أغث يحث ناجية المطايـــا و صرف الدهر يطلبه حثيثا

و نحن لو حاولنا ان نقف على هذا الرثاء للنفس، عبر تفحصنا لالفاظ البيت الاول لهزنا ما هو عليه من بؤس و شقاء جديرين بالرثاء •

يكفي ان نلتقي في بيت واحد هذه الالفاظ : اغث صريخا ، بجنب تبرك ، مستغيثا لنعلم اية مهاوي بؤس قد هده اليها • و لكن وهو المؤمن الملتزم، يرى انه اذا استغاث امير المؤمنين فانما يحث المطايا الناجية التي لا تعثر به عبر رحلة البؤس و الشقاء التي كان معها دائما على ميعاد •

و هو عبر رثائه لنفسه و تصويره لشقائه • كان يستغيث بمختلف الائمة و لا يقف عند استغاثة واحد بعينه منهم • و من الائمة الذين استغاثهم عبر رثائه لنفسه ، توجهه الى باب المراد الى الله الامام محمد الجواد لائذا به و بجده الامام الكاظم، يقدمهما بين يدي نجواه للباري:

نرجائي كيف يغدو خائبـــا عند بابين لجبار السما (٢)

اما في غمرة الرثاء الجماعي ، حين يصور النكبات العامة • فهو يتجه نحو صاحب الامر تبعا لما وقر في نفسه من خلال مبادئ ايديولوجيته ، من انه سيخرج آخر الزمان فيطهر الارض من رجس الطغاة و يرحضها من اوضار المتعسفين • لهذا راح يناجيه ، و قد نزل بهم اشد النوازل ، مما لا يفرجه سوى لطف الامام (٣) بمستغيثيه و اجابته لمناجيه :

---

١) نفسه ج ١ ص ٣٤ •
٢) نفسه ص ٣١ •
٣) الديوان جزء واحد صفحة ٤٧ •

وهنا يحوز ما حل به وبمجتمعه من صنوف الحرمان والشقاء، لا بصاحب الامر وحده وانما بالغر الميامين من اسلافه النبي والائمة الطاهرين :

أيروعنا ريب المنون وقد   عذنا بجاه الغرّ من سلفك (١)

وهكذا لا يدالهنا الشاعر كما لاحظنا في هذا القسم من رثائه سواء الشخصي منه او الجماعي، لا يدالهنا سوداوي المزاج، مستسلما، منهارا على أعتاب القنوط، مرتميا في احضان اليأس تاثاكوى ذمه على مآسي الكون، وانما نراه آن تتفتح النوافذ المطلة على الاسى على الحرمان، على تجارب الالم، على المصير الراعب، على فناء الوجود، آنئذ تشرق شمس ايمانه فتبعثر ما تراكم من غمام الاسى، فيروح يستغيث بآل الرسول الاخيار لائذا بالائمة الاطهار من خلال نظرة متفائلة، يفوح منها عبير الرجاء المطمئن للنهاية، متطلعة الى الراحة الوارفة الخضراء التي سيفيء الى ظلالها كل من هدّه بعد السرى واضناه طول الانتظار، فيلوذ اليها وقد قاده الايمان الثابت والطمأنينة التامة كمن يسحب غطاء ليستسلم الى حلم عذب جميل • وهناك ظاهرة جديرة بالتنويه من ظواهر ايديولوجية هذا الشاعر تطالعنا عبر رثائه لنفسه • تلكم هي نظرته المتفائلة المؤمنة الى الحياة • الحياة عنده ـ كما تراءت لنا عبر رثائه لها ـ مرحلة انتقال وجسر عبور الى حياة ما بعد الموت • وقيمتها انها مرحلة انتظار لترتقب بزوغ فجر الحق والعدالة على يد صاحب الامر • لذلك رغم ما نابه من مآسيها فهي عنده لا تبث التشاؤم ـ ولا توزع اليأس بين يدي المأساة • وانما دائما تلوح له عبرها بوارق الامل واشعاعات التفاؤل • مهما تقبعت الدنيا بغاشية الارزاء •

رثاء اهل البيت:

هذا القسم من الرثاء هو قمة رثائه • لقد استطاع الشاعر ـ في هذا المجال ـ ان يبز سابقيه، بما ادخل على هذا الفن من روعة ابتكار، وبراعة اسلوب، " فهو امير فن الرثاء بلا منازع (٢) •

---

١) الديوان جزء واحد صفحة ٤٧ •

٢) طبقات اعلام الشيعة، القسم الثاني من الجزء الاول ص ٦٨٧ •

لقد اطاعته القوافي واستجاب له القريض مسلسا القياد، حتى غدا "امام شعراء العراق بل سيد الشعراء في الندب والمراثي على الاطلاق"(١)•

لا غرو ان تكون مراثيه في اهل البيت على هذا المستوى، وبهذه الصيغة، فهو انما يصدر عن وفاء مطلق• وهو يرى بهم مقتدى البشرية في كل جيل، ومثال الانسانية في كل عصر، حلّ بهم من النكبات ـ في سبيل القضايا الانسانية ـ ما لم يحلّ بأحد سواهم حتى غدت رؤياهم مصداق قول احد شعرائهم :

أنست رزيتكم رزايانا التي سلفت وهوّنت الرزايا الاتية

لقد بلغ الشاعر من التأثر بكارثة الطف، وما جرى على اهل البيت النبوي فيهما، مدى بعيدا • فلم تكن بالنسبة اليه حادثة تاريخية مرّت وانتهت، وانما كانت دائما نصب عينيه، يعايشها عن كثب ولذلك " ما اهل شهر محرم الحرام الا وهاجت اشجانه، واطبقت عليه الهموم، وتمثل واقعة الطف وما جرى فيها على الهاشميين والهاشميات، وأخذ يصوغ ذلك بلهجة الاروع الموتور، حتى بلغ حد الاعجاز في هذه المراثي، لانها كانت تصدر عن قلب محزون وفؤاد مكلوم (٢)•

ولا مشاحة ان تأتي مراثيه هكذا لانها صادرة عن احساس صادق، وشعور ملتاع " وليست النائحة الثكلى كمثل النائحة المستأجرة " (٣)•

يبدو ان الشاعر ـ في هذا القسم من الرثاء ـ استطاع ان ينجح اكثر من غيره في ربط الايديولوجية بالشعر• وشعره هذا قادر على البقاء لانه شعر صادق، وهو قادر على الانبعاث بين وقت وآخر لان هذه القدرة انما تقوم " كلما كانت القضية التي يقوم الشاعر بتوصيلها الى وجداننا ما تزال تنتفض رامها في النفوس"(٤)

---

١) نفسه، نفس الصفحة وينقل القول عن العلامة النوري في كتابه جنة المأوى•

٢) نفسه ص ٦٨٧•

٣) يلاحظ هذا القول في العقد الفريد لابن عبد ربه الجزء الثاني ص ٢، اذ سأل عمر بن ذر اباه ما بال الناس اذا وعظتهم بكوا واذا وعظهم غيرك لم يبكوا فأجابه بهذا القول•

٤) شعرنا الحديث الى اين ص ٢٠٢، لغالي شكري•

ولا احسب ان قضية يمكن ان تحتفظ بحيويتها وتأثيرها في النفوس كقضية الامام الحسين • لانها قضية الصراع بين الخير والشر، بين النور والظلمة، بين الحرية والاستبداد، بين العدالة والمحسوبية، ولا احسب ان احدا استطاع ان يدافع عن هذه القضية، ويتقدم على مذبحها القرابين، بالشكل الذى أتاه الامام الحسين •

تصور ان انسانا يضحي بالنفس، بالاهل، بالاولاد، بالصحب على قلتهم، من اجل ان تمتد مساحات الضوء، ضوء العدالة وتطمس ظلام الجور، من اجل ان يخفق لواء الحرية والكرامة الانسانية، التي من اجلها اصطفى النبي محمد في كل مكان •

لهذا رأينا الشاعر هنا ينطلق من عمق المأساة الدراميكية يسجلها عبر قصائده بكل الامها واحزانها •

الم يستيقظ على مآسي تعيد الذاكرة فوادح الطف(١)، الم يفتح عينيه على كوى الاسى نفسه الذى يرعش الكيان، ويذكر بوقفة الحسين الفذة اليتيمة في التاريخ البشرى، متحديا استبداد الطاغوت الاموى وجبروته، الذى ما احجم عن محاولة وأد الرسالة المحمدية حتى جعل الحسين من نفسه القنبلة الهائلة التي فجرت، لتهدم مداميك الملك العضوض• الذى طالما امعن في امتصاص دم الشعب، وخنق الحرية، بأبشع الاساليب الميكيافيلية الرعناء • فوهب الحسين نفسه للسيوف ذيادا عن حياض الرسالة المحمدية، ومنافحة عن دين الحق، وشعاره في اقدامه الجسور:

ان كان دين محمد لم يستقم   الا بقتلي يا سيوف خذيني

لقد تمثلت في نفس الشاعر كل مآسي هذا البيت العريق، فكل رجالاته قضوا شهداء الحفيظة عن دعوة الحق، وما استسلموا ولا ارتكنوا للغاصبين • حتى السيدة الزهراء وهي بضعة الرسول قضت مظلومة مقهورة • وكلهم مضوا على درب الشهادة على هدى امير المؤمنين علي، في سبيل احقاق الحق وانصاف المظلوم " واخذ الظالم بخزامته حتى يرد مورد الحق وان كان له كارها " •

---

١) الشعر العراقي السياسي في القرن التاسع عشر ص ١٢٥ لابراهيم الوائلي •

هذه هي سجيتهم كابرا عن كابر، حتى ان آخرهم المهدي و هو المعد لمحو الضلال و اقامة دولة الحق، حجب عن العيون، و أرصد ليوم النصر المبين، يوم يصدع بأمر ربه يشيد اركان دولة الحق، تنتشر شجرة العدالة من جديد على يديه، بعد ما عراها الذواء، و اسرع اليها الذبول •

هذا الابتلاء الرهيب الذي تحمله اهل البيت بصبر و احتساب، انما هو زكاة الاخلاص للمبدأ، زكاة الحفاظ على الشريعة السمحاء • فسقوا شجرتها بزاكي دمائهم لتظل غصونها ممرعة ريّا •

لم يكن الشاعر ـ في هذا القسم من الرثاء ـ مجرد راث و حسب، بل لقد اخذ الرثاء على يديه شكلا آخر، فلم يعد نواحا و بكاء، و لا تفجعا و تعزية، و لكنه أدخل عليه "ابتكارا و براعة اسلوب" (١) •

لقد استعلى هذا الفن الشعري ـ بين يديه ـ عن ان يكون كما قيل عنه في القديم "اصغر الشعر لانه يعمل لا رغبة و لا رهبة" (٢) •

و هو لم يعد ـ معه ـ رديف المديح، و ليس بينهما كما يقول ابن رشيق "الا ان يخلط بالرثاء شيء يدل على ان المقصود به ميت" (٣) •

لقد غدا الشعر الرثائي ـ عبر تناول السيد حيدر له ـ قضية شعرية، ظاهرة رسالية • فسوأ به ان يظل نواحا و نشيجا و حسب، اذ اعطاه نسغا جديدا، آن اغتدى ـ ضمن الاطار الشعري ـ تعبيرا عن قضية من أهم قضايا الايديولوجية الشيعية، تلكم هي قضية الامامة و بخاصة المهدوية •

فطالما انبه في وعينا، ان الامامة منصب الهي كالنبوة، وذلك بمنأى عن التقريرية و المباشرة • لقد ايقظ في النفوس هذا المعنى، دون ان يقصد الى ذلك، و انما تسرب هذا المبدأ خلال مناجاة الشاعر لصاحب الامر، عبر تموجات مشاعره المستثاره • لقد كان في دائرة تجربة شعرية، في حالة نفسية معينة، في غيبوبة لا شعورية، اذ راح يناجيه مستطرخا :

---

١) طبقات اعلام الشيعة الجزء الاول ص ٦٨٧ و شعراء الحلة للخاقاني الجزء الثاني ص ٣٢٩ •

٢و٣) العمدة لابن رشيق ج ٢ ص ١٤٧ •

يا ابن الامام العسكري و من   رب السماء لدينه انتجبه (١)

وهكذا راح من خلال الايمان الواثق في اعماقه، وبدون ان يكون ذلك غاية في ذاته ـ يلقي في روعنا ان الامام منتجب من رب السماء، وان نصبه واجب على الله تعالى لقاعدة اللطف الالهي (٢)، فان الله تعالى يختار من يشاء للامامة كما يختار من يشاء للنبوة.

وهو عبر تبنيه لقضية الامامة، يدل لنا عبر شعره بمواصفات الامام من حيث العصمة، وان الامام ينبغي أن ينفرد بخصال لم تجتمع في سواه ؛ من ذلك ان يكون الامام اعلم اهل زمانه، وافضلهم واشدهم تقوى وورعا، لان الغاية من الامامة تكميل البشر، وتزكية النفوس وتهذيبها بالعلم والعمل الصالح، وتقويمها بالارشاد (٣)، وهذا المعنى تسرب خلال شعر السيد حيدر مناجيا الامام الثاني عشر:

يا قائما بالحق حلّ بنا   ما لا يفرّجه سوى لطفك (٤)
بك عنه لذنا، حيث لا شرف   عند الاله أجل من شرفك

أرأيت كيف استطاع ان يعبر عن بعض ابعاد ماهية الامامة، ضمن اطار التعبير الشعري. فغرس في نفوسنا ـ عن غير ما قصد ـ مقولة الشيعة الاثني عشرية في الامامة.

لو قمنا بتصفح حسينيات الشاعر، في محاولة استقرائية، تتجلى لنا، ما ادخله الشاعر على فن الرثاء من ابتكار اسلوب وجدّة صنعة. اذ استطاع ان يصوغ شعره ـ هنا ـ صوغا ايديولوجيا فذا، ظلّ معه ـ في نطاق الشعر الموجب، دون ان يتدهدى الى برودة التقريرية، وجمود المباشرة، لانه معانقة للتجربة الشعرية بحرارة وصدق. لقد عايش المصائب الدواهي التي حلّت بحملة لواء الايديولوجية الشيعية، واكتوى بنار تجربتها عبر تمثله التاريخي لها، وعبر معايشته لانموذج حي لها في زمانه (٥)، انها :

---

١) الديوان ج ١ ص ٣١.
٢) شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي ص ٢٠٢.
٣) اصل الشيعة واصولها للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ص ٩٨.
٤) الديوان ج ١ ص ٤٧.
٥) يلاحظ : الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر لابراهيم الوائلي ص ١٢٥، وتاريخ الحلة ليوسف كركوش في اماكن متفرقة من الكتاب.

مصائب يفدلرن قلب الجليـد ويضحن دمعا حشا الصابر (١)

لو حاولنا الوقوف على اهم محطات الارسال الشعرى في قصائده هذه ، و حاولنا ان نتعرف على اهم مخازن الوقود التي كانت تستمد منها تجربته الشعرية، نكاد ان نجدها متوزّعة عبر خمسة محاور متكاملة، سنحاول ان نعرض لها حسب اهميتها و مركزيتها في شعـره و ابرز هذه المحاور هي :

الامام الحسين ، المهدى المنتظر، ملابسات الدعوة الاسلامية و الخلافة بعد النبي الهاشميون و اخيرا الامويون •

اذا كانت قصائد الشاعر تراوح بين هذه المحاور الخمسة فهل يعني انها كانت قصيدة واحدة، الجواب نعم و لا في آن معا • نعم لان قصائده واحدة من حيث الجوهـر الايديولوجي الذى يسكن في اعماقه الشاعرة، و لا لان هذا الجوهر تتنوع اغراضه ، و تتعـدد الزوايا التي تشف عنه ، و من ثم فان كل قصيدة للسيد حيدر تطالعنا بشيء جديد ينضاف الى هذا الجوهر، الذى يغتني بتلكم الابعاد التي تنطوى عليها التجربة و تمدها بالنسـغ المحيي •

•• آن نقرأ قصيدة من قصائده ، نحس ان تيارا شعوريا دافقا بالصور الجانبيـة ينتظم سلاة الاحتجاج التي يقيمها الشاعر مسكونا بالامل في النجاة من وحدة البـؤس و الشقاء، التي ددده اليها الشعب، و بالاقتصاص من هؤلاء السارين على خطى قتلـة الحسين ، وائدى الحرية و مصتصي دماء الشعب بسحرونهم ••

الامام الحسين في رثاء السيد حيدر:

ظاهرتان متداخلتان متناقضتان تطالعنا ونحن نتوفر على قراءة شعر السـيد حيدر الحلي في الامام الحسين عليه السلام• هاتان الظاهرتان هما : ظاهرة الحـزن و الالم اثر تصوير المصرع الرهيب الذى لاقاه هذا الامام العظيم، و الاساليب الرثاء السائمية التي مورست في غضون ذلك، و الظاهرة الثانية ظاهرة تصوير البطولة الرائعة و الصمـود المعجز اللذين كانا من الحسين و اصحابه ، تجاه ابشع ممثلي القوى الاجرامية الاستبدادية

---

(١) الديوان ج ١ ص٧٨ •

في العالم، ... لقد جسدوا في صمود هم ذاك ـ صمود الحق امام الباطل مهما بلغ الباطل من عتو و طغيان ، و صمود النور امام الظلمة مهما كانت داجية صفيقة السجف، و صمود العدل امام الجور مهما تمادى في عنفوانه ، و استعلاء الحرية على الاستبداد مهما بلغ من جاثومه الخانق الذى يربض به فوق الكواهل .

ظاهرة الحزن و الالم :

مؤمن ملتزم، شاعر ملهم، يرى امامه مثاله الاعلى، خليفة النبي و ريحانته ، يلاقي من صنوف المحن و صروف النكبات، ما يصدع قلب الجليد ، و يفت حشا الصابر، ينزل به من المصائب ما لا ينشد الصبر في مثلها ، فأنموذجها ما دار في خاطر و لا عنّ لبال .

الشاعر الى جانب كل ذلك كان حفيد الحسين، أنشىء مذ فتح عينيه على الكون ، على حب هذا الجد، و على قول الشعر فيه ، فكيف و قد وقف على المآسي التي حلت بهذا الامام العظيم ـ كيف لا ينوحه نوح الثكالى ، كيف لا يسفح عليه بدل الدمع دما ، و هو يعرف ما اعد الله من اجر للباكي و للمبكّي على الحسين ، و يعلم ما ذخر الخلاق العليم لمن أنشد شعرا في الحسين (١)، بل ـ مع تجاوز كل ذلك ـ كيف لا يبكيه و قد بلغ من تمثله لوقعة الطف ما جعله يحيا في لهوات خطوب تلك الواقعة الفاجعة .

كيف لا يبكي الحسين ، و النبي ـ من قبل ـ بكاه اذ هو طفل حين اخبره جبريل (٢) بما ينزل به ، حتى اذا انبأ المسلمين بما يدوب على ابنه الحسين ضجوا بالبكاء، فكانت قولته الخالده لهم : " اتبكونه و لا تنصرونه " ، كيف لا يبكيه و النبي حض على بكائه و نصرته (٣).

---

١) يلاحظ كتاب الايقاد للسيد محمد علي الشاه عبد العظيمي في فضل البكاء على الحسين في ص٣ ـ ٩ حيث يعرض للاحاديث التي تحث على البكاء على الامام الحسين "ع" مروية بأسانيدها عن النبي و الائمة الاطهار .

٢و٣) يلاحظ فضائل الخمسة في الصحاح الستة من ص ٢٧٠ـ ٣٢٤ من الجزء الثالث .

انلومه اذ بكاه بعد شعرا يفيض الما و يمور شجى •

والان كيف عبر الشاعر عن انه تجاه هذا المصرع الفذ في التاريخ ، وكيف بكاه ، عبر قصائده ، هل وقف يصطرخ انا حزين اليم اسيان ؟ هل كانت هذه طريقته في عبور هذه النكبات والتعبير عنها ام كانت له طريقة اخرى ؟ ؟

لقد كان للشاعر طريقته الخاصة في الولوج الى التعبير عن حزنه والمه ، وكانت له مفاتيح خاصة في الولوج الى هذا الهيكل •

كيف رثى السيد الحلي الامام الحسين :

لكل فنان ذي موهبة جواء خاصة ، يتسرب عبرها من الخارج ، من الوعي ، الى عالمه الباطني ، الى اللاوعي • يهرب من اعطاء النتيجة و تقديم الخلاصة ، ليفذ بنا في رحلة المعاناة ، ليتغلغل في معايشة الاحداث • يناى عبر تعبيره عن ذلك عن سطوح نفسه ، عن ظاهرها ، ليندمج في اغوارها البعيدة ، معانقا و مكتشفا •

الجو ، المناخ ، نافذة الايحاء هنا ، مفتاح الهيمنات الشعرية ، مدخل الى حرم النفس • انها الوضوء السابق للولوج الى محراب الصلاة • اشارة الى ان الدخول محظور الا على ابناء الهيكل ، المريدين ، لو سمح لنا المتصوفة باستعارة اللفظة •

ونحن سناخذ قصيدته الاولى " شاقية النوى " لنحاول ان نتعرف على كيفية دخول الشاعر الى حرم النفس ، كيف ولج الى ابهاء القضية •

يبدأ الشاعر هذه القصيدة بارساله استفهاما مطلقا ، استفهاما لا يحتاج الى جواب ، لانه الجواب والسؤال في وقت معا •

لقد تنشته موجة الحزن ، ولفحته ملاءة الاسى ، اذ تراءت امام ناظريه ورقاء شجية ، اتخذها رمز شجاه •

هذا الجو ، هذا المدخل ، ليس جديدا على الشعر العربي ، بخاصة عند ابي فراس الحمداني ، والمعتمد بن عبّاد •

لكن الشاعر ـ هنا ـ يتناول القضية بأسلوبه الخاص و من منطلقاته هو، حتى يلج بنا الى ابهاء الهيكل .

اليست هذه قمة من القمم التي يصبو اليها الفنان، ان يضعك في جوه، ان يجعلك تعايش معاناته، و يحرك في نفسك محرّك الشعور، اذ راح يناجي ونغمة الحـزن و الالم تكاد تفيء بين يدي الكلمات :

كم ذا تطارح ني منى ورقاءهـا	خفّض عليك فليس داوك داءهـا
اتظنها وجدت لبين فاسـرت	جزعا تبثك شجوها وعناءهـا (١)
طبت قلبك من جفونك ادمعا	و سمت كريمي الحيا جرعاءهـا
هيهات ما بعث الاراكة الجـوى	نضج الزفير حشاك لا احشاءها

و هكذا بعد ان جعلنا نستشرف اعماق هذا الجو شيئا فشيئا، وضعنا على عتبة المناخ، مع ورقاء منى . ولست ادري لماذا اخطرها من "منى" الان "منى" شعيرة مـن شعائر الحج، او لان هناك بالقرب من منى سيكون ظهور القائم المهدي، ام لان من ذلـك المحيط كان منطلق الدعوة الاسلامية ؟؟

المهم انها محاولة لان يوقظ في نفوسنا تلك الذكريات الحارة العزيزة على قلـب كل مسلم بل كل انسان، ليدفع بنا ـ فيما بعد ـ بالشحنة التعبيرية، بالكهربة الموقظـة، حتى يفتح امام ناظرينا هذه الكوة، التي نطل عبرها، الى ان ابن بنت من علمنا تقديـس " منى "، سيصبح جزر السيوف، فيألب عليه الناس غدرا و مكرا، دون ان يرعوا لجـده فيه ـ الاّ و لا ذمة .

حتى اذا وضعنا امام باب الهيكل الملفّع بغلالة الحزن و الالم، أدار مفتاح الباب حين عقد مقارنة بين بواعث حزنه و بواعث حزن الورقاء: فألفتها لم تصدعه ناعية النوى، اذ ان الغمام لم يقطع كباءها، و الغيث روى أراكتها حتى تمايلت زهوا اما هو فوحيد حزنه فريد المه، يتراءى امام عينيه ـ مصرع جده الامام الحسين مجدّد بنايـة التوحيد، تصطرخ نساؤه مستغيثة، و امامها فتيانها الصيد و قد شربت من نحورهم الظبـا الخذم، على حد تعبيره .(٢).

---

١) الديوان ج ١ ص ٥٠ .

٢) نفسه ص ١٠٥ .

وهكذا يلتفت بنا الى مأساته الخاصة، يشرفنا على مطل ابعادها، مهيبا بعذّاله اللائمين الذين يحاولون ـ ضلة ـ ان يروضوا اباء نفسه، وبحثوا على السلوى من الحزن (١)، ولكن ويل الشجي من الخلي فليتهم يعانون ما عانى، ليعرفوا وقتئذ انهم يحاولون ان يداووا بريقة افعوان لسيعا مشى السم في خلايا جسده (٢) • وهنا تكتمل حركة المفتاح •

ويستوقفنا على عتبة الهيكل اذ تحركت مصاريع الباب وانفرج امامنا عبر قوله :

لكنما نفسي بمعترك الاسى   اسرت نوادح كربلاء عزاءها (٣)

هنا نلج الهيكل آخذين سمتنا صوب المحراب، لنأتم بالشاعر في صلاة حزنـــــه وقد علا اذانه :

يا تربة الطف المقدسة التي   هالوا على ابن محمد بوغاءها (٤)

بعد ان يضعنا الشاعر معه في مأساته، واذا انشأت دماء تجربته تتدفق في شرايين شاعرنا وهو هذا منطلق يسجل للشاعر بتنويه ـ يلتفت محييا تربة الطف التي وارت روح الانبياء مستسقيا لها سحابة تحمل ماءها من كوثر الفردوس:

واريت روح الانبياء وانما   واريت من عين الرشاد ضياءها (٥)

فهل على الشاعر ملامة بعد، اذا استسقى لثرى الطف سحابة منهلة من كوثـــــر الفردوس• وقد طالعته صورة الامام الحسين ضحى العاشر من محرم، وقد قضى اهل بيتـــه واصحابه ظماء • والوقت هجير والعطش اذبل الشفاه، حتى الصغار منعوا من المـــــاء فراحوا يئنون من شدة العطش• وعلى جانب الشريعة يربض اعداء النبي اعداء الانسانيـــة يحلئّون آل الرسول عن ماء الفرات، لقد تحجرت في قلوبهم الغليظة كل معالم الانسانيـــة حتى صاح احدهم بالامام الحسين ثمرة فؤاد الرسول كما كان يسميه صلى الله عليه وآلـــه وسلم : " انظر الى ماء الفرات كأنه كبد السماء، والله لن تذوق منه قطرة حتى تمـــــوت عطشـــا "(٦)•• وسدد لعين آخر سهمه المحدّد المسموم الى نحر طفل الحسين الــذى

---

١) نفسه ص١٠٨ ـ ١٠٩ حيث يصور هذه الحالة •

٢) يلاحظ نفسه ص٥٠ •

٣و٤و٥) الديوان ج ١ ص٥١ •

٦) يلاحظ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ نقلا عن الصواعق المحرقة ان هذا العلـــج الذى تجرأ ان يقول للامام الحسين مثل هذا القول، قد استجيب فيه دعاء الحسين بالموت عطشا، فلم يكن يروى مهما سقي من الماء•

لم يكمل شهره السادس آن طلب له ابوه الحسين شربة من الماء فكان الرد هذا السهم الذى ذبحه من الاذن الى الاذن :

طفل على حجر الامام ملثم ... بنجيعه القاني فيا للرائـــي
من وردة حمراء صوّحها الظمأ ... فذوت تحن لقطرة من مـــــاء

فكيف اذن لا يستسقي الشاعر السحاب الذى هو اكثر رأفة من هؤلاء العلوج الضارية، تموت امام اعينها الاطفال عطشا و لا تستق الا بحد السيف و نصل النبـــــل • و نصب عينيه الاموات جف درّها و صغارها كالحشف البالي • و من اين تكون تلك السحابة الا من كوثر الفردوس الذى اعطاه الله للنبي محمد (١)• لقد اعطى الله ذلك النهـــر العذب السائغ للنبي و جعله في الجنة • و هو كما يقول النبي "ص" عنه " لا يشـــرب منه احد فيظمأ ، و لا يشربه انسان خفر ذمتي و لا قتل اهل بيتي "(٢)• لا غرابـــة ان يكون الكوثر مستسقى الحسين و اهل بيته و صحبه • هؤلاء الذين قضوا ظمــــأ دون شريعة رب السماء • و هذا الاستسقاء الكوثرّي ينبه في وعينا قولة الامام الحســين لولده على الاكبر حين نزل الى الميدان فصال و جال حتى اذا عاد الى ابيه يشـــكو له الظمأ ، يسأله شربة ماء يتقوّى بها على الاعداء، فكان جواب الوالد : امض الى نــزال الاعداء و ارجوا ان لا تعود حتى يسقيك جدك بكأسه الاوفى شربة لا تظمأ بعد هــا ابدا " • و بعد اذا وقفنا على اعطاء الكوثر من الله للرسول ، و جعله شرابا سائغا لا يظمأ وارده ، محرّما على اعداء عترة النبي ، و بعد ان سمعنا قولة الحسين لابنه ان يصبر حتى يرد على جده فيسقيه شربة لا يظمأ بعدها ، هنا يطالعنا مدى تمثل الشاعر لخصوصيات الايديولوجية الشيعية ، و تغلغله الى اعمق اعماقها ، عبر استيحاء تلك الخصوصيـــــات و اتخاذها رافدا شعريا خصبا •

و هكذا تلج الهيكل و يقفنا الشاعر على ابعاد المأساة الانسانية التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا، مخاطبا ثرى الطف الذى ضرّج بدم الامام الحسين و هو ينافح عن رسالة الحق ، رسالة انبياء الله جميعا من لدن آدم حتى خاتمهم، متمثلا ما حل به من رزايــــا فادحة حمل الائمة الاطهار كربها و بلاءها و هم اذ دفنوا الامام الحسين في تلك التربـــة النـــــا :

---

١) يلاحظ سورة الكوثر •
٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٢١٢ •

دفنوا النبوة وحيها وكتابها ‏ ‏ ‏ ‏ بك والامامة حكمها وقضاءها

.. ما دامت هذه رزية ‏ ‏ ‏ ‏ بالنبوة وبالامامة معا ، فان المصاب لفادح والرزء لجليل ، لهذا الذى نزل بالدين فاذن يا مصيبة كربلاء ، يا ذكرى الكروب والبلاء كما قال الحسين من قبل ، واحتذاه الشريف الرضي (١) ، اذن :

لا ابيضّ يوم بعد يومك انه ‏ ‏ ‏ ‏ ثكلت سماء الدين فيه ذكاءها (٢)

واذ ثكلت سماء الدين شمسها المنيرة ، واظلم الكون ، فلتتغش الدنيا بغاشية الحزن ، لهذا اليوم الانكد المشؤوم يطل على الدنيا بروعة وأسى ، ولتقطّب الدنيا وقد طرقتها سالبة البهاء ، اذ كيف تسفر عن وجه البشر من سلبت الخطوب بهاءها ورونقها ، وطائفة الرجاء ، رسالة النبي محمد ، كيف لا تغدو طريدة ، كيف يمكن ان تجد سجلا ينقع برد احشائها :

وحشا ابن فاطمة بعرصة كربلا ‏ ‏ ‏ ‏ بردت غليلا ، وهو كان رواءها (٣)

اذن ما دامت الرزية بالحسين هي رزية رسالة سيد الخلق ، وما دام به قد ثكلت سماء الدين ذكاءها ، اذ تفطرت عطشا حشا وديعة الرحمن ، سبط الرسول وهو يذب عن حمى الرسالة السماوية ، رسالة الحرية والمواساة والاخاء ، اذن لا غرابة أن يصطرخ الشاعر لفداحة هذا الخطب الذى الم بالسماء ان تطبق على الارض فقد وقفت عصائب الباطل والطاغوت بكثرتها الكاثرة ، وقفت في وجه الحق الذى يمثله الامام الحسين حتى أستشهد على مذبح الاخلاص للمبدأ واذن :

فلتطبق الخضراء في افلاكها ‏ ‏ ‏ ‏ حتى تمك على الورى غبراءها (٤)

فوديعة الرحمان بين عباده ‏ ‏ ‏ ‏ قد اودعته امية رمضاءها

---

١) اشارة الى قصيدته المواحة المشهورة "
كربلا لا زلت كربا وبلا ‏ ‏ ‏ ‏ ما لقي عندك آل المصطفى "
تلاحظ هذه القصيدة في ديوان الشريف الرضي الجزء الاول المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٣٠٩ باشراف محمد سليم اللبابيدى ص ٣٣ ـ ٣٦ .

٢و٣) الديوان ج ١ ص ٥١ .

٤) الديوان ج ١ ص ٥٢ .

هكذا وقف الامويون في وجه الرسالة المحمدية و صرعوا متعهدها و حاميها ، فكسوه و قد نهب الناهبون مطارفه ، ثيابا نسجها نقع الحرب، و ستوه ظمآن انابيب القنا السمراء •

و هذا اليوم الرهيب، و هذا الرزء الجلل ، يوم تبحث شيخ الضلال شقاءها :

اذ القح ابن طليق احمد فتنة　　ولدت قلوبهم بها شحناءها (١)
حشدت كتائبها على ابن محمد　　بالطف حيث تذكرت أباءها

و هنا يعقد الشاعر مقارنة بين النبي "ص" و موقفه من ابي سفيان يوم دخل مكة فاتحا و كان ابو سفيان قائد قوات المشركين ، فعفا الرسول عنهم و قال لهم " اذهبوا فأنتم الطلقاء " و بين هؤلاء الطلقاء انفسهم، شيخ الضلال الشقية، و كيف جازوا الرسول على عفوه عنهم، بأن قتلوا ذريته و سبوا نساءه و جزروا الاطفال بوحشية و سادية ما عرف لها التاريخ مثيلا •

يذكرنا الشاعر ـ هنا أيضا ـ بمقولة شيخ الضلال ، طلقاء احمد ، بموقف الحسين وهو يذكرهم بالله ، برسالة جده المصطفى و بدوره منها ، اذ هو حاميها ، و متعهدها ، فلا يحل لهم قتله و لا قتاله ، فما كان جوابهم ، الا " نقاتلك بغضا منا لابيك و ما فعل بأجدادنا يوم بدر و حنين " •• فلنقارن بين الموقفين لنقف على مدى عبودية اعداء الحسين و الذين هم كما يقول نيتشه :

" ان ثمة فئة من الناس يفقدون آخر مزية لهم اذا هم انعتقوا من عبوديتهم " •

هؤلاء الطلقاء اذن لم يتحرروا من رقهم، و لم ينطلقوا من عقال جاهليتهم، لذلك ظلوا طلاب ثأر، لم تختمر العقيدة الاسلامية في نفوسهم، بل لم تجد سبيلا اليها ، و لم تجسر في مدار تفكيرهم و هذا ما اراد ان يبهمه الشاعر في وعينا عن طريق الايحاء الشاعرى و قد كان •

---

١) الديوان ج ١ ص ٥٢ •

في هذا الجانب من رثاء الامام الحسين وقد ولجنا مع الشاعر الى ابهاء الهيكل، ووقفنا امام المحراب، نلاحظ كيف كلله الحزن وغمره الاسى، وقد تمثل واقعة الطف امام عينيه، وما كان فيها مما لا يدور في خاطر، ولا يمر على بال، لقد حلقت به الهيمات الشعرية عبر رحلة المأساة، وفي مناخ نفسي غيبوبي، فراح يناجي الغمام المثقل بالمطر وقد تراءت امامه فاجعة الطف التي حلت بابناء النبي حتى تفطرت قلوبهم عطشا راح يناجي الغمام وقد اختنق بالدموع الكلمات:

وأراك تنشيء يا غمام على الثرى ظلا وتروى من حياك ظماءهـا (١)
وقلوب ابناء النبي تفطرت عطشا بقفر ارمضت اشلاءهـا

ليس هذا اعمق ما في المأساة، وابعد ما في الفاجعة، ان ابناء النبي صرّعوا على الرمضاء، احتزت رؤوسهم، اشرعت على الارماح، ولكن ليست هذه هي امضّ الغصص التي جرّعوا، ولا هي اقسى الخطوب التي قدحت بجانحة الهدى ايراءها، وانما هي:

هتك الطغاة على بنات محمد حجب النبوة خدرها وخباءهـا (٢)
فتنازعت احشاءها حرق الجوى وتجاذبت ايدى العدو رداءهـا

حتى اذا بلغ بنا الشاعر هذه المرحلة من رحلتنا داخل الهيكل، واذا اضاء في اعيننا مصباح الالم، وفتح نافورة الحزن في احشائنا، متمثلين هذا الذى كان من جسام الخطوب، عندئذ ارانا نتجاوب مع الشاعر وقد بلغت بنا المشاركة الوجدانية معه، شأوا بعيدا، اذ عايشناه في لظى معاناته، وصدق تجربته، وهذا غاية ما يطمح اليه الشعر، وان بلغنا هذه المرحلة لا نملك انفسنا من ان نهتف من اعماق اساها مع الشاعر، متعجبين من حلم الله، كيف صبر على تلك الدلهمة الفاجرة التي اراقت دماء الوحي بكل قسوة وتحجر قلب، ثم هجمت على خدر بنات النبي، هذا الحرم الامن الذى تكاد لهيبته ان لا تطوف به ـ على حد تعبير الشاعر نفسه في غير مكان ـ حتى الملائك لولا انهم خدم، افلا تصرخ معه اذن لرؤية بنات الرسول سبايا بلا حام ولا كفيل:

(١ و٢) الديوان ج ١ ص ٥٤ .

عجبا لحلم الله وهي بعينه ... برزت تطيل عويلها وبكاءها (١)
ويرى من الزفرات تجمع قلبها ... بيد، وتدفع في يد اعداءها

فأية حال هي هذه التي صار اليها نساء آل المصطفى المختار، واية مأساة دراماتيكية ألمت انها :

حال لرؤيتها وان شمت العدى ... فيها، فقد رحمت الجوى احشاءها (٢)
ما كان أوجعها لمهجة احمد ... وامضّني كبد البتولة داءها

وهكذا نرى الشاعر هنا، ليس باكيا ناشجا وحسب، وانما يحتلب الدموع من اماقي كل عين، عبر استجابة الذوق الشعري له، ومن خلال طواعية القافية والبحر، اللذين استطاع ان يجسدا التصوير بمقدرة عجيبة رائعة، على يد شاعر صناع، لانه صادق التجربة عميق المعاناة، فكل نسيج وحده في ملكوت الشكل، يتمثل في لوحة شكله، الحسين الرمز، لا الحسين الشخص، الحسين الامام راموز بيت الحرية(٣) وحارسها كما يقول العلايلي، لا الحسين اللحم والدم، ولذلك رأيناه يتحدث عن الحسين في هذا المضمار، في غضون تصويره ليوم الطف على ذلك المستوى عبر قوله :

يوم أبيّ الضيم صابر محنة ... غضب الاله لوقعها في الدين (٤)
سلبته اطراف الاسنة مهجة ... تفدى بجملة عالم التكوين

ما دام الحسين هو في هذه الصيغة رمزا ومحتذى، اذن لا غرابة ان يقول الشاعر فيه :

وقفت له الافلاك حين هويه ... وتبدلت حركاتها بسكون (٥)

ولا جرم ان يدناه الروح جبريل لما يمثّل على صعيد الحفاظ على الدين اذ هو المكمل لرسالة جده، انه البنّاء الثاني بعد ه، حارب الوثنية في المجتمع، مثلما

١و ٢) الديوان ج ١ ص ٥٤٠
٣) الامام الحسين للعلايلي ص ٢٤٠٤
٤) و٥) الديوان ج ١ ص ١١٣٠

حاربها جده في الفكر (١)، حتى هوى على مذبح الحفاظ على دين الاله، دين الحق والخير والعدالة، لا جرم ان يتعاه روح الله اذ هاتفا :

اضمير غيب الله كيف لك القنا	نفذت وراء حجابه المخزون (٢)
وتصك جبهتك السيوف وانها	لولا يمينك لم تكن ليميـــن

وفي هذا المجال من تصوير الحزن والالم ـ كما رأينا ـ يطالعنا عاملان قويان في تفجير ذلك الحزين الموّار بالاسى، هما تصوير مصرع الامام الحسين وتصوير ما لاقت بنات الوحي وعترة النبي بعد ذلك المصرع الرهيب، من هجوم الاعداء على خدرها للنهب والسلب، هاته القسوة الطاغية اللائي أرعن وجرّعن من اصناف القصص المرة الوانـــا :

وحائرات اطار القوم اعينهـا	رعبا غداة عليها خدرها هجموا (٣)
كانت بحيث عليها قومها ضربت	سرادقا أرضه من عزهم حـــرم

سرادق العز هذا الذي كان حوطا له من المهابة والاجلال، ما حرّم الاطافة به حتى للملائك لولا انهم خدم، لقد سلبته نساء آل محمد بعد ما اودى حماته منافحين عن الحق والعدالة، وصارت هذه النسوة، وبالقسوة المفارقة غرضا للنهب والسلب، فغودرت حاسرة بين ايدى الاعداء، تتعرض للسبي، وهنّ عقائل النبي، وعلى ايد اناس يزعمون انهم مسلمون، والاسلام منهم براء، ولهذا صاح بهم السيد حيدر صيحته الهادرة الثائرة :

امية هبي من كرى الشرك وانظرى	فهل اسرت للانبياء عقائل (٤)

ولذلك ـ لا تلام هذه العقائل الهاشميات ـ اذ يتعالى نشيجها وبكاؤها تجاوب، في ذلك، احداهن الاخرى، تجاوبا منواحا بتلب الدين منه اوار (٥)، وكيف لا تحن هذه العقائل وكيف لا تسفح الدمع وتشق الجيب، وامام اعينها فتيتها الماجيد كلهم قد شربت من نحرهم نصب عينها الظبا الخذم (٦)، كيف تمتلك صبرا او تميل الى عزاء هذه الحرائرة التي :

---

١) الامام الحسين للعلايلي ص ٤٩٠.
٢) الديوان ج ١ ص ١١٣.
٣) الديوان ج ١ ص ١٠٥.
٤) الديوان ج ١ ص ٩٩.
٥) نفسه ص ٨٣.
٦) نفسه ص ١٠٥.

لقد رضعت عنها يد القوم سجفها   وكان صفيح الهند حاشية السجف(١)

مصرع الاطفال عطشا :

و ثمة ناحية معالجة عند الشاعر ، الى جانب تصوير مصرع الحسين ، و رؤية نسائه و بناته سبايا ، تلكم هي حال اطفال الحسين و آل البيت في ذلك اليوم الرهيب ، و بخاصة رضيع الحسين عبد الله ، الذى لم يكن يناهز سنه شهره السادس يومئذ . لقد جف ريقه عطشا و در امه انقطع ، و بات هو يشكو كما الطير في القفص في صحراء مجدبة حتى صار كالخشبة اليابسة لسانه ، فاستسقى له ابوه القوم ، فكان شربه سهما مسددا مسموما ، انتزع في نحر الغلام فأخذ يرفرف في حجر ابيه كالطير المذبوح من الالم :

و منعطف اهوى لتقبيل طفله   فقبّله من قبله السهم منحرا (٢)
لقد ولدا في ساعة هو والردى   و من قبله في نحره السهم كبّرا

الله الله .. للظالمين . يزعمون انهم مسلمون ، و يحولون بين الحسين وبين اتّباع سنة جده ، فبدل ان يدعوه يكبّر في أذن وليده ، يتركون السهم المسموم يكبّر فيها على يدهم ، حتى ضرج بالدم ، و أبوه يقول مخاطبا البارى عز و علا : " يهونه علىّ انه بعينك " .

فيا للكلمة الرسالة ، و يا للاحتساب الدرس ، يعطينا هما الحسين في كل حركة ، و في كل سكنة . ما دام ان هذا ما جرى على حملة اعباء الرسالة الانسانية السمحاء الا ترى مع الشاعر بأن الدهر اطفئت عيناه يوم الطف ، حتى راح يتعثر بكل عماد من اعمدة المجد التي لآل الرسول :

مشى الدهر يوم الطف اعمى فلم يدع   عمادا لها الا و فيه تعثرا (٣)

لقد عثر الدهر ، و يرجو ان يقال من هذه العثرة ، الا بعدا له و لهؤلاء الذين كانوا وراء تعثره من اعداء الدين . كيف يطلب زلال العفو وقد حرّم الماء الزلال على اهل حوض الله :

---

١) نفسه ص ٩٦ .

٢) نفسه ص ٨٠   ٣) نفسه ص ٨٠ .

ازلال العفو تبني و على	اهل حوض الله حرمت الزلالا (١)

"اهل حوض الله" . هذا التعبير الذي طالعنا به الشاعر هنا يوقظ في نفوسنا ـ و هذا دليل تعمقه في الايديولوجية الاسلامية ـ ما يكون يوم الحشر من وقوف الناس عند الحوض يطلبون الماء و قد برّح بهم الظمأ من شدة الهجير(٢) اما صاحب الحوض و القيم عليه فهو الامام علي الذي يكون حاملا للواء الحمد ، يذود الكفار و المنافقين عن الحوض كما يذود السقاة غريبة الابل على حد تعبير الرسول الاعظم(٣) .

بعد ان وقفنا على ناحية تصوير الالم و الحزن ، و اشرنا الى بعض صورها عند الشاعر بقي علينا ان نلتفت الى الناحية الثانية في رثاء الحسين ، وهي ناحية تصوير البطولة و الصمود و الاباء . وهذه الظاهرة من ابرز مظاهر التجديد في مجال الرثاء عند الشاعر . لقد مزج الشاعر ـ ثمة ـ الحزن و الالم بالبطولة و الصمود ، ليعطي الدرس و يدعو للاحتذاء .

فنحن كما يقول العلايلي ـ أحوج ما نكون الى زعيم كالحسين ، و مجاهد كالحسين و قدوة كالحسين ، نسايره و نوازن بما نجد عنده (٤)"

ظاهرة البطولة و الصمود و عنفوان الاباء :

ان تجوز وهدة الانصهار في بوتقة الحزن و الالم ، توصلا الى معانقة الصمود و عنفوان الاباء ، كما نجد عند السيد حيدر الحلي (٥) ، ذلك ليس بالسهولة التي تتصور ، و تلك منزلة لا يتبوأها كل فنان حتى و ان كان موهوبا .

فأنت حين تقرأ هذا الشعر ، تحس اللوعة ، تستشعر المضاضة ، يحتويك الحزن ، و لكن بنفس الوقت ، يؤجج عواطفك الاستنهاض ، تستفزك محاكاة البطولة ، تتحرك في اعماقك

---

١) الديوان ج ١ ص ١٠١ .
٢) يلاحظ كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة اذ يفصل و بمختلف الاسانيد و الروايات حديث الرسول حول حمل الامام علي لواء الحمد يوم القيامة و كونه القيّم على الحوض من ص ٩٥ـ٩٨ .
٣) نفسه من ص ٩٨ـ١٠٤ .	٤) الامام الحسين للعلايلي ص ١٥ .
٥) شعراء الحلة او البابليات للخاقاني ص ٣٣٧ ومقدمة الديوان ج ١ ص ١٤ .

دوافع الانتصار للمظلومين المستضعفين ، يدق نفير الثورة (١)، ... فبينما تعايش مصائب آل الرسول ، تتشبح لخلودهم، لا يستحيل هذا البكاء و هذا الاسى يأسا و قنوطا بل عوامل بعث جديد ، ينقلب الى وهج حراري خلاق ، يدفع للوقوف في وجه الطغاة الظالمة ، يحور الى خزين وقود يتلهف للانقضاض على الجائرين المستبدين ، في سبيل بناء دولة الحرية، و انماء غراس العدالة في كل مكان .

من تلكم الاشواط التي كان فيها السيد حيدر الفارس المبرّز السباق . اذ بينا يضعنا هو في مناخ الشجا و الاسى ، و بعد ان يستثير عواطفنا حتى البكاء ، نراه ، و بقدرة قادر موهوب - يبدع من الظلماء فجرا ، و ينسج من خيوط الدمع بجاد صمود ، و يرفع شرى الموت قلاع حياة، فيستشرف بنا مطالع العز، و افنية المجد و تطلعات المثال المنشود . ينقلنا الى المطمح الايديولوجي عبر رسالية الشعر .

فهو يحدثنا عما حلّ بأشابة الايمان و اعمدة العز: الحسين و اصحابه من قتل ذريع، و تشريد للنساء. و هتك للحرمات، عبر اصطراخه :

اترى تجيء فجيعة	بأمضّ من تلك الفجيعة (٢)
حيث الحسين على الثرى	خيل العدى طحنت ضلوعه

فبينما يعرض الشاعر امامنا هذه الصورة موّارة بالحزن نضّاحة بالالم، نراه يلتفت من هذه اللوحة الاسيانة الدامية، الى لوحة البطولة و الاباء و الصمود و الفخار، و يروح يرسمها بأروع اداء عبر قوله :

و مضرج بالسيف آثر عزه	و ابى خضوعه (٣)
ألفى بمشرعة الردى	فخرا على ظمأ شروعه
فقضى كما اشتهت الحمية،	تشكر الهيجا صنيعه

---

١) ادب الطف لجواد شبر ج ١ ص ٢٤.

٢) الديوان ج ١ ص ٩٠.

٣) نفسه ص ٩١.

وعلى هذا المنوال يمرّنا بالتجربة، فنتحسس منها ابعاد الاهداف ومطامح الرسالة، فنستحلي الموت في سبيل العز، انتصارا للقضايا الانسانية الكبرى لتتمكن بالارتفاع بالانسان الى مشارف الحق والخير والعدالة.

حين يعرض الشاعر علينا هذا، لا ينس ان يلقي في روعنا بأن هذا الذى حل بأهل البيت انما كان لنحلى درسا ونتخذه محتذى.. اذ ان هذه المحن التي نابت وعدهم بها الرسول من قبل، فقد روى انس بن الحارث بن تميه عن ابيه قال سمعت رسول الله "ص" والحسين عليه السلام في حجره يقول: " ان ابني هذا يقتل في ارض يقال لها كربلاء فمن ادركه فلينصره "(١).

هذا لو حاولنا ان نستطلع تخلصه من غمرة الاحزان، الى اطلالة البطولة والاقتداء في مكان آخر، لرأيناه بعد ان يضع نصب اعيننا مشهد الحسين واصحابه حين ضيقت عليهم السبل، وسدت دونهم الطرق عصائب السوء وحزب الشيطان، فحرمت على هذه النخبة المصطفاة مطارح الامن وثواء الاستقرار، حتى ضاقت بهم الدنيا على رحبها اذ كانت تطالعها الحتوف انى توجهت. لكن هذه النخبة المختارة، وهذه الصفوة من المؤمنين و " قليل ما هم (٢)" نذرت نفسها في سبيل العقيدة مستبسلة في الدفاع عن ايديولوجيتها، لذا:

فاستوطأت ظهر الحمام وحوّلت	للعز عن ظهر الهوان وطاءها (٣)
طلعت ثنيات الحتوف بعصبة	كانوا السيوف قضاءها ومضاءها

وهكذا رحنا مع الشاعر نكاد نتجاوز تيار الحزن الغامر لنعانق رسالة البطولة وايديولوجيا الصمود، حين ارتفع الشاعر بنا الى مناخ ملحمي رائع، متحدثا عن بطولة وصمود الحسين واصحابه اذ هم:

---

١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ٢٨٠ ومن الجدير بالذكر ان انسا هذا كان في عداد من قتل مع الحسين في كربلاء، ومن الابيات التي صور صبرهم على المحن كما اراد الرسول الاعظم قول الحلي:

لقلوبها امتحن الاله بموقف	محضته فيه صبرها وبلاءها

الديوان ج ١ ص ٥٣.

٢) سورة "ص" / ٢٤.

٣) الديوان الجزء الاول ص ٥٣.

من كل متجح برائد رمحـــه — في الروع من مهج العدى ســوداءها
ان تمر نبعة عزه لبس الوغى — حتى يجدّل او يعيد لحاءهـا (١)
يمشو الحمام لشعلة من عضبه — كرهت نفوس الدارعين صلاءهـا

أرأيت ـ في الجانب البطولي ـ لهذا التصوير الملحمي الرائع ، و لهذه المقدرة العجيبة على تحريك النفوس و هز المشاعر، حتى أرانا نستطيب ـ مع الشاعر ـ الموت و نوءثر الجهاد تشبها بهوءلاء الكرام البررة، الذين عشنا معهم ـ عبر هذا الشعر الموهوب ـ لحظات و لا اروع، و الذين لا اجد ما اقول فيهم سوى ان اشفع الصورة السابقة بما يكملهـا من شعر الشاعر :

و أشم قد مسح النجوم لواوءه — فكأن من عذباته جوزاءهـا (٢)
زحم السماء فمن محك سنانـه — جرباء لثبّت الورى خضراءهـا

•• هوءلاء الصامدون الاباة لقد صبروا في امتحان الايديولوجيا الذى فـرض عليهم فنالوا قصب السبق فيه، حتى غدوا محتذى الاجيال على مر العصور لما كان مـن صبرهم الجميل ، و بلائهم الرائع في ذلك الامتحان •• :

في حيث جعجعت المنايا بركبهـا — و طوائف الآجال طفن ازاءهـا (٣)
فوفت بما عقدت و زوّجت الطلى — بالمرهفات و طلقت حوباءهـا

.. هكذا اذ يعرض الشاعر لوحات الحزن و الالم ملوّنة باحسيسه و مشاعره ، يجعلنا لمقدرته الشعرية و صدق معاناته نعايش معه ذلك الحزن •

و اذ يرسم لنا لوحات البطولة و الصمود موءطّرة بعواطفه لا نملك انفسنا من ان نعانق تلك البطولة و ذيالك الصمود ، مكبرين وقفات العز التي وقفها الحسين و اصحابـه انتصارا لقضايا الانسانية الكبرى•

تطالعنا ـ هنا ـ ميزة خاصة انفرد بها السيد حيدر و هي تضييق الرقعـة بين الحزن و البطولة، و تقليص المسافة بين الالم و الصمود ، و هكذا و بمقدرة فائقة يبقى الحزن حزنا موءثرا و عميقا عنده و لكنه يتحول ، عبر عبقرية الشاعر ـ من حزن يستدر الدمع الـ

(١و٢و٣) الديوان الجزء الاول ص ٥٣•

مشاعل تضيء درب البطولة و تستشرف مطالات الاباء و الصمود، مشكّلة معالم لا غنى عن الاستهداء بها في مسيرة النضال •

ينتقل بنا الشاعر من مشاهد تترقرق بالحزن و الالم الى معارج تمور بالانفة و الاباء - كل ذلك بأسلوب بديع مبتكر، و بمنهجية قادرة موهوبة، حتى استطاع ان يزاوج ما بين الحزن و الالم من جهة والبطولة و الانتصار من جهة ثانية حتى في البيت الشعرى الواحد •

فهو حين يتحدث عن مصرع الحسين يحملنا - و بمقارنة عجيبة - من مرأى سبط الرسول مضرجا بدمه على الرمضاء الى رؤيته و قد احال من قبل ضحى الحروب المستعرة الى دجى داجية لكثرة ما اثار من نقع الوغى اذ حصد رؤوس الاعداء، فلاذ منهم من لاذ بالفرار خوف الحسام الجراز و العضب الذى لا ينبو •

فان يمس منعّر الجبين فطالما | ضحى الحرب في وجه الكتيبة غبّرا (١)
و ان يقض ظمآنا تفطّر قلبه | فقد راع قلب الموت حتى تفطرا

هذه اللوحة ليست يتيمة في شعره و انما هي كثيرة ، تمتاز ابدا بهذه المقدرة الخلاقة و الاسلوب المبتكر، في التوفر على هذه المزاوجة الفذة، التي تنم عن عبقريته الشعرية و تملكه لزمام الشعر بمهارة و جدارة • الى جانب الحرارة و الصدق في التعبير و من تلكم اللوحات الموفقة :

لعمرى لئن لم يقض فوق وسادة | فموت اخي الهيجاء غير موسّد (٢)
و ان اكلت هندية البيض شلوه | فلحم كريم القوم طعم المهنّد
و ان لم يشاهد قتله غير سيفه | فذاك اخوه الصدق في كل مشهد

و هكذا تتتابع عنده هذه اللوحات، و في معظم قصائده الحسينية، و كلها مما يثير و يستوقف و لعل المقدرة في الجمع بين هذه المتناقضات، التي هي كذلك على صعيد المظاهر، و لكنها في الواقع تتلاقى بحميمية و صدق • اذ هل الصبر على ملاقاة الاهوال

---

١) الديوان الجزء الاول ص٧٩ •

٢) نفسه ص ٧١ •

و مجالدة الاعداء بشجاعة فذة و بطولة مستميتة حتى يقضي هذا المنافح خارا عن ظهـــر جواده و ما استسلم ولا هان، هل هذا الا البطولة التي لا تسامى و الموقف الايديولوجي الذى لا يرام.

لهذا رأينا الشاعر وقد تراءى امام ناظريه نجل علي يهوى عن صهوة فرســه لم ينهر امام فظاعة المشهد، وانما تراءت له صورة النسر الذى دوّخ الفضاء، وارعـــب الصقور، فصاح من خلال غمام الاسى الصفيق، منطلقا من ركيزة الذاكرة الى ابهاء الحلــم السني الذى كان يتطلع اليه :

ثوى اليوم احماها عن الضيم جانبا	و اصدقها عند الحفيظة مخبـرا (١)
و اطعمها للوحش من جثث العدى	و اخضبها للطير ظفرا و منسـرا
قضى بعد ما رد السيوف على القنا	و مرهفه فيها و في الموت اثّـرا
و مات كريم العهد عند شبا القنا	يواريه منها ما عليه تكســرا

هذه المزاوجة الرائعة، و هذا الانطلاق من ملاقاة المصرع الى معانقة الانتصار او هذا التلاقي المعجب بين السفح و الذروة، لا يفارق الشاعر حتى عند حديثه عن نساء آل الرسول حين هجم الاعداء على خبائهن و استباحوا حرمته بعد ما قضى حماة ذلــك الحرم الامن في معركة الذود عن كرامة الانسان و ارساء معالم الحرية و العدالة.

انه يطالعنا بهذه المطابقة التصويرية و في تركيب شعري بدع.

لقد رفعت عنها يد القوم سجفها	و كان صفيح الهند حاشية السجف (٢)

او كهذه الصورة الثانية :

و حائرات اطار القوم اعينها	رعبا غداة عليها خدرها هجموا (٣)
كانت بحيث عليها قومها ضربت	سرادقا ارضه من عزهم حرم (٣)
يكاد من هيبة ألّا يطوف به	حتى الملائك لولا انهم خدم (٤)

---

١) الديوان الجزء الاول ص ٧٩

٢) نفسه ص ٩٦

٣) نفسه ص ١٠٥.

٤) نفسه ص ١٠٦

•• بعد ان أوقد امامنا ـ هذه الشعلة الملحمية الرائعة وبعد ان غرس في النفوس اكبار هذه البطولة، واجلال هذا الانتصار لقضايا العدالة والحرية، وبعد مـا حول المطابقة في الاحداث الى انسجامية وتساوق، يعود بنا من جديد ليضعنا امـام نهاية هذه الدفوة المخلصة المبيناء، فيلفعنا بغلالة الحزن، ثم يعرض علينا ـ لتتمكن الصورة في نفوسنا اكثر ـ اقدامية هؤلاء على الاصطلاء بنار الوغى ـ و تنافسهم على الموت فـي سبيل الحق، فنعانقهم بلهفة و شوق، و يتسرب الأثر الى اعماقنا اكثر انسيابا و ابعـد غورا • الم يثبت في علم النفس ان ما يؤثر فينا عن طريق الحزن اخلد اثرا، واكثر استمراريـة في نفس المتلقي ؟ ؟

لذلك نقلنا الشاعر الى مناخ الحزن من جديد، معولين على ذروة البطولـة والصمود معجبين بتفاني هؤلاء المكافحين، نروم ان نتشبه بمواقف هؤلاء العظماء، النسخة المفردة في تاريخ البشرية الذين يتقدمون :

متنافسين على المنية بينهم فكأنما هي غادة معطار (١)

هكذا ظلت كوكبة الابدال على صمودها في خضم المعركة، وهنا نتذكر ما كـان من ذهاب الحسين الى قبر جده قبل ان يتقدم الى العراق، فغفا فرأى جده في المنام. فضمه اليه وقبل ما بين عينيه، ثم اطلعه على نهايته عبر قوله " ان الله شاء ان يراك قتيـــلا" •

ليقدم الله لنا بالحسين مثلا على التضحية البشرية، وراموزا للاباء، وهذا ما عبر الشاعر عنه خلال حديثه عن اشابة الصمود والاباء : الامام الحسين واصحابه :

كره الحمام لقاءها في ضنكه لكن احب الله فيه لقاءها (٢)

هكذا تلاقى الحزن والبطولة، وتعانق الالم مع الصبر، وتمازج الانتصار للعدالة والحق مع الصمود وحسن البلاء، حتى تكونت في اعماق الشاعر وشائج ايديولوجية بنّـاءة اصبح معها واحدا من صحب الحسين، رادة الحرية وراموز الحفاظ على شريعة السمـاء

---

١) الديوان ج ١ ص ٨٣•

٢) نفسه ص ٥٤•

حين اعتنق اسلوب بطولتهم و اصبح خلية حية في جسم ايديولوجيتهم ... لقد اغتدى الموت عنده ، في سبيل العقيدة ، سنى حلم يهل حول اجفانه برضى و طمأنينة ، و حتى صار الحسين ـ كما هو و كما استطاع ان يرسم الشاعر صورته بريشته الصنّاع ـ ناموس التضحية و عنوان الوفاء للمبادئ ، و رمز الدعوة الى خوض غمار الموت دفاعا عن العقيدة المؤمنة الملتزمة .

و آن حصل هذا التزاوج الحميم بين قضيته الخاصة و القضية العامة المتمثلة بالامام الحسين "ع" بما يرمز اليه من مناضحة عن القيم الانسانية المتمثلة في الخير و الحق و العدالة . هذا الاندماج البناء بين الشاعر و ايديولوجيته جعله ينبس في غمرة تجربته الشعرية الثرية قضية الامام الحسين على صعيد التعبير المباشر عنها ، لانها اصبحت قضيته الخاصة ، و بهذا اصبح التعبير عنده اكثر حرارة و ابعد اثرا ، و هذا قمة التوصيل الشعوري من خلال الشعر . لذا رأيناه يتحدث عن قضيته التي هي قضية الامام الحسين و قد تداخلتا و اتحدتا مهيبا بثورى الاستبدا و الظلم :

ان لم اقف حيث جيش الموت يزدحم ... فلا مشت بي في طرق العلى قدم(1)

لا بد ان اتداوى بالقنا فلقد ... صبرت حتى فؤادى كله السقم

و من هذا المنطلق مضى الشاعر ينسج تطلعاته و اهدافه بعزيمة صادقة ، و تصميم جاد على مجابهة التحديات مهما بلغت من التمادى و التهديد .

حتى اذا استعرت في داخله نيران المعركة المرتقبة ، و أنشأ الدفق الشعرى يمدها بزخم وحيوية تبدى لنا مدى تعمق التمازج بين قضية الشاعر و القضية الحسينية ، هذه القضية التي عكست في اعماقه اشعة بطولتها و صمودها فتوهجت في نفس الشاعر ، و انصهرت في غور كيانه ، ثم راحت تنثال من بين شفتيه كلمات تمور ثورة و تلتهب بطولة . عندئذ مضى الشاعر يقسم بظبا قومه البتّارة ، تلك التي اعتادت ان تلتمع اسنتها في دجى المعارك فتضيء جنباتها ، مكللة ابدا بأكاليل المجد و البطولة .

فلطالما حمدت الهيجاء صنائع تلك المواضي و ماتبيتوها ، فحملتها المداعيون ينزلون ـ ابدا ـ الى الساح وفوقهم يرفرف بند البطولة و الشجاعة ، لانهم لا يعرفون السن

---

1) الديوان ج ١ ص ١٠٤ .

الخور و الجبن سبيلا، فهم يلوذون بشفار السيوف حين يلوذ الهيابة النكص بقمم الجبال، نشدانا للسلامة و هربا من مواجهة المواضي، لذلك شفع قسمه العظيم بسيوف قومه التي لا تنبو بهذه الثورة العارمة :

لأحلبنّ ثديّ الحرب و هي قنا	لبانها من صدور الشوس و هو دم (١)
ما لي اساكم قوما عندهم ترتي	لا سالمتني يدّ الايام ان سلموا

ما احرانا ان نتوفر على قراءة هذه القصيدة لنقف على مدى معانقة الشاعر لايديولوجيته بحرارة و عمق و وفاء. فما احلقنا ان نتمشى في اوصال كبوتنا رعدة الحياة هذه مفيدين من ايديولوجيا الشاعر و معاناته لتغنيه الانسانية.

هذه الرعدة الحياتية التي تتفجر في أوصالنا بفضل هذا الدم الشعرى الحار الذى رفدنا به الشاعر، يدفعنا لان نتمثل سيرة الامام الحسين في مسيرة تحرير وطننا العربي من اوضار التخلف و الانهزامية، و اعتاق نفوسنا من ربقة الاستسلام و الخنوع. فذكرى عاشوراء -كما يقول العلايلي- الزم ما تكون لنا في مرحلتنا الانقلابية التي نعايش(٢).

اذا توفرنا على قراءة اى حسينية من قصائد الشاعر، نراه دائم الحضور، معايشا ابدا لتجربة الامام الحسين البطولية، معتمدا على تفجير خزين الذاكرة لتسيير عربة الحلم في المخطط المرسوم لها، مدفوعا بوهج التمثل و الاحتذاء، ملقيا في روعنا بأسلوب غير مباشر ان ليس مع حياة الذل الا الفناء الدائم و العار المستمر، لذا خلد ذكر الحسين، و عاش رمز البقاء في اخلاد الناس، لانه رفض ان يكرس وجوده الا لدفع ضيم او تثبيت حق في حين ان مناوئيه المكيافيليين لم يبق منهم الا رماد العار و وصمة الشنار(٣)

---

١) الديوان ج ١ ص ١٠٤.

٢) الامام الحسين للعلايلي ص ١٠٩.

٣) لعل من خير ما صوّر مآل الوصوليين مصاصي الدماء، المجافين للحق المحاربين للعدالة من الشعراء المعاصرين الشاعر السورى محمد المجذوب اذ يخاطب معاوية:

اين القصور ابا يزيد و لهوها	و الصافنات و زهوها و السؤدد
اين الدهاء نحرت عزته على	اعتاب دنيا زهوها لا ينفد
آثرت فانيها على الحق الذى	هو لو علمت على الزمان مخلد
تلك البهارج قد مضت لسبيلها	و بقيت وحدك عبرة تتجدد

لهذا راح يهيب بنا عبر تبنيه للايديولوجيا الحسينية في مخزون عواطفه ، وعبر تمركزها في لاوعيه ، يهيب بنا عبر اهابته بنفسه ، ان نستعلي فوق المصاعب ، وان لا ننكل امام الانتصار لقضايا الحق والعدالة ، لان الحياة الحقيقية تتوهج حيث تتقصف سمر القنا في سبيل ارساء قضايا الانسانية الكبرى ، والخلود والبقاء للصامدين في ذلك المعترك المتنافسين لهذه الغاية — على المنية :

لا تحذرنّ فما يقيك حذار — ان كان حتفك ساقه المقدار(١)

وأرى الضنين على الحمام بنفسه — لا بدّ ان يفنى ويبقى العار

بعد هذه الوقفة مع ظاهرة الحزن والالم في شعر الحلي ، وبعد ان قدمنا نماذج لرثائه خصوصا من قصيدته " شاعة النوى " التي اخترناها كأنموذج لرثائه الايديولوجي مع ان كل قصيدة من حسينياته جديرة بهذه الانموذجية ، وجعلنا اغلب الاستشهاد من ابياتها لنبقى في مناخ القصيدة الواحدة ، مما يكون اجدى في استخلاص الخصائص وحتى لا نبتر الصلة في ذهن القارئ الغريب عن ديوان الشاعر .. لقد تبدى لنا الشاعر دائم الحضور في هذه النماذج ، حميم الصلة واللقاء بالقصيدة والايديولوجيا التي يمتح من معينها ، وذلك بعدما طالعنا ما طالعنا من مراحل ومحطات ارسال واسترسال ، تبث على موجات عدة اشبه بشعاعات الدائرة ، تنطلق في كل اتجاه ، ولكنها تلتقي جميعا في المركز الذي هو ايديولوجيا الشاعر .

بعد هذا بقي علينا ان ننتقل للحديث عن المهدوية في قصائد الشاعر الحسينية فماذا عنها ؟؟

المهدوية في حسينياته :

يندر ان نقرأ قصيدة حسينية من قصائد الشاعر ، دون ان نراه يعرّج بها على ذكر صاحب الامر . وهذا التعريج لا يجيء مبتورا ، ولا يأتي مبتسرا ، وانما يأتي حيث ينبغي له ، وحيث تطلبه الشحنة الشعورية ، متنفسا للمعاناة ، ومنقذا من هول الملمات .

---

١) الديوان ج ١ ص ٨٢ .

هذا وان استيحاض المهدى دليل سخط الشاعر(١) و يأسه من الحكم الذى خلا من نأمة حق او وازع ضمير •

المهدوية — كما عرفنا — من ملزمات الايديولوجية الشيعية • اذ ان الشيعة ينتظرون خروج المهدى كما وعدهم بذلك القرآن ، وكما اخبرهم النبي محمد في احاديثه القدسية عن الله ، وفي احاديثه هو عن هذا الذى سيخرج آخر الزمان ليبني دولة المستضعفين في الارض(٢)•

لقد وضعت في هذا المجال المؤلفات والاسفار الكثيرة التي اعدت لمدارسة هذه الناحية، وحتى اليوم ما تزال تؤلف الكتب في سبيل تبيان هذا الجانب العقائدى المهم عند الشيعة •

المهدوية الى جانب هذا ، هي وسيلة للتحدث عن احوال المجتمع و بؤس الناس و معاناتهم الرهيبة للالم و الاستبداد ، انها رصد لهذه المظالم بانتظار ان يأتي يوم تنقلب فيه هذه الموازين ، فينتصب قسطاس الحق، و يسود مجتمع العدالة، مطيحا بأعمدة الفساد والطغيان ، اذ ينتصر تيار الخيرية والعدالة الاجتماعية على تيار الشهوتية والاستبداد ••

ان الشيعة يتشوقون دائما الى هذا اليوم المنشود ، خصوصا وان الحالة اصبحت لا تطاق، لقد ذر قرن الفساد ، و التقت حلقات بطان الظلم و الاستبداد و القضاء على معالم الدين ، و تشويه الرسالة المحمدية، حتى كان استصراخهم لصاحب الامر على لسان السيد حيدر:

عجبنا الين من الظالمين	عجيج الجمال من الناحر(٣)
و بتنا نود الردى كلنا	لننقل عنهم الى قابر

---

١) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٢٥ •

٢) من تلكم الكتب : الغيبة للنعماني ، و الغيبة للطوسي و اصول الكافي ، للكليني عند الحديث عن المهدى، و اكمال الدين و اتمام النعمة للصدوق، الزام الناصب، الارشاد للمفيد المجالس السنية للسيد محسن الامين •

٣) الديوان ج ١ ص٧٦

و هو ـ هنا ـ اذ يستنهض صاحب الامر، فلانه يرى ان الحالة التي يتحدى في مهاويها المجتمع ليست غريبة عن حالة المجتمع في ايام الامام الحسين •

اجل يومنا ليس بالاجنبي من يوم والدك الطاهر (١)

و هو اذ يعرض للمهدى بأن الحالتين واحدة، فلكي يقول بلغته الخاصة و اسلوبه الشعرى ان موجبات نهوض الامام الحسين و دق ناقوس الثورة هي نفسها اليوم، فهلا امتشقت الحسام و اعلنت الثورة ايها المعدّ لمحو الضلال •

المسحة المهدوية تكاد تنتظم سلك الشعر العلوى بعامة، و شعر السيد حيدر الحلي بخاصة •

لقد كانت بواعث الشعر العلوى ـ خصوصا في القرن التاسع عشر ـ ثورة على الحكم و عدم رضا بالمصير الاسود (٢) •

هذه الثورة العارمة كان من اقدر الشعراء تعبيرا عنها السيد حيدر الحلي (٣) •

لذلك رأينا المهدى عند السيد حيدر انما هو المعد لمحو الضلال، الناشر لراية الحق، المنعش لجد الحق العاثر، المجدد لرسم الهدى الداثر، الطالب بماضي الذحـول و بالغابر، المدرك بسيفه ترة الهدى (٤) •

و ليس غريبا ان يغدق عليه هذه النعوت ما دام هو المنقذ و المخلص الذى ينتظره من منطلق ايماني ••

في هذه الناحية الايمانية يعبر عن نفاذ الصبر و طول الانتظار:

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٦ •
٢) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ١٦٢ •
٣) نفسه ص ١٩٠ •
٤) تلاحظ هذه المواصفات في قصيدته الرائية في الديوان ج ١ ص ٧٥ •

كفى اسفا ان يمر الزمـان ولست بناه ولا آمـر (١)
وان ليس اعيننا تستضـي ء بمصباح طلعتك الزاهـر

وهذه الناحية ناحية التعبير عن فعل الانتظار في النفوس، وعن تجاوز الصبر لمدى طاقتهم على التحمل، تنتشر في تضاعيف حسينيات الشاعر، وتكاد تكون الظاهرة التي تفتّ مضاجع الشاعر، فلذلك يدالحنا بها في اكثر من مكان، وعلى اكثر من صعيد، ويتناولها من مظلات مختلفة، ناقلا ذلك عن نياط قلب متقطعة او حشرجات صدر مختنقة، من هذه المطلات التي أشرف منها على هذه الظاهرة استنهاضه للقائم المنتظر مصطرخـا :

(٢)
كم توعد الخيل في الهيجاء ان تلجـا ما ان في جريها ان تلبس الرهجا
وكم قنا الخط كف المطل تقطمهـا ما آن ان ترضع الاحشاء والمهجا
وكم تصلّ بيض الهند مغمـدة عن الضراب ولما تحترق ودجـا

هكذا يناجي المهدى، مستنهضا له، عارضا بين يدى استنهاضه الاسباب التي قال عنها النبي بأنها من دواعي نهوضه، ومن مقدمات الفرج، اذ يغدو القابض على دينه كالقابض على الجمر.

عبر هذه الدعوة، يبث الشاعر لواعج اشجانه، ويسكب اختلاجات نفسه، عبر شكوى غير خائبة، مطمئنة الى نهاية المسير، فصاحب الامر لا بد وان يخرج، معيدا الحق الى نصابه، مهما استطال ليل الانتظار، فان الموعد الصبح، اليس الصبح بقريب (٣).

لم يستتر تحت ليل الريب صبح هدى الاو للخلق منه كان منبلجا (٤)

صبح الهدى هذا، المستتر تحت ليل الريب، لا بد ان ينبلج للخلق، ويظهر القائم مجردا خيل الحق الشقر، فيعيد ما خنبية بنجيع اهل الضلال الثاني، وقد نسج عليها نقع الهيجاء اهابا ضافيا :

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٥
٢و٤) الديوان ج ١ ص ٦٥.
٣) اشارة الى الاية ٨١/ سورة هود ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب.

الموورد الخيل شقرا ثم يصدرها حمرا عليها أهاب النقع قد نسجا (١)
والضارب الهام يوم الروع مجتهدا في المطيس يرى في ضربها حرجا
والطاعن الطعنة النجلاء لو وقعت في صدر يذبل وهو الصلد لانفرجا

هذا هو صاحب الامر كما يراه الشاعر من منطلقات ايديولوجية شيعية وقد اطلعنا عليه ممتطيا صهوة القوة اشارة الى الاسلوب الثوري الذي سينتهجه ، اما اصحابه الذين سيلتحون الغارات الشعواء في وجه الكفرة المارقين فهم ـ كما يراهم الشاعر ـ اما شيخ نهى نجد، يهب الى دعوة الداعي للحق، واما كهل حجى ، لما وقر في نفسه من قيمة المضي على هدى القائم المنتظر، ومكانة الانتظار للفرج ٠ الم يقل رسول الله "ص" " افضل اعمال امتي انتظار الفرج من الله عز و جل "(٢)٠

وقال الصادق " من مات منكم على هذا الامر منتظرا كان كمن كان في فسطاط القائم "(٣)٠

انطلاقا من هذا نراه آن يتحدث عن صحب القائم يرى انهم سيكونون :

الفارجين مضيق الكرب ان ندبوا والكاشفين ظلام الخطب حيث دجى (٤)
ان ظللتهم سماء النقع يوم وغى كانت وجوههم في ليلها سرجا

والشاعر عبر ندبه صاحب الامر لان ينهض بأمر الله ، وعبر الصورة التي يرسمها لصحبه ، يدعو الجماهير ـ في غضون رسالته الشعرية، وبأسلوب غير مباشر ـ لان يهبوا من سبات الاستسلام ويتحدوا في وجه الاستبداد ، ويهيئوا انفسهم لما يسمو بهم الى مرتبة اصحاب القائم المنتظر، فيرفضون الهوان ويأبون الضيم ٠ هنا تستيقظ في مشاعره قضية الامام الحسين ، وقضية ادراك ثأره ، تلك التي طال مداها ، لذا راح يندب القائم المهدي هاتفا :

---

١) الديوان ج ١ ص ٦٥ ٠
٢) اكمال الدين واتمام النعمة ص ٦٠٤ ٠
٣) نفسه ص ٦٠٣ ٠
٤) الديوان ج ١ ص ٦٥ ٠

يا مدرك الثار كم يطوى الزمان على امكان ادراكه الاعوام والحججا (١)

دعوة صاحب الامر لان يأخذ ثرة الحسين من اعداء الحسين، اعداء الانسانية في كل جيل، تكاد تلازم استنهاض المهدى، وفي طليعة اسباب دعوته للنهوض عند الشاعر، انه يريده ان يخرج ليثأر للحسين الرمز، ليثأر للحق من الباطل، وللمستضعفين من المستبدين، حتى تعود جبال الظلم التي استطالت قاعا صفصفا لا يُرى بهـا ـ كما يريد الشاعر ـ أمتاً ولا عوجاً . ان انصار الباطل غدوا وهم الآمرون الناهون ودعاة الحق هم المستضعفون، لذلك راح يناجي صاحب الامر ان يأخذ ثرته من هؤلاء المارقين الذين ولجوا يوم الطفوف على امام الحق غاب عز قطما ولج .

لذلك وقد وافت ايام شهر محرم، الشهر الذى استشهد فيه الامام الحسين، يراها الشاعر قد جاءت صارخة تستغيث بصاحب الامر مما استحلوا به من حرم فسفكوا دماء ابن بنت النبي راموز بيت الحرية وحامي حماه . هذه الايام كما يراها الشاعر ـ تمد راحت تملأ سمع صاحب الامر من اصوات ناعية ثكلى ظلال نواحها وبكاؤها حتى كأن في مسمع الدهر من اعوالها صمما، انها يا صاحب الامر:

تنعى اليك دماء غاب ناصرها حتى اريقت ولم يرفع لكم علم (٢)
مسفوحة لم تجب عند استغاثتها الا بأدمع ثكلى شفّها الالم

اتريد اكثر من هذا يا حجة الله المهدى، مأساة الحسين لا تزال ماثلة امام الاعين تنتظر من يثأر لها، لانها مسألة الحق والباطل، مسألة العدل والظلم . انها ما تزال تتكرر كل يوم، فيغير الثائرون على زوار ابي عبد الله، نهبا وسلبا وقتلا وتشريدا على ايدى الغزاة المارقين . كذلك الحكام الاتراك يمارسون ـ في ايام الشاعر ـ ضد الشعب الوان الاساليب الوحشية في القمع وأد الحريات وامتصاص دماء ابنائه، والالقاء بهم في لهوات الخطوب الفاغرة ـ ابدا ـ افواهها . والشريعة المحمدية شريعة الله السمحاء التي جاءت لتخرج الانسان من الظلمات الى النور، اصبحت الان مهددة، مجافاة لا يعمل بمبادئها، لذلك فهي تصرخ مما حل بها مستغيثة تناجيك يا صاحب الامر:

---

١) الديوان ج ١ ص ٦٥ .

٢) الديوان ج ١ ص ١٠٥ .

الله يا حامي الشريعة   اتقر و هي كذا مروعة (١)
بك تستغيث و قلبها   لك من جوى يشكو صدوعه

و هكذا تتسلسل في غضون دعوته المهدوية، موجبات هذه الدعوة ومقتضياتها و تتوضح خلفياتها • و هنا يبرز الالتزام الايديولوجي مطالبا الشاعر بأن يصبر و ان على مثل حزّ المدى،لان الفجر قريب مهما استطال الليل، و الفرج آت من مشكاة الغيب• لكنه شاعر، يحق له ما لا يحق لغيره، و التزامه الايديولوجي لا يعني التقيد بالحرفية والجمود، و الا فقد الشاعرية، و انطفأت شعلة الشعر الوهّاجة، لذلك تجاوز هذه الدعوة بالصبر، على جناح الشعر، و من املاءات النفس الوالهة التي لا تقت فوق ما تستطيع، و تحملت اكثر ما ينبغي حتى ان دواء هذا الداء العضال انحصر في حمل السلاح في وجه الظلمة مع صاحب الامر انتصارا للحق و العدالة، و هذا ما حدا بالشاعر ان يصطرخ من اعماقه :

لا بد ان اتداوى بالقنا فلقد   صبرت حتى فؤادي كله الم (٢)
لأحلبنّ ثدى الحرب و هي قنا   لبانها من صدور الشوس وهو دم

ملابسات الدعوة الاسلامية في شعره الرثائي :

في هذا القسم من رثائه نراه يعرض لملابسات الدعوة الاسلامية و الخلافة بعد النبي "ص" فيأتي على ذكر خلافة ابي بكر الصدّيق(٣) • و ما رافقها من عوامل و احداث، و ما قام من نزاع بين المهاجرين و الانصار ،كلهم يبغي الامارة، بعد ان يعرض علينا تلك الوقائع، و يبين كيف تم اخيرا الاتفاق على تعيين الخليفة، لا ينس الشاعر ــ في غضون ذلك ــ منزلة الامام علي من الرسول و اهليّته الفذة في هذا المضمار• فالشاعر و هو

---

١) نفسه ص٨٨•
٢) نفسه ص١٠٢•
٣) يلاحظ قصيدته من ص٥٨ ــ ٦٣ الجزء الاول من الديوان •

الشيعي الملتزم، الذي توفر على مدارسة العلوم الدينية، أن يعرض هذه المرحلة من التاريخ الاسلامي، وأن تراءت امام ناظريه ملابسات الخلافة و ما رافقها من ادوار وعوامل لا جرم ان تطالعه في خضم ذلك مكانة الامام علي عند الرسول و المسلمين، و اقوال النبي فيه و احاديثه المتواترة عنه عند جميع المسلمين (١)، التي تبين مركزية الامام علي وكونه خليفة للرسول، و صاحب الحق في ذلك بغير منازع، الى ما كان من مؤاخاة النبي له و جعله وليا للمسلمين كولاية الرسول لهم يوم غدير خم و قولته الشهيرة يومذاك :

" من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه " .

الى غير ذلك من الاحاديث الجمة المتواترة في هذا المجال، أن تمثلت تلكم الاشياء جميعها في نفس الشاعر، و أن استضاءت تلك الزوايا امامه راح يعلن هاتفا :

اعد نظرا نحو الخلافة ايها احق بأن تضفو عليه ثيابها (٢)

فحمل الشاعر مصباحه في دجنة تلك الاحداث الجسام التي المت بالدعوة الاسلامية بعد وفاة الرسول الاعظم، و ابحر شراع شعره في خضم تلك الملابسات التي رافقت الخلافة منذ البدء . فوقف عند سقيفة بني ساعدة (٣)، مومئا الى ما حصل ثمة من محاورات و منافرات بين الانصار و المهاجرين، اذ طمحت كل طائفة منهم ان ترتقي سدة الخلافة، و الا " فمنا امير و منكم امير "، حسما للنزاع و حتى لا تستأثر طائفة بالخلافة دون اخرى، ناسين ان النبي وجّه الانظار منذ البدء نحو الامام علي . و أعدّه بأمر من الله سبحانه و تعالى لهذا المنصب، لكفاءته و تفرده بمزايا لم توجد في غيره .

هذه الملابسات التي رافقت خلافة الرسول، و المنازعات التي نشبت انما حصلت ـ كما يتراءى للشاعر ـ لان الامام علي و هو الاكثر اهلية لخلافة الرسول على مختلف

---

١) يلاحظ حول ذلك كتاب الفضائل الخمسة في الصحاح الستة في اجزائه الثلاثة خصوصا في الصفحات ٢٩٩، ٣١٩ ، ٣٣٣، ٣٣٧ من الجزء الاول .

٢) الديوان ج ١ ص ٥٩ .

٣) يلاحظ الديوان ص ٥٩ حيث يتحدث الشاعر عن "السقيفة " و دورها في محورية الخلافة الاسلامية وعن السقيفة و ما دار فيها يلاحظ كتاب " السقيفة " للشيخ محمد رضا المظفر منشورات المكتبة الحيدرية في النجف سنة ١٣٨٤ هـ . ـ ١٩٦٥ م .

المستويات ابعد عنها ، ما مهد -كما يقول العلايلي (١) الى عمل الاضطراب في حكومة الخلفاء، وقدّم مادة الانقلاب الكبير (١) ، فكان ذلك سابقة تبرر كل مزاحمة حتى لصاحب الحق بلا مدافع(٢)".

فدك ومهاجمة بيت السيدة الزهراء عليها السلام:

مما عرضه علينا على شريط شعره من احداث تلك الفترة ، قضية " فدك " الارض التي اقطعها النبي " ص" لابنته الزهراء (٣)، اثر نزول الاية الكريمة " وآت ذا القربى حقه (٤)".

لكن الخليفة الاول ابتز السيدة فاطمة ابنة الرسول ما نحلها ابوها ، فكان لها عليها السلام وقفة مشهودة ، والقت خطابة في محشر المسلمين من الانصار والمهاجرين الذين كانوا يلأشبون حول الصدّيق ،أبانت فيها أحقيتّها في ارث ابيها ، موءيدة ذلك بحجج وأدلة معضودة من القرآن الكريم،تنص على توريث الانبياء جميعهم لابنائهم (٥).

حين اتى الشاعر على ذكر " فدك " في موجة شعرية دفّاقة، بلغ به تمثل الحادثة واستحضارها في نفسه ،أن استعمل الفاظ السيدة الزهراء نفسها في احتجاجها على ابتزاز تلك الارض منها . لقد اصطرخت هي بالمتحلقين حول ابي بكر "ايهاً معشر المسلمين أ أبتز ارثي يا ابن ابي قحافة (٦)".

لقد تعجب الشاعر لهذا الحادث ووضع علامات استفهام كثيرة عبر استعراضه لشريط الاحداث التي مر بها آل النبي بعد وفاته ، الى ان قال مخاطبا المسلمين الذين لم ينتفضوا استجابة لطلب الزهراء:

---

١ و٢) الامام الحسين للعلايلي ص١٩ و ٢٨.

٣) يلاحظ تفسير السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص١٧٧ فقد ساق حديثا مسندا عن ابي سعيد الخدرى ان الرسول لما نزلت هذه الاية دعا فاطمة سلام الله عليها فأعطاها فدكا ،كما اخرجه ابن مردوية عن ابن عباس انه لما نزلت هذه الاية " اقطع رسول الله "ص" ، فاطمة فدكا ".

٤) سورة اسرى / الاية ١٧.

٥) تلاحظ هذه الخطبة في دلائل الامامة لابي جعفر الطبرى ص٣٠ و ما بعدها .

٦) نفسه ص٣٤.

اتبتز فاطمة بيتكم — نحيلتها من ابي الطاهر (١)
وانتم حضور ولم تغضبوا — فيا بؤس للملاء الحاضر

اما عن مهاجمة بيت السيدة فاطمة، وما كان من اجهاضها عليها السلام، فهو يعرضها عبر المألكة التي اراد ان تحمل لولّي الامر، مطوّية على نفثات كلها ضرم وذلك عبر قوله مخاطبا صاحب الامر:

فلا وصفحك ان القوم ما صفحوا — ولا وحلمك ان القوم ما حلموا (٢)
فحمل امك قد ما استقطوا حنقا — وطفل جدك في سهم الردى فطموا (٣)

وهكذا المح عبر تهويمة الشعر هذه، الى هذا الذى تعرضت له سيدة نساء العالمين، وبضعة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم. لم يغرب عن باله في هذه القصيدة ان يحدثنا عن مبايعة عمر لابي بكر تلك التي كانت "فلتةوقى الله المسلمين شرها" (٤) كما قال ابن الخطاب عنها.

ثم عرض لتسلسل الحوادث بعد ذلك، الى ان اغتيل الامام علي عليه السلام في محرابه، وهو يذوب في مناجاة ربه خشوعا وتعبدا. فكانت مصيبة الاسلام بذلك فادحة عظيمة:

قم ناشد الاسلام عن مصابه — اصيب بالنبي ام كتابه (٥)
ام ان ركب الموت عنه قد سرى — بالروح محمولا على ركابه

هكذا راح الشاعر يصور مصرع الامام علي، وما حل بالاسلام من نكبات وما الم به من صروف من جرّاء هذا المصرع الرهيب، غير ناس ان يذكرنا بقولة الامام عليه السلام وقد وقف نفسه على تربيب المسلمين، وغرس العقيدة في نفوسهم، وهم لا يزدادون الا نفورا وازورارا، حتى اهاب بهم في خطبته في الجهاد: "لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا" .

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٧ .
٢و٣) نفسه ص ١٠٤ و ١٠٥ — ٤) الفتنة الكبرى جزء ٢ ص ٦ .
٥) الديوان ج ١ ص ٥٥ . — ٦) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٦٥ .

لقد استوحى الشاعر هذا الذى عاناه الامام عليه السلام، و ما كان من صبره على ابعاده عن حقه حفاظا على وحدة الاسلام = و ذلك عبر قوله :

مضى على اغتصابه بغصة   غص بها الدهر مدى احقابه (١)

على هذا المنوال مضى الشاعر يوقظ في انفسنا بين الفينة و الفينة، ملابسات الخلافة الاسلامية حتى استبدت امية بالحكم، و ما كان من تحمل الائمة الاثني عشر لهذه الويلات التي كانت تلم و الخطوب التي كانت تنوب، حتى قضى احد عشر اماما ما بين مضرج بالدم او قتيل بالسم، شهداء الذود عن شريعة السماء، و الذب عن رسالة النبي، رسالة الحق و العدالة و الحرية ...

الامويون في شعره :

في معرض الحديث عن الامويين نلاحظ تلاقيا شديدا بين السيد الحلي و العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في تفسيره أن : " كل بليات و بلبلات المحيط الاسلامي في عهد الخلفاء يمكن تعليلها بالاصبع الاموية (٢)" .

و يلتقيان ايضا في ناحية ثانية و هي ان خلافة ابي بكر كما اعترف معاوية في كتابه لمحمد بن ابي بكر و كما استنتج العلايلي بأن هذه الخلافة " كانت سابقة سهلت لكل اصحاب المطامع سبيل المزاحمة (٣)" .

حين تدافع الشاعر تيار بليّات و بلبلات المحيط الاسلامي على امواجه المتلاطمة رأيناه يجد انها كانت تتحرك باتجاه توصيل الامويين الى الحكم، كما رأى العلايلي فيما بعد . اذ ظلت كرة الخلافة ـ بعد ان اقصي الامام علي ـ تنتقل من يد الى يد ..

الى حيث بالامر استبدت امية   فاسفر عن وجه الضلال نقابها (٤)
و ابدت حقود الجاهلية بعد ما   لخوف من الاسلام طال احتجابها

---

١) الديوان ج ١ ص ٥٥ .
٢) الامام الحسين للعلايلي ص ٥٧ .
٣) نفسه ص ٣٠ .
٤) الديوان ج ١ ص ٥٩ .

حين يتحدث في قصائده الحسينية عن الامويين لا ينسى ان يبين لنا دورهم في شق عصا المسلمين • لقد غالوا الاسلام و هو رضيع، و حالوا بينه و بين ان يشب كما ينبغي له ، و ان يبلّغ العالم رسالة انسانية فذة على ايدى هؤلاء الذين اختمرت في نفوسهم العقيدة الصحيحة امثال الامام علي و ابي ذر و سلمان و عمار • و هكذا حصروه عن دوره الرسالي البنّاء، و استغلوه للقضايا الخاصة، قضايا الاستبداد المقيت، و الملك العضوض•

في هذا القسم من رثائه حين يتناول الامويين بالحديث يعرض لعدة مناح منها :

النسب:

النسب الاموى عرضة للتشكيك • اذ لو عقدنا مقارنة تاريخية بين سلسلة الهاشميين و ابناء عمومهم الامويين ، لطالعتنا المفارقات الهائلة بين الفريقين سواء على صعيد الخَلْق او الخُلُق (١)• ليس اقلّ ما في هذا التشكيك ما كان من ترويج امية زوجته في حياته لعبده ذكوان • حتى ابو الفرج الاصفهاني و هو اموى النسب ذكر هذا التشكيك دون ان يعرض له بأى تفنيد و لا ان يقدم اى اعتراض (٢)•

هذا الطعن على صعيد النسب لم يكن شيئا مجهولا بل طالما عيّروا به ، يكفي ان نذكر في هذا المجال ما كان من قضاء نفيل بن عدى(٣) لعبد المطلب بن هاشم على حرب بن امية حين تنافرا و قال لحرب:

ابوك معاهر و ابوه عفّ   و ذاد الفيل عن بلد حرام

لندع كما يقول العقاد " اختلاف الطبائع و مغامز النسب ثم ننظر في اختلاف النشأة و العادة مع اختلاف الخلقة الجسدية (٤)••• فالفروسية و الرياضة و الدين و الاخلاق صفات ملازمة لذرية الطالبيين على الاجيال ، و نقيضها للامويين على الاجيال (٥)

---

١) ابو الشهداء لعباس محمود العقاد ص ٤٠

٢) نفسه ص ٤١ و ما بعدها •

٣و٤) نفسه ص ٤٢•

٥) نفسه ص ٤٢•

بعد ان وقفنا على معرفة هذه المناهز و المثالب التي تتقلم سلالة الامويين كما بينها العقاد ،لا نعجب بعد ان نرى السيد حيدر يعرض لبعض هذه الاشياء الملازمة لهم على الاجيال فلا غرابة بعد ذلك اذن ان نسمع السيد الحلي منيبا :

ابيّة غوري في الخمول وانجدي	فمالك في العلياء فوزة مشهـد (١)
هبوطا الى احسابكم وانخفاضها	فلا نسب زاك ولا طيب مولـــد

هكذا ينسحب على هذا المنوال عارضا عبر تجربته الشعرية مخـــازي الامويين ملتقيا في ذلك مع مؤرخيهم الذين اسهبوا في ذكر مثالبهم و تعداد سوء نهم في مجال تحوير الرسالة الاسلامية و تحويلها الى ملك مستبد عقيم •

آن يعرض الشاعر لهذا الذي اتصف به الامويون ،لا ينسى ان يعقد مقارنـة بين موقف كل من الفريقين ،فالهاشميون عند ما يظفرون يكون موقفهم انسانيا الى اقصى حد ،بعكس الامويين الذين ان ظفروا تسيهم أحقادهم و ضغائنهم كل ابعاد الانسانيـة فالنبي محمد عفا عن ابي سفيان زعيم الشرك يوم دخل مكة فاتحا • وارسل فيهم قالته التي ما برحت تردّد صداها جوانب الدنيا و بقاعها "اذهبوا فأنتم الطلقاء" •

هذه هي معاملة الهاشميين " العفو عند المقدرة "،اما الامويون فما كان منهم حين ظفروا الا ان اعملوا السيف في رقاب ذرية محمد ،و سدوا في وجههم الافـاق تآمرا وملاحقة و تنكيلا• و هذا ما اشار اليه السيد حيدر اذ قال :

فسل عبد شمس هل ترى جرم هاشم	اليها سوى ما كان أسداه من يد (٢)
و قل لابي سفيان ما انت ناقـــم	أ أمّنك يوم الفتح ذنب محمـــد
فكيف جزيتم احمدا عن صنيعـــه	بسفك دم الاطهار من آل احمد

و هو لا ينسى في مجال عرضه للمآسي التي حلت بأهل البيت على يد الامويين، لا ينسى اقدام الامويين على سبي بنات الرسول ،و حملهم على اقتاب المطايا تتهادى بهم في البلدان ،و هم خيرة من على وجه الارض:

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٠•
٢) نفسه ص ٧١•

امية هبي من كرى الشرك و انظرى فهل اسرت للانبياء عقائـل (١)

لكن هؤلاء المتجنين على عترة النبي لم يرعوا له ادنى حرمة، بل جافوا حتى مزايا العرب الاقحاح اولئك الذين يوفون بالعهد ، و يعرفون بالشهامة و النجدة و حفظ الذمم.

لكن امية بعملها هذا ، حين جانبت تعاليم الاسلام، و ضربت صفحا عن قيم النجار العربي ، انها بذلك كما يقول السيد الحلي :

لبست بما صنعت ثياب خزاية سوداء ، تولى صبغهن العار (٢)

و هكذا يمدنا الشاعر بسيل من هذه اللوحات الاسيانة التي تبرزها ظلال الحزن و الالم، و تلونها بشفق الدم الحسيني الذى صمد في الثلة القليلة من الصحب مجسدا صمود الحق للباطل ، و النور للظلمة.

لقد حارب الامام الحسين الوثنية في المجتمع بعد ان حارب جده الوثنية في الفكر (٣)، فأكمل بذلك رسالة جده ، و على نهجه سار.

يزخر شعر السيد حيدر ــ عبر تمثله الشعرى لمأساة الطف ــ بالنقمة على هؤلاء الذين حاربوا الله و رسوله ، حين قتلوا حماة الرسالة النبوية السمحاء ، لذلك راح يخاطبهم، و يذكرهم بأنهم اراقوا دم الاسلام يوم اراقوا دم الحسين :

درت آل حرب انها يوم قتله اراقت دم الاسلام في سيف ملحد (٤)

لذلك كان الناعي الذى نعى الامام الحسين ، انما نعى مقلة الاسلام و شطر قلب الدين ، فلله ابوهم اى جناية جنوا ، حتى نعاه جبريل في السماوات و الارض:

---

١) نفسه ص ٩٩.

٢) الديوان ج ١ ص ٨٣.

٣) الامام الحسين للعلايلي ص ٤٩٠.

٤) الديوان ج ١ ص ٧١.

نحن من دعا بالدين حيّ على الهدى   انا سا دعوا بالشرك حيّ على الكفر (١)

هذه لمحة عن صورة الامويين في شعر السيد حيدر الحلي ونظرته التي تتلاقى مع نظرة كثير من المؤرخين المحللين ، فماذا عن الهاشميين عنده ؟؟

الهاشميون :

الهاشميون في شعره على نقيض الامويين ، سادة نجب، ماجيد ، مطاعيـــم، مطاعين ، لباسهم الوغى ، و هدفهم حماية الاسلام، رموز الوفاء و التضحية، و عنوان الحفـاظ على العهد و رعاية الذمم •

نراه مأخوذا ـ عبر شعره فيهم ـ بنسبه الهاشمي ، فقد اجتمعت فيهم النبـوة و الامامة، و كانوا رمز المثالية الاسلامية، و عنوان الشهامة العربية على مسار الزمن •

تتجلى نزعته القبلية اكثر ما تتجلى عبر افتخاره بنسبه ، و خلال دعوته الدائبة للهاشميين لان ينهضوا طلبا لثأرهم ، لذلك يخاطبهم مستنهضا :

اتوانيا و لكم بأشواط العلى   دون الانام الورد و الاصدار (٢)

لكن هؤلاء الهاشميين الذين يخاطبهم، و يستصرخهم للنهوض دركا لثارهـم و انتقاما ضد الجائرين الظالمة • هؤلاء كما يبدى لنا ليسوا الهاشميين نسبا و حسـب، و انما هو يمزج بين الهاشميين ولاء و نسبا •

اكثر ما يستبين هذا التمازج عبر حديثه عن صحب المهدى • هؤلاء الكواكب الذين سيحفّون في ليل الكفاح بنيّرهم، و تدلب وغاهم (صاحب الامر) • فهو آن يتحـدث عنهم ينبه في وعينا مدى التداخل بين الهاشميين ولاء و نسبا • فأصحاب المهـدى المنتظر كما تتحدث عنهم المصادر الشيعية، ليسوا من قبيل واحد ، و لا من بلد واحـد و لا من عرق واحد ، بل هم من مختلف الاجناس البشرية، و من مختلف البلدان •

---

١) نفسه ج ١ ص ٨١ •
٢) نفسه ص ٨٣ •

وهو اذ يتحدث عن هذه الكوكبة الزاهرة، فانما يصورهم لنا بأنهم آل الوغى الذين يلبسون عدوهم ذلة الصاغر امام عزة الحق وسؤدد العدل، ويراهم صفوة المجد من هاشم :

هم صفوة المجد من هاشم ... وخالصة الحسب الفاخر (١)
كواكب منك بليل الكفاح ... تحف بنيرها الباهر

فنراه هنا يخاطب الهاشميين ويعنيه على كل اتباع الائمة وشيعتهم .

هذا التمازج بين الهاشميين ولاء ونسبا ليس دائما عند الشاعر، ولكن نراه في اماكن اخرى من شعره يخاطب الهاشميين حسبا ونسبا . اذ يناديهم ويهيب بهم بأسماء جدود هم القدامى، اس العز، وسنام المجد . فكثيرا ما يفتتح قصائده بآل فهر وآل نزار، ولؤي وغالب، وقُصي، الى غير ذلك من اصول الفرع الهاشمي . لكن اكثر هذه الاسماء ترديدا هو اسم " هاشم " .

ولعل في استشراء النزعة القبلية في ايامه، والعنصرية التي كان يمارسها الاتراك ضد العرب يومئذ، لعل ذلك جعله يعتد كثيرا بقبيلته، ويرى أن اخذ الترة = كما هي عادة العشائر حتى اليوم = رهن بأبناء القبيلة الموتورة . لذلك راح يخاطب ابناء قبيلته :

اهاشم لا يوم لك ابيض او ترى ... جيادك تزجي عارض النقع اغبرا (٢)

ثم يلتفت مستوقفا ما يثيره معنى غالب من الغلبة، وكونه من اسماء الاسد حامي عرينه، فيهيب بقبيلة الغالبيين التي ألفت اكفهم الطعان متعجبا من قعودها متسائلا:

الى الان لم تجمع بك الخيل وثبة ... كأنك لا تدرين بالطف ما جرى (٣)

لعل وراء هذا الاحساس المتدفق بالفخر بهاشم، ما أكد عليه النبي محمد من ان مخلص البشرية ومقيم دولة العدالة الاجتماعية انما هو امام قرشي هاشمي من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام . من اجل هذا راح يستنهض الهاشميين عبر استنهاضه القائم المنتظر، يريدهم ان يسهموا في معركة الخلاص البشرى، لان في كل يوم نرى ممثلا

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٤ .
٢و٣) نفسه ص ٧٨ .

لبني هاشم وآخر لبني حرب، تجسيدا للصراع الدائم بين الحق والباطل ، حيث كان قدر الهاشميين ان يمثلوا وقفة الحق في وجه الباطل على مدى التاريخ • لذلك استنهض صاحب الامر ملتفتا الى الهاشميين يهيب بهم لان يكون بمستوى الدور الرسالي المعّد لهم :

ان ضاع وترك يا ابن حامي الدين   لا قال سيفك للمنايا كوني (١)
او لم تنهض آل حرب هاشـــم   لا بشّرت علوية بجنيـــن

و ثمة ناحية جديرة بأن نقف عندها ـ هنا في رثاء الشاعر الايديولوجي ـ وهي قضية الولاية و ما كان لها من دور بارز •

ولاية الائمة الاطهار في شعر السيد الحلي :

ان ولاية الائمة و التقرب بحبهم و موالاتهم الى الله ناحية مهمة عند الشيعة الامامية، بله المسلمين جميعا • هذه الناحية جديرة بالوقوف عندها في رثاء السيد حيدر الحلي ، خصوصا ما دمنا نتوفر على مدارسة شعره الايديولوجي •

ان ولاية الامام علي ذات دور فعّال و بارز على المستوى الايماني و العقائدي ، يكفي ان نذكر هنا انه بعد ان نصبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ خليفة و وصيا من بعده ، بعد حجة الوداع عند غدير خم ، يكفي ان نذكر هنا ان القرآن الكريم قد احاط ذلك التنصيب بهالة رائعة و اضفى عليه من الاهمية بأن جعل في ذلك اليوم و اثر ذلك التنصيب اكمال الدين و اتمام النعمة (٢)•

" اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا " (٣)•

الى غير ذلك من الايات الكثيرة التي وردت في حق علي و اشارت الى منزلته من النبي و من المسلمين •

---

١) الديوان ج ـ ١ ص ١١١ •
٢) لقد وضع الشيخ الصدوق كتابا بهذا الاسم •
٣) المائدة الاية ٣ •

هذا الى جانب الاحاديث المتواترة التي قالها النبي حول ولاية الامام علي بن ابي طالب من انه : " قسيم الجنة والنار " • و" حامل لواء الحمد " • و" لا يجوز احد على الصراط الا بجواز من علي "(١)• وفي " ان عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن ابي طالب "(٢)•

لذلك لا ينسى الشاعر دور هذه الولاية التي حث على التمسك بها الرسول الاعظم، ودعا المسلمين الى التعلق بحبالها لانها الطريق الى رضوان الله •

ألم يقل الرسول في ما قال " اهل بيتي أمان لامتي "(٣)، حاضا بذلك على توليهم ومتابعتهم ألم يقل مبينا مدى أهمية اتباعهم، منبها الى فعالية ولايتهم " مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح "(٤)•

فكيف لا نتمسك بالولاية ونعانقها بلهفة ومحبة، وهي سفينة نجاتنا من كل داو فيضان •

هذه الولاية بما لها من ابعاد وآثار لا يمكن ان ينساها هذا الشاعر وهو الايديولوجي الملتزم، لهذا رأيناها انسربت في اعماق تجربته الشعرية انسرابا رائعا ، تشير في ما تشير الى مدى تمثله لايديولوجيته ومعانقته لها على كل صعيد •

فهذه الولاية ولاية آل البيت مشفوعة بما عرف عنه من التزام ديني وايمان عميق هي ما يقدمه الشاعر بين يدى اعماله رجاة نوال ثواب الله ومغفرته •

بولاء ابناء الرسالة اتقي　　　　يوم القيامة هولها وبلاءها (٥)

انطلاقا مع التمثل لولاء ابناء الرسالة المحمدية نراه يستوحي احاديث الرسول في هذا المجال من مثل قوله عليه الصلاة والسلام " حب علي ايمان وبغضه نفاق "(٦)•

---

١) يلاحظ هذه الاحاديث في كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة من ص ٩٥ ـ ١٠٦ ، ومثل هذه الاحاديث متفرقة في هذا الكتاب مع ذكر كتاب الحديث المأخوذة منه •

٢) نفسه ج ٢ ص ٢١٨

٣) نفسه ج ١ ص ٥٩•

٤) نفسه ج ١ ص ٥٦•

٥) الديوان ج ١ ص ٥٥•

٦) فضائل الخمسة ج ٢ ص ٢٧•

لقد استوحى الشاعر هذا الحديث وغيره من الاحاديث التي تدور في هذا الفلك، بمقدرة فذة وموهبة ملهمة، وذلك عبر قوله متحدثا عن مدى تغلغل حب آل البيت في اعماقـــــه :

ليرى الاله ضجيع قلبي حبهـا   وضجيع جسمي مدحها ورثاءها (١)

يستبين لنا ـــ هنا ـــ مدى تغلغل هذا الحب /الايمان في اعماق قلبه ومقوّمات كيانه، حتى راح يرتل انغام حبه على مسمع الدنيا، متخذا منها وسيلة يستشفع بها عنـــد اللـــــــه .

اما وقد افعم هذا الولاء للنبي وآله قلبه، وتغلغل حبهم في اعمـــــاق وجدانه فهو يرى ان الله لن يقلّده صحيفة شقوته، وانما سيعطيه كتابه بيمينه، مـــا دام ان جيد شعره تزينه قلادة مدحهم وثنائهم، لذلك راح يعانق الولاء بلهفة اشـــد وبحرارة اعمق، اذ ان صحيفة اعماله سيحملها في عنقه غير وجل ولا هياب. ما دام تـــد ضمن جلاء تلك الصحيفة ولاؤه للرسول وآله فلذلك راح يردد مبتهجا :

بل اين من عنقي صحيفتي التي   اخشى، وقد ضمن الولاء جلاءها (٢)

وهو طالما اعتمد على هذه الولاية، وطالما تطامن لهذه الشفاعة، يقدمهما بين يدى اعماله ويختتم بهما رحلاته الشعرية في انتظار عنايتهم :

فتقبلوها النـــــي   لقد اقدّمها ذريعـــــه (٣)
ارجو بها في الحشر را   حة هذه النفس الهلوعة

---

١) الديوان ج ١ ص ٥٥ .

٢) الديوان ج ١ ص ٥٥ .

٣) نفسه ص ٩٢ ، ويلاحظ ايضا ص ٩٥ وص ١٠٠ حيث يـــدور في نفس الفـــــلك الولائـــــي .

هذه الشفاعة التي اشار اليها النبي والائمة والتي كانت سبيل محبيهم الى دار الوصال ، لم تكن وقفا على السيد حيدر الحلي ، ولم يكن نسيج وحده في هذا المجال ، يكفي ان نذكر هنا ان الصادق عليه السلام طمأن بها هشام بن الحكم اثر محاورته للمتكلم الشامي وانتصاره عليه ، اذ قال الصادق لهشام " مثلك فليكلم الناس ، اتق الله الزلة ، والشفاعة من ورائك " (١) .

---

١) دارت هذه المحاورة بين هشام بن الحكم والمتكلم المتفقه الشامي الذى قصد الامام الصادق ليحاور اصحابه في المدينة حول الامامة والخلافة فحاوره بعض اصحاب الامام وانتصروا عليه خصوصا هشام بن الحكم وقد كان يومئذ صغيرا لم تخط لحيته ، تلاحظ هذه المحاورة في كتاب الارشاد للشيخ المفيد ص ٢٧٧ـ ٢٨٠ .

رثاء الاحبة والاصدقاء :

ما دمنا قد وقفنا من رثاء الشاعر وبيّنا المجالات التي ابحر فيها شراع شعره الرثائي ينبغي لنا ان نشير هنا ـ ولو اشارة عابرة، استكمالا للمنهجية ـ الى رثاء احبائه واصدقائه الودودين .

لعل اول ميزة في هذا الرثاء صدق الشعور وحرارة البث، وعمق التأثير، فهو يغمرنا بأمواج مشاعره المتدفقة، يلهب وجداننا بلظى الوجد الذى ينتابه ، والاحساس الاسر الذى يخالج نفسه ، آن يفوّز واحد من هؤلاء الذين اشتبكت بينه وبينهم اواصر المحبة، ووشائج الالفة فتنفرج امامه النافذة التي تطل على الاسى ، وتنفتح الكوة التي تشرف على تجارب الالم والحرمان ، على المصير الرهيب .

هذا كما ان الشاعر الموهوب ـ ككل فنان اصيل ـ يتجاوز الاشياء المباشرة الى ما وراءها ، فهو يستشف حقيقة الوجود ، يتجاوز العرض ليدرك الجوهر ، حتى اذا الدم تدرمرد بما يرفع السد الاني من امام الروافد الحزينة التي تصب في نهر شاعريته ، يبدأ آنذاك التدفق او تل الفيض ، فيمسك الشاعر بيراعته ، يغدلها بالمحبرة السوداء ، ثم يروح ينغّم الحان اشجانه على اوتار هذه القصائد التي تفيض حزنا والما ، وتنم عن وفاء فذ واخلاص فريد من تلكم القصائد المستعبرة : قصيدته في عمه ، قصائده في ولديه الذين اخترمتهما المنون في ريعان العمر ، وكذلك في اخيه ، وفي اصدقائه الخلص من آل كبة والقزويني (١) .

في هذا القسم من الرثاء نرى نوعا من التلاقي بين رثاء نفسه ورثاء حبابه امام فناء الوجود و تجارب الالم .

•• في قصيدته لعمه ، نرى الاسى قد بلغ به ابعد مدى ، لقد استطار فؤاده لموت عمه ، وفتّت في عزيمته ، ضعضع كيانه ، حتى تمنى الحاق به مناجيا اسياف الموت المصاليت :

---

١) تلاحظ هذه القصيدة في الجزء الثاني من الديوان باب الرثاء .

اذلبا الردى انصلتي و هاك وريدى   ذهب الزمان بعدتي و عديدى(١)

و هكذا يتسلسل في هذا الدفق الآسي و الشعور الحزين ، مدنوعا بميفائيـــة عجيبة ان يفدّى عمه البر التقي ، الذى كان احنى عليه من اب ، و أرأف من ام ، لشـــديد اعتنائه به و رعايته لمراحل تربيته و نشأته ، حتى جعله في الارث كأحد اولاده و بالغ في السهر على تعليمه ، و تلّمذه على اساطين العلم و الادب •

لقد كان هذا العم مجسّـــة ــ كما يقول عنه ــ ضد نكبات الايام ، و الواحـــة الوارفة التي يأوى اليها من اذى هواجر الحياة •

و نحن لنتعرف على مكانة هذا العم السامية على مستوى الدين و الدنيا ، يكفـي ان نرى الشاعر بعد ان يعدد مزاياه و مناقبه ، يجعل منه عميدا هاشميا ذا خطر ، حتـى ان رزأه يذكّر برزء الامام الحسين ، خاصة اذا لم يغب عن بالنا ان الشاعر ــ كما قدمنا من قبل ــ ملتزم و كان من اشهر من رثى الاحسين عليه السلام ، يطالعنا هذا عبر حديثه عـن الاسرة الهاشمية التي :

لم تفتقد عميدها بمحرّم   الا و اردفها بفقد عميـــد (٢)
يبكي عليه الدين بالعين التي   بكت الحسين اباه خير شهيد

و هنا يتبدى لنا عمق تأثره بمصرع الامام الحسين و مدى ملازمته لوجدان الشاعر حتى يذكره عند كل نازلة •

•• في هذا النوع من الرثاء ــ نلاحظ كما اسلفنا ــ مدى التمازج بين رثائـــه لنفسه و رثائه لاحبابه ، عبر تصويره القدير للوعة الحزن و اثرها بنفسه بأعمق تصوير •

اكثر ما يلاحظ ذلك في غضون رثائه لاولاده • ففي رثاء طفل صغير له يقـــــول مخاطبا الزمان لكثرة ما صب عليه من مآسي :

---

١) الديوان ج ٢ ص٨٧ •
٢) الديوان ج ٢ ص٨٩ •

هل يطربنك يا زمان نسائي ... ام انك استعذبت ماء بكائي (١)

هذا المطلع الى جانب كونه يصور غلبة الاسى على طبع الشاعر (٢) الذى عصف به من النكبات وحلّ به من الخطوب ما جعل رثاءه لنفسه يمتزج برثائه لاحبابه حتى راح يصطرخ في اعقاب افتقاده لهم مكملا شكايته من الزمن :

لم تبق لي جلدا وكنت اخالني ... جلدا بكل ملمة دهياء (٣)

لقد نسج على هذا المنوال من التفجع وتكرر الايام له في رثائه اخاه وولده سليمان قصائد تتفجر حزنا وتمور الما، مخلفة في قلبه جرحا رغيبا لا يندمل •

•• من هذا الرثاء الحزين في الخلان والاصفياء رثاؤه في آل كبة وآل القزويني لما كان له مع افراد هاتين الاسرتين العريقتين من صلات وود وشائج اخاء، جعلته يسجل الاعم الاغلب من افراح واتراح الاسرتين •

من ابرز ما في هذا الرثاء من ظواهر، انه لا يتحدث عن الحزن العميق الذى انتابه شخصيا وحسب، وانما يستطرد الى التعبير عن مدى تأثير الحزن على الصعيد العام• وهذا طبيعي ما دام يرثي سراة كراما من ذوى المكانة في المجتمع الذين قضوا والحياة من حولهم تمور •

ففي رثاء الحاج مهدى كبة يقول مصورا مدى الفجيعة بفقده :

غمضت بغتة جفون السناء ... فوق انسان مقلة العلياء (٤)

وله تقيت بغاشية الحزن ... محيّا الدنيا يد النكباء ••

الشاعر في هذه القصائد اقرب الى الكلاسيكية، فله جولات طويلة مع كرم المرثي وهول فقده ورزء الحفاة به ، لكن في هذه القصائد من توشي الحزن وسيرورة الشعور بالفقد ، ما يجعلنا نفرّق بينها وبين المدح بأكثر من التعبير بالصيغة الماضوية في الرثاء وذلك حين نصيخ اليه يهتف واجدا متأثرا في القصيدة نفسها :

١و٣) نفسه ص ٦٣ •

٢) تاريخ الحلة ج ٢ ص ١٤٣ •

٤) الديوان ج ٢ ص ٥٨ •

يا عقيدى على الجوى كبر الخطب ... فأهون بالدمعة البيضـــاء (١)
اجر من ذوب قلبك الدمعة الحمراء ... حزنا في الوجنة الصفـــراء
عود صبرى من الحنا قد تعرّى ... فانبذ الصبر لوعة في العراء

و نماذج هذا النوع من الرثاء كثيرة•كلها تنم عن الشاعرية المبدعة عند هذا الشاعر الملهم، و من قصائده في الرثاء الجديرة بأن نقف عندها قصيدته في العلامة الكبير السـيد مهدى القزويني و التي مطلعها :(٢)

ارى الارض قد مادت لأمر يهولها ... فهل طرق الدنيا فناء يزيلهـا (٣)
و اسمع رعدا قد تقصف في السما ... لمن زمر الاملاك قام عويلهـــا
أأمل فاما الساعة اليوم فاجـأت ... و اما التي في العالمين عديلها

ان في هذه الابيات التي اجتزأناها من اول القصيدة،الى جانب ما قدمنا من نماذج ،لاكبر دليل على مدى الوفاء و الصدق في الاخلاص عند الشاعر،كما انها دليل كبيـر على مدى مقدرته و امتلاكه لزمام الرثاء عن جدارة و اهلية•

و هنا ينبغي ان لا ننسى ان هذا الشاعر عاش في القرن التاسع عشر، و نحن ننظر الى هذا الشعر بتقدير و اكبار، و اذا ما زلنا حتى اليوم شديدى الاعجاب بهذا النـوع من الشعر، و ذلك عبر الترديد الدائم لقصيدتي شوقي و الاخطل الصغير في رثاء سـعد زغلول (٤):

و يحتقد مقارنة بين هاتين القصيدتين و امثالها من قصائد القرن العشـرين و قصيدة السيد حيدر الحلي ، مع ما بينها من بعد زماني ، نلاحظ كيف تقف قصائد السـيد حيدر تياهة ميادة•

---

١) نفسه ص ٦٠• ٢) انظر الديوان ج ٢ من ص ٥٧ الى ١٦٠•
٣) نفسه ص ١٣٠•
٤) مطلع الاولى :
شيعوا الشمس و مالوا بضحاها ... وانحنى الليل عليها فبكاها
(الشوقيات الجزء الثالث المراثي ص ١٨٥)•

و مطلع الثانية : =

و هذا ما يجعلنا نتطلع نحو هذا الشاعر العبقري بأكبار شديد و نسجل له تلك القصائد بذلك الاسلوب الجزل و اللغة الرصينة، و نعتبره في طليعة رواد الشعر الكلاسيكي الى جانب شوقي و معاصريه من الرواد • مع ان بينهم من المسافة الزمنية، و المساحة الثقافية و الحضارية، ما يقعد بالمسافر على شط التراجع، الا اذا كان هذا المسافر الرائد هو السيد حيدر الحلي رحمه الله •

رثاء الصنعة :

لا نقصد بالصنعة التكلف و انما هو مجرد تسمية للتمييز بين انواع الرثاء التي تعاطاها الشاعر • هذا النوع من الرثاء كثير التواصل و اللقاء مع رثاء الاحباب و الاصفياء، خصوصا اذا عرفنا ان معظم الذين رثاهم هم من جهابذة العلماء و المراجع الدينيين او من الزعماء الدنيويين، الذين كانت تربطه بهم صلات ود و اواصر صداقة • من هذه القصائد رثاؤه لزعيم الحوزة العلمية و المرجع الديني الكبير الشيخ مرتضى الانصاري(1)، والعلامة الكبير الشيخ محمد حسن الجواهري (٢)•

ومن الجدير بالذكر انه في رثائه للزعماء، و حتى في مدحهم لم يكن يريق ماء وجه شعره على كل عتبة، و انما كان يشيد بمآثر من كان لهم اياد بيضاء في المجتمع و كثير منهم كان يأتي بناء على التماس اقاربهم او بتوجيه من العلماء الدينيين البارزين •

= قالوا دهت مضر دهياء قلت لهم   هل غيض النيل ام هل زلزل الهرم
قالوا اجلّ و ادهى قلت ويحكم   اذن لقد مات سعد و انطوى العلم
(ديوان شعر الاخطل الصغير ، دار الكتاب العربي سنة ١٩٧٢، بيروت•)

١) هو المرجع الديني الاعلى الشيخ مرتضى الانصاري اشهر مشاهير فقهاء عصره و كان مضرب المثل في الزهد و الورع والتقى و معرفة الله ١٢١٤ـ١٢٨١ يلاحظ قصيدة رثائه ص١١٨ من الجزء الثاني من الديوان و قصيدة ثانية ص١٤٧•

٢) مرجع ديني كبير من اشهر مشاهير زعماء الدين في عصره جد الاسرة الجواهرية في النجف و صاحب كتاب : " جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام " ابتدأ بتأليفه عام ١٢٣٠ وانتهى عام ١٢٥٧ هـ• و توفي عام ١٢٦٦ هـ•

كل قصائده ـ في هذا المضمار ـ نماذج للشعر الجزل والادب الكلاسيكي الرائد الذى اسهم في النهضة الادبية •

في هذا القسم من الرثاء تسرب ايديولوجيا الشاعر عن غير ما قصد ، وذلك حين يخاطب ناعي الحجة الانصارى المرجع الديني الكبير مصورا ما ترك نعيّه في نفوس المسلمين من لواعج واشجان مهيبا به ان يحمل النعّي الى الائمة لهول الخطب وفداحة المصـــــاب •

لذلك فهو يطلب اليه ان يدع هؤلاء المسلمين الذين نبل قلوبهم بسهـــام نعيه فأصماها :

دعهم فقد غصّوا بجرعة ثكلهـم	والى الائمة في نعائك يمّم (١)
وقل السلام عليكم درس التقى	وعفت معالمه عفوّ الارسـم

هنا لا يتكلف الشاعر للمرثي ما ليس فيه ولا يتملق، اذ ان الصفات التي اغدقها على العلامة الانصارى كان معروفا بها في زمانه ، اذ كان اوحد عصره تقى وورعا وعلمـــا ، يعرف سيرته القاصي والداني •

نرى الشاعر في هذا القسم من رثائه ابعد ما يكون عن الافتعال المصطنـــع والتكلف المريب، كهذا الذى نراه عند ابي نواس في رثائه لخلف الاحمر استاذه ، او لراو ابي البيداء (٢)•

هذه هي المجالات التي تعاطى فيها السيد حيدر الرثاء، وهذه هي الحلبات التي قطعها جواد شعره مبّرزا سباقا ، فأثبت فيه مقدرته الكبيرة، وطواعية القافية لـــــه ، واستئناس الشعر لاسلوبه ، بمقدرة نادرة، حتى امّدنا بنماذج من شعر الريادة للنهضـــــة الادبية، مازلنا نقرأها بكل اكبار واعجاب، خصوصا اذا علمنا ان هذا الشاعر كان يتمتـــع بالتزام ايديولوجي ، وبتسام نفسي ، قل ان نجد مثله عند معاصريه من الشعراء، بـل حتى من سبقوه •

---

١) الديوان ج ٢ ص١٤٧•

٢) يلاحظ العمدة الجزء الثاني لابن رشيق ص ١٥١ ، والشعر بين التخطي والالتزام لعلـــي شلق ص١٧•

لقد راح يخوض غمار تجاربه ، ويردّد قصائده متحديا كل اصناف الاصفاد التي كبّل بها عصره ، في حين نرى شاعرا كبيرا مثل شوقي مع انه كان يعيش في ظل مجتمع اكثر رخاء واقلّ استبدادا . ومع ذلك لم يرهص لاية ثورة او انتفاضة فيسّجلها ويشارك في التحضير لها بتعبئة النفوس قبل ان تولد ، وانما كان يسجل الاحداث والانتفاضات كلها بعد ان تستقر وتأخذ مكانها في المجتمع، حتى انه كان متسامحا في اشد الفترات حراجة، وادعاها للتعصب للمبادئ والدفاع عنها ، وهي سمة رجل البلاط الذى عليه ان يستقبل صاحب السلطة ايا كان بالانحناءة المحفوظة والابتسامة المعروفة (١)

هكذا كان شوقي في حين ان السيد الحلي ،كان يعلن متحديا متوعدا وبالتزام ايديولوجي ، يستنهض صاحب الامر ليخلصهم مما هم فيه من ويل ونكبات كانت تصب عليهم من كل فج وصوب، حتى استطاع ان يصرخ غير هياب ولا وجل مخاطبا صاحب الامر مقارنا بين الحالة الاجتماعية في عهده وبينها في عهد الامام الحسين :

اجل يوما ليس بالاجنبي عن يوم والدك الطاهر(٢)

الى غير ذلك من المواقف الشعرية الصامدة المتحدية للطغاة بعزم واباء وذلك عبر استنهاضه الدائم لصاحب الامر، ليخلصهم من نير الاستبداد العثماني ، ولا يأتلي ان ينشد قصائده في المجتمعات بكل جرأة وجسارة كأن يقول مخاطبا المهدى:

متى يا رعاك الله طال انتظارنا تقيم عماد الدين اذ هو مائل(٣)
وتجتاح قوما منهم كل شارق تغولكم شرقا وغربا غوائل

وهكذا بلغ به الاقدام على الدعوة للثورة، والاستعداد للتضحية مهما غلا الثمن ، مهيئا نفسه لاى مصير، باثا روح عزيمته ومضائه في نفوس الجماهير لتأشب حوله رافضة الخنوع والاستسلام، مقتحمة غمار الثورة في وجه الظلم والاستبداد وشعارها كما رسمه السيد حيدر الحلي :

---

١) كتب وشخصيات لسيد قطب ص ٢٦٣.
٢) الديوان ج ١ ص ٧٦.
٣) نفسه ص ١٠٠.

ان لم اقف حيث جيش الموت يزدحم   فلا مشت بي في طرق العلى قدم (١)
لا بد ان اتداوى بالقنا فلقد   صبرت حتى فؤادي كله السقم

فحين نرى شاعرنا على هذا المستوى من شحذ الهمة و تعبئة النفس و الارهاص بالثورة امام الجماهير نلاحظ ان احمد شوقي كان " رجل البلاط في جميع الاوقات ينفذ دائما وصيته في مجنون ليلي (٢)•

اذا الفتنة اضطرمت في البلاد   ورمت النجاة فكن امعه

بينا نسجل بمداد التجلة و الاكبار شعر السيد حيدر الذى استطاع ان يدق نفير ثورة عبر شعره ، رغم ما كان من جاثوم الترك الرائن فوق كاهل الشعب بشكل سوداوين فتاكة ، و برغم الغزوات الهمجية التي كانت تهب ريحها بين الفينة و الفينة ، مغيرة على المقدسات ، تعمل ايدى السلب و النهب في زوار النجف و كربلاء ، مذيقة للشعب ابشع انواع القتل السوائبي و الاجتياح البيروني •

القافية المطواع في شعره الرثائي :

قبل ان نختم فصل الرثاء الايديولوجي لا بد من وقفة و ان تكن عجلى مع القافية و صياغتها عند هذا الشاعر • اذ انه اظهر مقدرة عجيبة على تطويع القافية وامتلاكه لناصيتها بشكل يستوقف قارئ شعره •

لقد استطاع ان يستخدم القافية لاغراضه استخداما يكاد يكون فريدا ، فانقادت لمبتغياته انقيادا عجيبا •

ما رأيك بشاعر يعمد الى القافية المهملة التي لا تمر على بال شاعر •• يأخذها فيجلوها فيلبسها ابهى الحلل الشعرية ، و يضمخها بأرج العطور ، حتى تخرج من بين يديه عروس فتنة خلابة و آية رائعة من آيات الفن و الجمال •

---

١) نفسه ص ١٠٢ •
٢) كتب و شخصيات لسيد قطب ص ٢٦٢ •

يعمد هذا الشاعر الى الكلمة اية كلمة خصوصا في مجال الفخر و الحماسة والشعر الملحمي ، يلج بها الى هيكله ، يحمل فيها ازميله الشاعري، ليدخلها في تركيب و سياق فاتنين ، ثم يلبسها حلة اسلوب تعبيري ولا اروع، فتتحول العملية عنده الى نوع من الخلق و الابداع المتكاملين ، فتتعاضد سائر الخلايا و الاعضاء لتنهض بايجاد خلق سوى متكامل بهجة للناظرين •

لقد اوتي هذا الشاعر من مقدرة على صهر سبائك القوافي • ما جعله يستطيع ان يدخلها في اى قالب شاء و على مستوى من الجمال و دقة التركيب و روعة الانسجام و حلاوة الانسياب بحيث تأسر لب عشاق الجمال و متعبدى الفن •

من هذا القبيل اننا نراه ـ على سبيل المثال ـ يستطيع ان يضفي على كلمة (قذاة) مثلا نوعا من الهالة الجمالية الرائعة •

هذه الكلمة ربما تجاوزها اى شاعر آخر الا اذا كان يريد ان يعبّر عن ناحية من التكدّر و الاشمئزاز فيستعيرها في هذا المجال ليعبّر بها عن ضيقه بأمر هو" كالقذاة في العين " •

اما ان يخلق منها معنى في الفخر الحماسي فيقلب المعايير و يتسامى بالفلسفة فهذا ما تكفّلت به يراعة السيد حيدر الحلي، حين سلكها في نظام عقد شعرى حتى تبدّدت هذه الكلمة الملفوظة من غيره ، واسطة عقد ـ عنده ـ و لا احلى • و ذلك عبر حديثه عن صمود الامام الحسين و ابائه :

أكل اللوم هاشما بعد يوم	شربت فيه نفسك الرهفات(١)
بأبي طامحا بطرف اباء	لم تلج وسطه لضيم قذاة

الله الله •• للشاعر العبقرى الملهم يحيل كلمة (قذاة) بقدرة قادر من معناها المزدرى، الى صورة رائعة تستأثر بالاعجاب الشديد •

---

١) الديوان ج ١ ص ٦٤ •

والله الله لهذا الشاعر الموهوب يستخرج من كلمة (قبال) وهي سيـور الحذاء معنى مبدعا رائعا ، وكأنه عالم الذرة يفجّرها فتتولد منها طاقة هائلة • وذلك حين يفدّى الحسين واصحابه بنفسه ، وأنى له ان يستطيع تفدية قبال ملاك السورى وملاذهم ، هوءلاء الثلة النخبة من البشر الذين جمعوا اسباب الشرف والسوءدد على كل صعيد حتى صاح من فرط اعجابه :

عجبا من رجلها ما قطعـت   في طريق المجد من نعل قبـالا (١)

•• ومثل هاتين الكلمتين بل هاتين القافيتين كثير وكثير في شعر هذا المبدع اذ يستطيع عبر تشذيب اللفظة ان يدخلها في سياق تركيب شعرى رائع الى درجة الابـداع ككلمة " اللحاء " قشر الشجرة مثلا •

لننظر كيف فجّر طاقة هذه الذرة القافوية تفجيرا يذخر بالشاعرية الموهوبـة المعطاء • فهو حين يتحدث عن بطولة بني الزهراء ، هوءلاء الصيد الذين يطلعون ثنيـات الحتوف بمضاء السيوف وقضائها وبأشابة من الابطال الصناديد ، من كل متجح في الـروع سوداء مهج العدى برائد رمحه الذى لا يطاول ، هذا البطل الصامد الابي :

ان تعر نبعة عزه لبس الوغى   حتى يجدّل او يعيد لحاءها (٢)

أرأيت الى هذه المقدرة الفذة ولهذه الالهامية العجيبة ، كيف استطاعـت ان تبدع من سواد الليل فجرا ورديا ولا ازهى •

لا تقتصر مقدرة الشاعر في هذا الصعيد على هذه المزية ، بل أن له معهـا انطلاقات تفوق وشطحات ابداع في اكثر من مضمار وعلى اكثر من مستوى •

ان المزاوجة التي تتم على يديه بين اللفظ والمعنى ، بين الشكل والمحتوى ، عبر انتظامها في سلك التعبير لتشف عن ذائقة نادرة ، ورهافة حس فذة ، وموهبة شعرية ملهمة •

---

١) نفسه ص ١٠١

٢) نفسه ص ٥٣ •

فقصيدته " الجيمية " في رثاء الامام الحسين ، وقصائده على القوافي الصعبة الاخرى امثال " الزاي " و " الشين " و " الصاد " و " الضاد " و " الطاء " و " الظاء " ، استعماله لهذه القوافي التي يجانبها غيره من الشعراء بطريقة مبدعة يجعلنا نقف امام شاعريته مكبرين مأخوذين بهذه الموهبة الفريدة •

لقد روّض السيد حيدر هذه القوافي الجامحة الحرون ، فاستلانت لريشته بطواعية وانسياب عجيبين ، حتى جاءت على يديه عذبة مستحبة ، تميس غنجا وتتيه دلا •

وما علينا الا ان نرجع الى الديوان لنقرأ هذه القصائد ، فنقف على مدى طواعية هذه القوافي الصعبة ، حتى بدت مستساغة مستملحة ••

والشاعر نفسه كان مدركا لهذه المقدرة التي اوتيها وكاد يتفرد بها من اسلاس قياد القوافي له ، وافتنانه البدع بطريقة اخراجها ، وهذا ما عبر عنه في بعض قصائده مخاطبا آل الرسول :

وبكم اروض من القوافي	كل نافرة شموعه (١)
تحكي مخايلها بروق الغيث	مخطية ، منوعه
فلديّ وكفّها وعنه سواي	خلّبها لموعه (٢)

هذه هي بعد محاولتنا في ان نقف على الظواهر الايديولوجية في شعر السيد حيدر الحلي في رثاء الامام الحسين • ونحن لا نستطيع بهذه العجالة وبقدر معيّن من الصفحات ان نتوفر على مدارسة كل قصائده واستلهام خصائصها • اذ ان كل قصيدة جديرة بالمدارسة منفردة وفي نواح كثر•

هذا وان الذي يقرأ هذه القصائد يستطيع ان يقف على مدى اصالة الموهبة الشعرية التي استطاعت ان تعانق ايديولوجيتها بحميمية واخلاص يستعلي على التقريرية والمباشرة، وذلك حين يتنقلنا على اجنحة شعره الى اعماق معاناته عبر رعدة الحياة التي يرعشها في حناياها ، وعبر التوصيل الشعوري الشعري الذي يكهرب به ذواتنا ، ومن خلال الذبذبات الايحائية الوهاجة التي تتمشى في اعماقنا ، مما يدلبح في

---

١) الديوان ج ١ ص ٩١ •
٢) نفسه ص ٩٢ •

نفس المتلقي أثرا ابعد ، و شعورا أعمق، فتشرك الشاعر في حرارة معاناته و املاءات احاسيسه و وجدانه ، و تعايشه معايشة المعاني المكتوى بنار تجربته •

فيتحلل معه ـ القارئ او المستمع من كونه مجرد قارئ او مستمع، وهذه ابعد غايات الشاعر و ارقى متطلعاته ، ليصبح معانيا لقضية الشاعر و كأنها قضيته الخاصة، لانها قضية الانسانية و متطلعاتها في كل زمان و مكان •

و يطالعنا ـ هنا مقدرة الامتزاج الحار العميق بين التجربة الشخصية و القضية العامة التي تتمدد في وجداننا بلا وعي و دونما قصد ، عبر اطر الوحدة الداخلية العميقة التي هي الاساس الذى يبني عليه تجربته الشخصية و قضيته العامة معا ، في مدّ شعوري ثرّ ، يتراءى عبرها الشاعر دائم الحضور ، يستهل بخزين الذاكرة ليضيء معالم الحلم ، و تسمي معانقة شعرية لا يديولوجيته ولا اروع ، ينسحب بها على كل قارئ او متلق لشعره ، في اسمى مطمح يصبو اليه شاعر •

الخاتمـــة

•• البناء، الاسلوب، اللفظ المفرد، الوزن، القافية، الصورة، التعبير، تداعي الافكار، طريقة تركيب الجملة، الحضور المستمر، كل ذلك مما يثير و يدهش عند السيد حيدر الحلي •

فلا حوشي كلام، و لا تقعر اسلوب، و انما انس و استئناس و حسن جرس، وانسجام ايقاع، و كلمات مستساغة في الذوق، مأنوسة في الفهم •

تعابيره توقظ في النفس كوامن العواطف • تحمل المتلقي على اجنحة الموسيقى • فيغدو اكثر من متلق لهذا الشعر، يصبح مشاركا، يعايش التجربة، يمر بالمعاناة، و هذا اسمى ما يتطلع اليه شاعر، و يتوق اليه أديب •

من هنا كان هذا الشاعر الايديولوجي جديرا بالتوفر على مدارسة شعره • لقد استطاع ان يمدنا بزخم شعري رائع، في وقت كان الادب العربي يتردى في مهاوى الانحلال و القشريات •

نبوغ الشاعر في ذلك العصر، في الفترة المظلمة(١)، يجعله جديرا بالتقديـر • خصوصا ان مؤرخي الادب العربي و كتابه حتى العراقيين منهم، لم ينصفوا هذا الشاعر و لا قدروه حق قدره • و لا حاولوا ان يضعوا عطاءه بين ايدى الجيل كما ينبغي • في حين يلحون على تقديم شعراء و نشر نتاجهم مع المدارسة، برغم ان هؤلاء الشعراء لا يحتلون حتى الخانة الثالثة في حلبة الشعر بعد السيد حيدر •

يكفي ان نعلم من مدرسية هذا الشاعر ان قصائده ــ الحسينيات بخاصـة ــ كانت تعرف بالحوليات (٢) • اذ كان ينقح شعره عدة مرات خلال العام(٣) • فيختار اللفظ

---

١) الشعر العراقي الحديث، جلال الخياط ص ١٢ •

٢) ادب الطف ــ جواد شبر ج ١ ص ٣٦ • و يلاحظ الفصل الاول من الباب الاول من هذا البحث ص ١٩ •

٣) تاريخ الحلة ــ يوسف كركوش ج ٢ ص ١٤٣ •

الموثق بذائقة مترفة، يعالج التركيب، حتى اذا احتلت القصيدة من نفسه مرتبة الرضـــا ، أخرجها على الناس متقنة مشذبة. حتى انك لتراه في شعره ، فصيح المفردات، قوى التركيب، بديع الصنعة، يختار المفردة الموحية، يصطاد اللفظ الرقيق، يقربه بمحض ارق منـــه ، دون ان تجد نبوة او حشـ ـوة (١).

هكذا كان شعره ، بخاصة في مراثي سيد الشهداء. ونحن لو اقتطفنا ايـــة قصيدة من ديوانه بخاصة من الحسينيات، لغامرنا الاعجاب الشديد بشعر هذا الشـــاعر الذى استطاع ان يستشرف هذه المطلات الشعرية السامية في عصر الانحطاط.

لنأخذ مثلا قصيدته الميمية التي مطلعها :

ان لم اقف حيث جيش الموت يزدحم   فلا مشت بي في طرق العلى قدم (٢)
لا بدّ ان اتداوى بالقنا فلقـــد   صبرت حتى فؤادى كله الـــم

حين تقرأ هذه القصيدة تحس نفسك ـ لما جمعت من حسن سبك ، و جودة صياغة، و تقنية تعبير، ـ تحس انك امام جحفل تتدافع كتائبه شاكية السلاح . فأية مقدرة عجيبة اوتيها هذا الشاعر الذى يستطيع ان يجعل من الفاظه لروعة التصوير و براعة التعبير ـ جنـــودا منافحين ، ما دام يتحدث عن المعركة و الصراع و نذر النفس لذلك المضمار.

ينسج ايضا على نفس المنوال دون ان تجافيه هذه العبقرية الموهوبة، فـــي قصيدته النونية التي يرثي بها الامام الحسين عليه السلام متدبا المهدى المنتظـــر:

ان ضاع وترك يا ابن حامي الدين   لا قال سيفك للمنايا كونـــي (٣)
او لم تناهض آل حرب هاشـــم   لا بشّرت علويّة بجنيـــــن

ثم لنستمع اليه كيف يحسن السبك ، و ينقى المفردة الموحية المعبّرة و يضعهـــا في المكان الملائم، ثم يردف ذلك بالقافية التي تجيء تتويجا لهذه الصياغة البدع.

---

١) شعراء الحلة ج ٢ ص ٢٣٣.
٢) الديوان ج ١ ص ١٢٣.
٣) نفسه ص ١١١.

أمعلّل البيض الرقاق بنهضة	في يوم حرب بالردى مشحون
كم ذا تهزك للكريهة حنّة	من كل مشجية الصهيل ، صفون
ملال انتظار السمر طعنك التي	تلد المنون بنفس كل طعين
عجبا لسيفك كيف يألف غمده	وشباه كافل وتره المضمون (١)

أرأيت الى هذا الانسياب الشعري الرائع، والى هذه الاناقة في الاسلوب والسلاسة في التعبير، والروعة في الاداء ... ثم الى هذه الطريقة الحقوقية في استنهاض صاحب الامر ليهبّ منافحا عن دين الاله .. اليس هذا جديرا بالاعجاب والتقدير ؟؟

ما قولك بقصائد كلها من هذا القبيل ؟ اليس خسارة للادب العربي بـل الانساني اهمال مثل هذا الشعر، وتناسي نتاج هذا العبقري ، فيترك ذكره غفلا، حتى عند التحدث عن الشعراء الذين رثوا اهل بيت النبي . فهذا الدكتور شوقي ضيف النقاد الادبي المعروف حين يتحدث عن الشعراء الذين رثوا النبي وآله لا يعرض لذكر هذا الشاعر من قريب او بعيد ، برغم اجماع صيارفة الشعر انه اشعر من رثى الامام الحسين (٢) وآل البيت، في حين نرى الدكتور " ضيف" نفسه لا ينسى ان يذكر قصيدة " الجواهري"* في الامام الحسين ، مع أن صاحب القصيدة لم يثبتها في ديوانه المطبوع اكثر من مرة .

اليس هذا الاغفال لذكر الشاعر في مجال اختصاصه خير معرّض على دراسة اشعاره ، تلك الاشعار التي تنم عن براعة فذة، اذ انها " لم تملّ من قبل المستمعين على كثرة تكرارها ، فلا يزداد السمع الا اشتياقا اليها (٣)، كأنها بكر لم تسمع من قبل .

وهذا يدل على " توفر فن الاعجاز فيها (٤)" ، الى جانب كونه ينطلق من ايديولوجية تنسحب على شعر هذا الشاعر الدائم الحضور .

---

١) نفسه ص ١١١ .

٢) طبقات اعلام الشيعة الجزء الاول ص ٦٨٨ .

٣و٤) شعراء الحلة ج ٢ ص ٣٢٤ و مقدمة الديوان ج ١ ص ١١ .

* الشاعر العراقي المعاصر محمد مهدي الجواهري .

وقفة مع الدكتور جلال الخياط ورأيه في شعر السيد حيدر الحلي :

كل النقاد الذين تناولوا السيد حيدر الحلي من قريب او بعيد يشهدون له بالتفوق في المراثي خصوصا الحسينية منها • حتى الدكتور جلال الخياط(١) الذى لم يتوقف الا عند الاراء التي نظرت الى عطاء السيد حيدر من زاوية مظلمة ولم تفه حقه لم يتنكر لهذه الشهادة بالتفوق •

نحن لا نطالب الدكتور خياط لماذا اختار هاتيك الاراء، فهو حر ان يتبنى آراء بعينها، ولكنا سائلوه من حيث كونه دارسا و محققا، عن موجبات اختياره لتلكم الاراء واعتماده لها •

اليس ينبغي للناقد الحصيف ان يكون قاضيا نزيها يتمتع بثقافة تنأى به عن التعصب، و تتصف بوضوح الرؤيا ؟؟

ثم اليس اول عمل يقوم به القاضي ان يستمع الى مقالة كلا الخصمين، و يصيخ لشهود كل منهما، فلا يصدر حكمه بناء على شهادة طرف واحد ؟

ثم الا يجدر به ان يقدّم بين يدى حكمه حيثيات ذلكم الحكم و موجبات استخلاصه له، انا نسأل الدكتور الخياط لماذا اختار اراء الذين حكموا على الشاعر ولم يختر العكس، انا نطالبه بذلك من خلال مطالبته هو نفسه بمبدأ اقترحه و دعى الى اعتماده على صعيد الدراسات الادبية، و حكم بأنه النهج الاصح الذى ينبغي الا يتجاوز • فقد كتب في مقدمة كتابه عن الشعر العراقي الحديث راسما المخطط لاية دراسة ادبية و ذلك عبر قوله " لا شك ان اهم مصدر و أولاه بالعناية و التقدير هو النص الادبي، ففي اية دراسة شعرية تكون الدواوين المنبع الاول الذى عنه نصدر و منه نستقي (٢)" •

---

١) الشعر العراقي الحديث ص١٨ و ١٩ •

٢) نفسه ص٧ •

نحن نسأل " الخياط " هل اتبع هذا المنهج الذى وضع هو اصوله • نحن لم نر خلال دراسته لشعر الحلي ، الا انه استعان بآراء الاخرين ، اما التوفر على مدارسة النص الشعرى فيبدو انه لم يتم بها ، اذ لو كان منه ذلك لما اكتفى خلال تلك الدراسة بأن يدلي بآراء فلان و فلان دون ان يتبنى هو رأيا بعينه و دون ان يبين لنا اسباب هذا التبني •

ثم نراه بعد ذلك يصدر حكما اقرب الى الارتجال و السطحية ، نربأ به ان يكون صادرا عن نقد دكتور ينبغي ان يعرف قيمة الاحكام و كيف تطلق ، فيقول :

" بالرغم من عدم اجادة الشاعر (حيدر الحلي) في الموضوعات الاخرى (اى عدا الرثـــاء " •

نراه يسوق هذا الرأى دون ان يقدّم اى دليل ، و دون ان يدعم رأيه بشيء من شعر الشاعر اذا كان كما يزعم ، و انما يتراءى لنا انه كان يقوم بعملية النقد و كأنه يكتب موضوعا انشائيا كما يفعل طلاب الصفوف التكميلية و الثانوية •

في تلك المرحلة ربما يغتفر هذا الاسلوب في الدراسة ، اما في مجال الدراسات الاكاديمية و الجامعية فهذا شيء مرفوض البتة •

• • انه لمن العجب العجاب ان يحكم للسيد حيدر في مجال الشعر الرثائي انه صادق الاحساس بالحزن مع قيمة هذا الصدق على صعيد الشعر ، ثم نراه بعد ذلك ينقل آراء فيها الكثير من التحامل و التعصب (١) على شعر هذا الشاعر خصوصا في رثاء اهل البيت التي احتل فيها الشاعر شأوا بعيدا •

انا لا اتصور انه قد قرأ اشعار هذا الشاعر في رثاء آل البيت ، ثم يستشهد بآراء تنال من شعره في هذا المجال الذى كان مبدعا فيه ، دون ان يفنّد هذه الاراء او يردّ عليها •

---

(١) يلاحظ الشعر العراقي الحديث ص ٢٠ •

" فالخياط " لو اطّلع على شعر هذا الشاعر ـ خصوصا حسينياته ـ لرأى انها من اروع الشعر العربي الكلاسيكي المجدد ، الذى يحتل طليعة ريادة النهضة الادبية ، و اجدرها بالتنويه *، نظرا للبعد الزمني و التباين الثقافي و الحضارى بين عصر السيد حيدر و عصر هؤلاء الذين عدّوا روادا للشعر العربي امثال البارودى و شوقي ، اذ بينهما و بين السيد حيدر ما لا يقل عن قرن من الزمن •

وهكذا الموقف (جلال الخياط) مع قصائد الشاعر الحسينية لوجد انها تعبر بصدق و اخلاص عن ايديولوجية هذا الشاعر و مذهبيته ، مما يجعله خليقا بالاكبار حتى و ان لم نكن معه في وفاق حول الايديولوجيا التي يتبناها ، الا ان يكون هذا هو ذنب الشاعر •

و من الجدير بالاشارة هنا ، ان هذا الشاعر مع التزامه الايديولوجي استطاع بموهبته و عبقريته ان يتجاوز الانية و التقوقع ، الى رحاب الانطلاق الشعرى المبدع ، و استطاع ايضا و في حلبة الرثاء ان يأتي بالاسلوب المبدع و الفن المبتكر (١) • فلم يعد الرثاء لا يختلف عن المديح الا باستعمال الصيغة الماضوية في الاول ، و صيغة الحاضر و المستقبل في الثاني • هذا الى جانب الحضور الدائم الذى نراه عند الشاعر •

و الواقع ان لتفوق السيد حيدر و نبوغه عوامل و اسبابا عرضنا لها عبر دارستنا لشعره الرثائي ، ليس اقلها الصدق و الباعث الوجداني ، مع ان هذا من اهم مقومات جودة الرثاء كما قرر الحسن بن هاني ، حين طلب اليه استاذه خلف الاحمر ان يرثيه ، حتى اذا أعجب الاستاذ بمرثاة تلميذه ، بادهه النواسي بالقول " مت يا ابا محرز ، و لك عندى خير منها " ، اذ قبل الموت " اين باعث الحزن (٢) " • هذه الشحنة الخيرة الهائلة التي آن تتداخل مع ثقافة الشاعر و موهبته الايحائية ، و غنى تجربته ، تكوّن طاقة خلاقة تبدع الشعر الحياة لا الشعر ـ التقليد •

---

١) شعراء الحلة ج ٢ ص ٣٢٧ •

٢) ابو نواس بين التخطي و الالتزام ، علي شلق ص ١٧ •

*) يلاحظ مقدمة الديوان ص ١٣ للوقوف على مدى افتتان شوقي بشعر السيد حيدر •

لقد كان السيد الحلي يحس ان قضية الامام الحسين هي قضيته، بل قضية الانسانية على مسار الزمن الطويل، اذ يرى ان الصراع الهاشمي الاموي مستمر على مدى الايام. لانه صراع بين الحق و الباطل، بين العدالة و الجور، بين الحرية و الاستبداد بين النور و الظلمة، بين الانسانية تود ان تستوعب نفسها و تنطلق الى رحاب الوجود خيّرة معطاء، و بين السائمية تريد ان تأتي على القيم، و تريد ان تستأصل النزعات الخيّرة في الانسان، انه ناقوس الامل بالفرج ينبّه الشعب من سبات الخنوع و الانهزامية، لينتفض ضد كابوس الاحتلال التركي الجاثم فوق كاهل الشعب، يجرّعه العذاب و الحرمان الوان.

لذا كانت صرخته تندّ عن قلب موتور، موتور الظالم ضد ايديولوجيته على مدار الزمن، و ليس آخر تلك الممارسات، ما كان من مصرع الامام الحسين، بل كان راموزها، و هو ينتظر وفاق تعليمات ايديولوجيته التي صاغها الرسول الاعظم، ان لا بد و ان يظهر الامام الثاني عشر المهدي المنتظر، باني دولة المستضعفين في الارض ليسلط سيفه فوق رقاب الظالمين المستبدين، و يبيد دول الظلم و الفساد، و ينشر راية العدالة و الحرية او الاخوّة و المساواة.

لهذا رأينا هذا الشاعر ينتظر ذلك اليوم انتظار الموتن لانه يتعامل مع ايديولوجيته بصدق و اخلاص يصدر فيهما عن ايمان ثابت و يقين مطمئن.

و بعد، فهذا هو السيد حيدر الحلي، و هذه هي محاولتنا في التعرف على ايديولوجيته في رثاء الامام الحسين.

لقد وقفنا مع عصر الشاعر و نشأته و تربيته و معايشته لاحداث عصره، ليكون لنا ذلك بمثابة صوى نستهدي بها في الوقوف على ايديولوجيا الشاعر.

و لقد بيّنا تأثره و تأثيره فيها، مع وقفة مع الامام الحسين بما يسمح به المقام، و لا يذهب بنا شططا عن مخطط الموضوع، استكمالا للمنهجية، و محاولة للتعرف على ابعاد ايديولوجيا الشاعر و مراميها.

عبر هذه الدراسة، تراءى لنا كيف استطاع هذا الشاعر ان يعبّر عن ايديولوجيته، و كيف كان ملتزما بمذهبيته عبر رثائه للامام الحسين عليه السلام.

ان هذا الرثاء ـ الى جانب اظهار الحزن و الالم، و تبيان مقام الحسين شخصا و رمزا ـ كان فيه اكثر من وقفة مع التاريخ الاسلامي و مع مسلسل الاحداث التي تناوبت هذا التاريخ ، كحديث سقيفة بني ساعدة، و تولي الخليفتين الاولين لمقاليد الامور و الظروف التي رافقت ذلك ، مع الوقوف عند قضية " فدك "، و ما كان من ابتزازها من فاطمة ابنة الرسول " ص" ، وصولا الى دور الامويين في محاولتهم تغيير مسار العقيدة الاسلامية، خلال عملهم على تحريفها و تشويهها ، مستغلين معتقد الجبرية بأن كل شيء من عند الله و ان الانسان مسير في هذه الحياة، ليهولوا على الجماهير المسكينة بأن ما ينصب عليهم من ظلم، و ما يمارس ضدهم من استبداد انما هو بارادة الله ، ممعنين في التحكم برقاب الناس و استغلال خيراتهم، و سدّ منافذ الحرية امامهم، مما كان سببا في تشويه الكثير من حقيقة الرسالة الاسلامية، اذ انتهى بفعل هذه التحريفية الى هذه الرسالة السهلة السمحاء، على انها رسالة القتل و البطش و الغدر و سفك الدماء و اقتناء الحريم، كما نلاحظ ذلك عند كثير من المستشرقين الذين يرمون الاسلام بمثل هذه الادواء *.

هذه السياسة المستبدة الراعية كانت في طليعة الاسباب التي اسهمت بتأجيج نار الشعوبية ضد العرب، لما كان من محاولة الامويين في تكريس الامتيازات و تدعيم الارستقراطية على حساب عدالة الاسلام و مساواته ، اذ الدين الاسلامي دين اممي " لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى "، و حتى غدت هذه الممارسات المنحرفة الاستبدادية المنافية لتعاليم الاسلام مثارا لتلك الفتن الدامية على طول التاريخ الاسلامي .

و في هذا يلتقي الشاعر كما بينا سابقا مع العلامة العلايلي الذى يفسر بليات و بلبلات المحيط الاسلامي بالاصبع الاموية، و الذى يرجع اسباب كل ذلك الى الحزب الاموى الذى كان يستفرص الفرص و يهتبل الغفلة لينقض على جرثومة الدين الاسلامي تشويها و تمزيقا (١).

---

١) الامام الحسين للعلايلي ص٥٧ .
*) الديوان ج ١ ص ٥٢، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٧٠، ٧٣ الى ٧٨ الخ ..

هكذا استطاع الشاعر العلي ان يضيف الى قيثارة الشعر العربي اوتارا جديدة واستطاع ان يرفد الادب العربي بما نشّط دورته الدموية، وساعده ان يقوم من بين انقاض عصر الانحطاط، بما اعطاه من حقن الريادة، وبما امده به من المصل الشافي، الـــذي راح يعمل على مساعدة خلاياه على ان تتجدد وتحارب عوامل الفناء.

لقد استطاع هذا الشاعر ان يرتفع بالرثاء الى اعلى مصافّ الاغراض الشعرية، بعد ان كان الرثاء: " اصغر الشعر لانه لا يعمل رغبة ولا رهبة (١) " كما ينقل ابن رشيق في عمدتـــــه.

فغدا الرثاء على يد شاعرنا من اغنى الاغراض الشعرية في الادب العربي، واجدرها بالدراسة، ومن اصدقها التزاما واكثرها تعبيرا عن الايديولوجيا.

هذا الالتزام الايديولوجي هو الذي جعله يعرض عن كثير من مغريات الحياة، وان لا ينهمر على الغزل، حتى أخذ عليه عدم صدقه في هذا المجال.

وهذا بديهي لانه كان له من مطامح نفسه، ومن سمو مراميه، والتزامـــه الايديولوجي، ما يرغب به عن ان ينصرف بكليته الى هذا المجال، وهو بهذا جدير بالاحترام والتقديـــــر.

لقد كان ما جرى للامام الحسين بما يرمز له ذلك الحادث عبر التاريخ ولاستمرارية الرمز، ما جعل الشاعر بمشغلة عن غيره.

فالتقى مع المتنبي بانصرافه عن الخُرّد العرب، والخود الكواعب، وخالفه في سمو الغاية، ورسالية الايديولوجيا التي أملت عليه ذلك، فحين جرى الاول وراء مطامح شخصيـــة من ملك وصولجان، رأينا السيد حيدر يعانق ايديولوجيا انسانية، تنشد الخير والمحبـــة والسلام لبني الارض جميعا، هذه الايديولوجيا التي سيكون خلاص الدنيا على يد احـــد اركانها، فينقذ البشرية من تدهديها الى هوة الشر ويخلصها من اشراك الظلم، متساميـــا بها الى ذروة الخير ورحاب الحق، وفناء العدالة.

---

١) العمدة لابن رشيق ج ١ ص١٢٣.

وقد خالف الحلي المعري ايضا مع تلاقيهما في عدم الانهمار على الغزل، خالفه ـ وله في هذا كبير فخر ـ عبر تجاوزه لتشاؤمية المعري، اليائسة من الحياة والاحياء، متطلعا الى تفاؤلية الحرية التي لا جرم ستمد جناحيها، فتعطي للحياة قيمتها، ولابنائها معنى الوجود ..

.. وهكذا انصرف شاعرنا عن كل بهارج الحياة الزائلة، وجاهد عبر شعره الرائد بصوفية وتوحد عبر الانصهار مع الوجد الحسيني، في سبيل ارساء معالم ايديولوجيا بنّاءة، تاركا مبادئ هذه الايديولوجيا تتسرب الى اعماق متلقّي شعره عبر معاناة الحزن وتحمل الالم، لتكون أبعد اثرا في النفوس، واكثر تغلغلا في الاخلاد ..

ومهما يكن فليس ثمة ما يشين الشاعر ان لم يقف نفسه ـ في عصر الظلم والاستعباد ـ على مباذل الغزل.
وهذا يعدّ مفخرة ما أجدرها بأن تصبح رسالة ومحتذى، فيتجاوز الشاعر مطالبه الجسدية، ليناضل في سبيل عقيدة بنّاءة.

اذن ليس عارا ان لا ينهمر الشاعر على الغزل، ومن حوله الناس يتجرعون كؤوس الحرمان، والحكام يرقصون فوق جثث الشعب، وعلى الحان حشرجة الاحتضار وأنين البائسين والثكالى.

ان هذا الشاعر لجدير بالتخليد وحريّ بالتنويه، حين تجاوز دوافعه الانانية، ليعانق رسالة الجماهير، ويعبّر عن تململها وتطلعها الى الغد الافضل، حاملا لسواء تمردها على الامر الواقع باصرار وتضحية.

لقد أبان لنا الشاعر، في أكثر من موضع وعن غير ما قصد، عن الاسباب التي كانت وراء تجافيه لمطالب الانس وموحيات الغزل، من اجل همّ ارق في عيونه، وسهر في قلبه، ولما يفارقه حتى فارق الحياة.

انه هم انتظار المخلّص فالناس عادوا لجاهليتهم الجهلاء، وعادوا يمارسون نفس الممارسات الفظيعة التي كانت ايام الحسين، مما نأى بالشاعر عن مطارح السلوان، وشطّ به عن مسارح الغزل، معبّرا عن ذلك بقوله :

لم يرعني نوى الخليط و لكن ‏ ‏ ‏ من جوى الطف راعني ما يروع (١)

و ما حدا به ان يصرخ في وجه عاذله ولاحيه :

تركت حشاك و سلوانهـا ‏ ‏ ‏ فخلّي حشاي و احزانهـا (٢)
و دعني اصارع همي و بت ‏ ‏ ‏ صريح مدامك نشوانهـا
فقد استوطن الهم قلبي فخفت ‏ ‏ ‏ لك الغانيات و اوطانهـا
فكم لي قلبك لوا ــــة ‏ ‏ ‏ تشاغلت مطّرحا شأنها

ماذا عن هذا الهم الذى اورثك الضنى يا سيد حيدر، ما هو حتى جعلك تعزب عن السلوان و تلبث حاضر الهم و الاحزان، لقد اجابنا رحمه الله عن هذا التساؤل فاصطرخ مفعما بالحزن و الالم :

كفاني ضنى ان ارى بالحسين ‏ ‏ ‏ ، شفت آل مروان اضغانها (٢)
فأغضبت الله في قتلـه ‏ ‏ ‏ و أرضت بذلك شيطانهـا

اذن ما اقضّ مضجعه، و ستاه نخب التهمام و الاسى لم يكن غير مصرع الامام الحسين عليه السلام، لا الحسين الشخص و حسب، بل الحسين الرمز، الحسين الذى يمثل الحق فلا يتعد عن محاربة الباطل و الوقوف في وجه تياره متحديا، حتى يلاقي دون ذلك مصرعه صابرا محتسبا .

هذا الاحساس بديمومة صراع الحق و الباطل، ديمومة الصراع بين الحسين و يزيد، هو ما جعل الشاعر دائم الانشغال بهذه القضية، و هذا ما صرّح به في اكثر من مجال، كما في مخاطبته لصاحب الامر مستنهضا :

---

١) الديوان ج ١ ص ٧٦ .
٢) نفسه ص ١٠٨ .
٢) الديوان ج ١ ص ١٠٩ .

اجل يوما ليس بالا جنبــي   عن يوم والدك الطاهــر (١)
فباطن ذاك الضلال القديم   مضمره عين ذا الظاهــر

دائما نرى شاعرنا يوقظ في الذاكر قضية الامام الحسين لانه رمز المنافحة عن معالم الشريعة الاسلامية، ورمز الحفاظ على مبادئ تلك الشريعة، حتى قضى شهيد الذياد عنها، حتى لا تشوه ولا يطالها حملة دعوة :

لعبت هاشم بالملك فــلا   خبر جاء ولا وحي نــزل (٢)

لهذا رأيناه حين مناجاته للامام المهدي يقرع فيما يقرع من أبواب خلال ذلك باب دعوته له لان ينهض للحفاظ على الشريعة المحمدية، التي من اجلهــا جرى على الحسين ما جرى:

الله يا حامي الشــريعة   اتقرّ وهي كذا مروعــه (٣)
بك تستغيث، وقلبهـــا   لك عن جوى يشكو صدوعه

وهكذا يعرض علينا الشاعر ما عرى الشريعة على ايدي حكام عصره العنصريين المتسلطين، مصوّرا ما هو عليه من انتظار وصبر وتأهب، ثم يروح يشحن ابناء الشعب هؤلاء المستضعفين، ويعبئهم ليوم اللقاء المنتظر، اليوم الذي لا يبقى على دارع الشرك ولا الحاسر، لان جرد الخيل المذاكي مصغية لهذه الدعوة سموعة، والسنة السيوف تكاد تجيبها بالسرعة القصوى، لان صدورها ضاقت بسر الموت، فأذن لها يا صاحب الامــر بأن تذيعه وتنشره في صفوف الطغام المستبدين •

هنا يجدر بنا ان نلفت النظر الى ما جاء في اعتراض ابراهيم الوائلي علــى الشعراء العلويين (٤) الذين رغم حماسهم الشديد للحرب لم نرهم حملوا في القــرن التاسع عشر سلاحا مع اقتناعه بأن استنهاضهم للمهدي في شعرهم دليل السخط

---

١) الديوان ج ١ ص٧٦ •

٢) مطلع الابيات التي استشهد فيها يزيد بن معاوية حين دخلوا عليه برأس الحسين "ع" وهي كافية لتدل على عدم ايمان هذا الرجل بشيء من تعاليم الاسلام ••

٣) الديوان ج ١ ص٨٨ •

٤) الشعر العراقي السياسي في القرن التاسع عشر ص١٦٢ •

واليأس من الحكم الفاسد المستبد (١)، وان بواعثه خصوصا في القرن التاسع عشر انما هي كونه ثورة على الحكم (٢) وعدم رضا بالامر الواقع، وان السيد حيدر الحلي كان من اقدر الشعراء تعبيرا في هذا المجال (٣)٠

ليس ضروريا ان يحمل الشاعر السلاح عبر نضاله ٠ لان تعليم اليد لماذا تقاتل اهم بكثير من تعليمها كيف تقاتل ٠ أدباء الثورة الفرنسية خير دليل على ذلك ٠ كما ان للثورة المصرية في ايران أكدت على اهمية النضال من طريق الكلمة وكونها السلاح الذى ينبغي ان يحمل قبل اى سلاح ٠

كذلك فان تصوير السيد حيدر لالم الانتظار الممض ومرارة الصبر في سبيل ان ينهض المهدى بأمره، ان في هذا تعبيرا عن ضيقهم بحالتهم السياسية والاجتماعية، وهذا دليل على انهم حملوا سلاحا امضى من السيف، لما في هذا السلاح الشعرى من التحريض الدائم بالحكام، وتصوير لممارساتهم المأساوية، ودعوة للشعب كي ينتفض ضد الطغمة المسيطرة، يكفي ان نسمعه مخاطبا صاحب الامر مصوّرا حالة الحكام وظلمهم واستبدادهم:

أصبرا وهذى تيوس الضلال ... لقد أمنت شفرة الجازر (٤)

ونحن بعد قد نلتقي او نختلف في هذه النظرية الايديولوجية مع السيد حيدر الحلي المفكّر العقائدى، ولكننا حتما سنتعايش معه الحلي الشاعر الذى رصد إعذابات جيله وعبّر عنها، فلمست لظى ايامه شغاف قلوبنا ومشاعر وجداننا بلوعة المعاناة العميقة لا عظم ما يمكن ان يقوم من تجاوب بين قارئ شعر والايديولوجيا التي يعبّر عنها ذلك الشعر٠

انه يتمهل في قصائده بأكثر الزوايا تأثيرا في جدران بنائنا الروحي، وبأكثر الجزئيات غورا في خلايا مشاعرنا واحساسنا الداخلي، حتى يقوم نوع من المشاركة الوجدانية بيننا وبين الشاعر الذى دفع تيار تململه من الاوضاع مسكونا بالدعوة للثورة

(١و٢و٣) الشعر العراقي السياسي في القرن التاسع عشر الصفحات: ١٢٥، ١٦٢، ٢٠٢٠
٤) الديوان ج ١ ص ٧٦٠

وشحن صلاة احتجاجه بالامل في النجاة حتى رحنا نستنشق في عبير مناجاته واستنهاضه لصاحب الامر مسكونية الاطمئنان بها للمنتهى، لذلك رأيناه عندما رفد شعلة قضيته بهذا الزيت الوهّاج، وعندما عكست الفكرة عنده عبر حضوره الدائم المعاناة الهائلة في التجارب، غدت الكلمة وقودا يشعل روح الانسان بلا توقف، وتيارا يزخم المدّ الثوري بلا حدود •

وهكذا غدت القضية عنده بايديولوجيتها صوفية تعانق الالم وتحترق بنار الاحوال التي ينبغي ان تعانيها حتى تصل الى مستوى الجدارة بحلول دار الوصال، الذي هو اللقاء بالمهدي صاحب العصر والزمان، ومخلّص الحرية والانسان، الذي كان يتشوف اليه بحميمية وتلهف••

والحلي عبر شعره الايديولوجي هذا كان شاعر الذاكرة والحلم : لقد هزّ الذاكرة بعنف حتى أعادها الى العمل بنشاط وحيوية بما ايقظ في خلاياها من ايديولوجيا الاسلام يوم ساد الارض بشريعة العدالة الاجتماعية والرحمة السماوية، فجعلها تتطلع الى الحلم السنّي عبر توجيه النفوس والافكار ناحية المهدوية توقا الى غد افضل تحكمه دولة العدالة وتشرق اضواء الحق والمساواة وتشرق اضواء الحق والمساواة في ربوعه •

نسأل اللهم يا غاية آمال العارفين ان تتقبل أعمالنا، وان تثبّتنا على طاعتك، وتهب لنا معرفتك، وترزقنا صدق التوكل عليك، وان تكون محاولتنا هذه كما أردناها مجدية لي ولابناء امتي بل لابناء الانسانية أجمع، وان تكون بما جلت مفتاحا الى محراب شعر السيد حيدر الحلي، ليكمل من بعدنا الشوط، ويتوفر على مدارسة المناحي الاخر، مما لم تعرض له هذه الدراسة، تقيدا بمنهجية البحث•

فالله نسأل وهو من وراء القصد واليه المناب•

محمد كامل سليمان سليمان

المصادر والمراجع

ابراهيم، الدكتور زكريا — كانت او الفلسفة النقدية • مكتبة مصر بدون تاريخ •

أبو ريّان، الدكتور محمد علي — تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام • دار الجامعات المصرية القاهرة سنة ١٩٧٠م •

أبو سعدة، ابراهيم — المختار من كتاب العقد الفريد • وزارة الثقافة والارشاد القومي مصر بدون تاريخ •

الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن ابي محمد بن — الكامل في التاريخ، المجلدات ١، ٢، ٣، دار صادر و دار بيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ •

أدونيس (علي احمد سعيد) — مقدمة للشعر العربي، دار العودة بيروت ط • ثانية سنة ١٩٧٥ •

بدر شاكر السياب قصائد مختارة، المقدمة، دار الاداب بيروت ط • اولى •

الثابت و المتحول دار العودة بيروت ط • اولى سنة ١٩٧٧ •

الارسوزي، الدكتور زكي — العبقرية العربية في لسانها المجلد الاول دمشق سنة ١٣٩٢هـ • ١٩٧٢م •

اسماعيل، الدكتور عز الدين — التفسير النفسي للادب - بيروت دار العودة و دار الثقافة بدون تاريخ •

الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية بيروت دار العودة ودار الثقافة طبعة ثانية سنة ١٩٧٢ •

رون العصر، دار الرائد العربي، بيروت ط١ اولى سنة ١٩٧٢٠

الاصفهاني أبو الفرج — مقاتل الطالبيين، الطبعة الثانية المكتبة الحيدرية النجف سنة ١٣٨٥هـ٠ سنة ١٩٦٥م٠

الاصفى، محمد مهدى — الامامة في التشريع الاسلامي، النجف سنة ١٩٦٣م ١٣٨٢هـ٠

اقبال، محمد — تجديد الفكر الديني في الاسلام ترجمة عباس محمود، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، بدون تاريخ ٠

الامين، حسن — لمحات في تاريخ التشيع: مركز تحقيقات ومطالعات دانشكاه الهيات و معارف اسلامي، ايران، مشهد، بدون تاريخ ٠
دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ج ١، ٣٤٢، بيروت سنة ١٣٩٢هـ٠ ١٩٧٢م٠

الامين السيد محسن — اعيان الشيعة ج ٤ ق٠٢ بيروت مط٠ الانصاف ١٩٤٨م، ١٣٦٧هـ٠
اعيان الشيعة ج ٢٩ط٠١٠ مط٠ الاتقان دمشق ١٩٤٨م، ١٣٦٨هـ٠
حرب الجمل و حرب صفين، دار الفكر للجميع بيروت ١٩٦٩م٠

الامين، عبد الحسين احمد — الغدير، مجلد ١و٢و٣، دار الكتاب العربي ط٠ ٣، ١٩٦٧ـ١٣٨٧٠

أيكن ، هنرى — عصر الايديولوجيا ، ترجمة محي الدين صبحي منشورات وزارة الثقافة دمشق • ١٩٧١ •

البحراني ، السيد هاشم — غاية المرام و حجة الخصام في تعيين الامام من طريق الخاص و العام طهران ١٢٧٢ هـ •

بلاشير رجي — تاريخ الادب العربي المجلدان : ١و٢ •

تيجم ، فان — الادب المقارن ، سلسلة دائرة المعارف الادبية العالمية ، دار الفكر العربي مصر •

الثعالبي ، ابو منصور ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل — الاعجاز و الايجاز ، تحقيق اسكندر آصاف •

جاريت ، أ • ف — فلسفة الجمال ترجمة عبد الحميد يونس و رفاقه دار الفكر العربي بمصر •

الجندى ، الدكتور علي — شعر الحرب في العصر الجاهلي : مكتبة الجامعة العربية بيروت ط • ٣ ١٩٦٦م •

جيمس وليم — بعض مشكلات الفلسفة ، ترجمة الدكتور محمد فتحي الشنيطي ، بيروت دار الطليعة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩م •

العقل و الدين ، ترجمة الدكتور محمود حب الله دار احياء الكتب العربية ١٩٤٨م •

الجوزى ، عبد الرحمن الملقب بسبط ابن — تذكرة الخواص المدلو • العلمية النجف ١٣٦٩هـ •

حسين ، الدكتور طه — من حديث الشعر و النثر ، الط• الثالثة ، دار المعارف ، مصر•

على هامش السيرة ، ج : ١و٢و٣ دار المعارف مصر•

في الادب الجاهلي ، دار المعارف ، مصر•

الفتنة الكبرى : ج ١ (عثمان) دار المعارف بمصر ط• ٣ ١٩٧٠•

الفتنة الكبرى : ج ٢ (علي) دار المعارف بمصر ط• ٣ ١٩٦١•

حسين ، الدكتور محمد محمد — الاتجاهات الوطنية في الشعر المعاصر ج : ١و٢ الط• الخامسة دار الارشاد بيروت•

الحلي ، الحسن بن يوسف المعروف بالعلامة — النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر مط• الناصري بومباى ١٣١٩هـ•

كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد • بومباى تدال ستريت ١٣١٠هـ•

كتاب الالفين الفارق بين الصدق و المين • ط• ٢ ، ١٣٨٨هـ• ١٩٦١م•

الحلي ، السيد حيدر — ديوان شعره الدر اليتيم و العقد النظيم تحقيق علي العلاني الحائري بومباى ١٣١٢هـ•

ديوان شعره ، تحقيق علي الخاقاني في جزئين المط• الحيدرية النجف ١٣٩٤هـ• ١٩٥٠م•

العقد المفصل ط• ١ الشابندر بغداد ١٣٣١ ج : ١ و ٢•

خالد ، محمد خالد — انسانيات محمد ط• ٣ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٦٦•

في رحاب علي ط ٢٠ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٦.
من هنا نبدأ ط ١١ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٦٦.

خان، وحيد الدين — الاسلام يتحدى، تعريب ظفر الاسلام خان، دار البحوث العلمية ط ١، ١٩٧٠.

الخطيب، الدكتور حسام الدين — الادب الاوروبي تطوره ونشأة مذاهبه، دمشق ١٩٧٢.

خفاجي، الدكتور محمد عبد المنعم — البحوث الادبية دار الكتاب اللبناني، بيروت.

خلدون عبد الرحمان بن — المقدمة، المطبعة البهية، مصر.

الخميني، الامام روح الله — التناقض الاساسي بين الاسلام والامبراطورية، خطاب مطبوع القي في جامعة النجف.
الحكومة الاسلامية اوولاية الفقيه ج ١، مط. الاداب النجف.
الحكومة الاسلامية او ولاية الفقيه ج ٢، مط. الاداب النجف.

الخوارزمي، ابو المؤيد الموفق بن احمد المكي — مقتل الحسين، مط. الزهراء، النجف ١٣٦٧، ١٩٤٨.

خوري، رئيف — الادب المسؤول، دار الاداب بيروت ط. اولى ١٩٦٦.
التعريف في الادب العربي بيروت ١٩٥١م ط. اولى.

الخياط، الدكتور جلال	الشعر العراقي المعاصر، دار صادر، بيروت ١٣٩٠، ١٩٧٠.
درو، اليزابيت	الشعر كيف نفهمه و نتذوقه ، ترجمة الدكتور محمد ابراهيم الشوش مكتبة منيمنة، بيروت. بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر ١٩٦١.
الدهان، الدكتور سامي	سلسلة فنون الادب العربي ـ المديح، دار المعارف بمصر.
الراوندي، فضل الله بن علي	نوادر الراوندي المط. الحيدرية، النجف ١٣٧٠ـ ١٩٥١.
رستم، أسد	مصطلح التاريخ ط. ٢ المكتبة العصرية صيدا او بيروت.
روستان، جان	الانسان ترجمة عدنان التكريتي وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٠.
الريّس، رياض نجيب	الفترة الحرجة، بيروت المؤسسة الوطنية للطباعة و النشر.
زيدان، جرجي	تاريخ آداب اللغة العربية المجلد الاول مكتبة الحياة، بيروت.
سارتر، جان بول	الادب الملتزم، ترجمة جورج طرابيشي، دار الاداب بيروت ط. ٢، ١٩٦٧.

الوجود والعدم ترجمة عبد الرحمان بدوى، دار الاداب بيروت ط، ١ • ١٩٦٦ •

سركيـــس — معجم المطبوعات العربية والمعربة مط • سركيس بمصر ١٣٢٦ـ١٩٢٨ •

سيد الاهل، عبد العزيز — زينب بنت علي ط، ٢ المكتبة العلمية القاهــرة ١٩٦١ •

زين العابدين ط، ٢ المكتبة العلمية القاهــرة ١٩٦١ •

شبّر، جـــواد — ادب الطف او شعراء الحسين مؤسسة الاعلمي بيروت ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٩م •

شرف الدين، السيد عبد الحسين — المراجعات، دار الصادق، بيروت بدون تاريخ •

فلسفة الميثاق والولاية ط، ٢ العرفان ١٩٥٢ •

شكرى، غالي — شعرنا الحديث الى اين، دار المعارف بمصـــر ١٩٦٨ •

التراث والثورة، دار الطليعة بيروت ط، ١ • ١٩٧٣ •

الشكعة، الدكتور مصطفى — اسلام بلا مذاهب، دار النهضة، بيروت بــدون تاريخ •

شلبي، الدكتور احمد — كيف تكتب بحثا او رسالة، مكتبة النهضة المصـرية ط • خاصة ١٩٦٦ •

شمس الدين، عبد الحسين — دعبل بن علي الخزاعي، شاعر السياسة والعقيدة ١٩٦٦، رسالة دكتوراه جامعة القديس يوسف.

شمس الدين، الشيخ محمد مهدي — ثورة الحسين في الواقع التاريخي، بيروت ١٣٨٦هـ.

شهرا شوب المازندراني، محمد بن علي — مناقب آل ابي طالب، بمبای ١٣١٣ هـ. المجلد الرابع.

الشوباشي، محمد مفيد — الادب الثوري عبر التاريخ، دار الهلال بمصر

شيخو اليسوعي، الاب لويس — الاداب العربية في القرن التاسع عشر، بيروت مط. الاباء اليسوعيين ١٩٠٨.

الصالح، الدكتور صبحي — منهل الواردين، شرح رياض الصالحين للنووي ج ١و٢، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٠.

صبحي، الدكتور حسن — اليقظة القومية الكبرى ط ٢، مكتبة الجامعة العربية بيروت ١٩٦٦.

الصدر، السيد محمد باقر — الانسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية، مط. النعمان النجف ١٣٨٨

فلسفتنا، منشورات عويدات، بيروت ط. اولى ١٩٦٢.

ضيف، الدكتور شوقي — الفن ومذاهبه في الشعر العربي ط ٧، دار المعارف بمصر.

الفن ومذاهبه في النثر العربي ط، ٦ دار المعارف بمصر.
الفن الغنائي، الرثاء من سلسلة فنون الادب العربي القاهرة، ١٩٥٥.

الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم — دلائل الامامة المط. الحيدرية، النجف ١٣٨٣، ١٩٥٦.

الطهراني آغابزرك — طبقات اعلام الشيعة، النجف الاشرف المط. العلمية ١٣٧٥، ١٩٥٦.

عبد العظيمي، الشيخ محمد علي الشاه — الايقاد المط. الحيدرية، النجف ١٣٨٢ هـ. ١٩٦٣م.

عبده، الشيخ محمد — شرح نهج البلاغة، المكتبة الاهلية، بيروت.

عتيق، الدكتور عبد العزيز — تاريخ النقد الادبي عند العرب، دار النهضة بيروت ١٣٩٠هـ. ١٩٧١م.
في النقد الادبي، دار النهضة، بيروت ط، ٢ ١٩٦٧.

العريني، الدكتور السيد الباز — المجتمع العربي، دار النهضة بيروت

العقاد، عباس محمود — التفكير فريضة اسلامية، ط، ١ دار القلم بالقاهرة.
ابو الشهداء الحسين بن علي، دار الهلال.
ابن الرومي: حياته من شعره ط، ٧، ١٩٦٨، دار الكتاب العربي بيروت.

العلايلي ، الشيخ عبد الله — الامام الحسين ، دار مكتبة التربية ، بيروت ١٩٧٢ .

علي ، الدكتور اسعد احمد — معرفة الله و المكزون السنجارى ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٢ـ١٩٧٢ .
فن المنتجب العاني و عرفانه ، دار النعمان بيروت ١٣٨٨ـ١٩٦٨ . دار السؤال
الانسان و التاريخ في شعر ابي تمام ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، ١٩٧٢م . ١٣٩٢هـ .
تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي ، دار النعمان بيروت ط ١ ، ١٩٦٨م ، ١٣٨٨ هـ .

فرح ، الدكتور الياس — تطور الايديولوجية العربية الثورية ، بيروت المؤسسة العربية للدراسة و النشر ، ط ٢ ، ١٩٧٢ .

فوق العادة ، الدكتور سموحي — موجز المذاهب السياسية ، دار اليقظة العربية ط ١ ، ١٩٧٢ م .

الفيروزآبادى ، السيد مرتضى الحسيني — فضائل الخمسة من الصحاح الستة ، دار الكتب الاسلامية ، النجف ، ١٣٨٣ هـ .

قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، — الشعر و الشعراء ، مع تعليق و حواشي من الدكتور محمد يوسف نجم و احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٤ م .

القزويني ، السيد ابو الحسن — حول عقائد الامامية مكتبة النروى ، ايران .

القيرواني الازدى ، ابو الحسن علي بن رشيق / العمدة ، دار الجليل ، بيروت ط ٤ ، ١٩٧٢م .

كارليل توماس — محمد المثل الاعلى تعريب محمد السباعي ط، ٢ المكتبة الاهلية، بيروت•

كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين — اصل الشيعة واصولها ط، ١٠ ، القاهـــرة ١٣٧٧ هـ• ١٩٥٧م•
الدين والاسلام، مط• العرفان صيدا ، لبنان ١٣٣٠هـ•

كحالة، عمر رضـا — معجم المؤلفين ج ٤ مط• الترقي ، دمشـــق ١٣٧٠هـ• ١٩٥٧م•

الكرماني احمد حميد الدين — المصابيح في اثبات الامامة تحقيق مصطفـــى غالب ط، ١ ١٩٦٩م•

الكفافي، محمد عبد السلام — جلال الدين الرومي في حياته وشعره ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م•
في الأدب المقارن، دار النهضة العربيـــة، بيروت ، ١٩٧٢•

متز، آدم — الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريـدة، ط، ٤، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧هـ• ١٩٦٧م•

المظفر، الشيخ محمد رضا — عقائد الامامية، منشورات القسم العربـــي بدار التبليغ الاسلامي ، قم / ايران •

مغنية الشيخ محمد جواد — المهدي المنتظر والعقل، دار العلم للملايين •

المفيد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ — الارشاد ط ٢ ، المط • الحيدرية النجف ١٣٩٢ هـ • ١٩٧٢ م •
اوائل المقالات في المذاهب والمختارات ط ٢ ، الحيدرية النجف ١٣٩٣ هـ •
شرح عقائد الصدوق او تصحيح الاعتقاد ، المط • الحيدرية ١٣٩٣ هـ •
الفصول العشرة في الغيبة • المط • الحيدرية ١٣٧٠ هـ • ١٩٥١ م •

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين — مروج الذهب ، ط ١ ، المط • الازهرية مصر ١٣٠٣ هـ • الجزء الثاني •

الملائكة ، نازك — قضايا الشعر المعاصر ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٦٥ م •

طحس ، ثريا عبد الحليم — منهج البحوث العلمية ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م •

الموسوي العلوي ، علي بن الحسين (الشريف المرتضى) — الامالي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب العربي ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ • ١٩٦٧ م •

نجا ، الدكتور احمد صلاح الدين — الكميت بن زيد شاعر الشيعة السياسي في العصر الاموي بيروت ، دار العصر للطباعة والنشر •

النفيسي ، عبد الله فهد — دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٣ •

النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب نهاية الارب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية للطباعة و النشر، السطر الخامس الباب الثاني ٠

النويهي ، الدكتور محمد — الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، القاهرة، الدار القومية للطباعة و النشر ٠

الوائلي ، ابراهيم — الشعر السياسي في العراق في القـــــرن التاسع عشر، مطـ العاني بغداد ١٣٨١ هـ ١٩٦١م ٠

ولسون ، كولن — الشعر و الصوفية، ترجمة عمر الديراوى ابـــــو حجلة، دار الاداب بيروت ٧ اولى ١٩٧٢م ٠

مراجع اجنبية

Abdel-Maleck, Anouar: La pensée politique arabe contampcraine.
Ed.du seuil Paris - 1970.

Brockelmann: Supplém'nt II.

Daniel Vidal: Essai sur l'idéologie, Paris 1971. Ed.Anthropos.

Dictionnaire Alphabétique et Analogique de la langue française, couronné par l'accadémie française (idéologie)
Ed.Société du nouveau Littré. - 1970.

Encyclopédia Britanica (Idéology) - Ed. 14ème - 1929.

Encyclopédie "Littré" de la langue française (Idéologie)

Encyclopédie Universalis (Idéologie) - 9ème.publication - Sept.1974.

GrandLarousse encyclopedique (Idéologie) - Fév.1960.

Freud Sigmund: Ma vie et la psychanalyse, traduit de l'allemand par Marie Bonaparte Gallimard Paris 1965

Vocabulaire technique et critique de la philosophie.

الأربعاء ٢٣/٥/١٩٧٩
٨ م

١ - أخي كامل سلمان

لم لو تعثرت بجاذبية مؤثرة من فهوم "إيديولوجية الثورة"، كما بدا لي من قراءتي الأخيرة.

- ربما تستغرب المفاجأة، لأنني غيرت عنوان رسالتك التي بقيت بطرف، بعد سنوات من الصبر والتحمل والبحث. وقد تساورك مخاوف جديدة.. لا من بعد المشرف، هذه المرة، بل من قربه.. وكأنما أسمع ما يدور في "جوانية" نفسك: "وماذا عن شرح دة الماجستير؟ أليس ما تمنيت به كافياً لحياز شرح بامتياز"؟

١ - أفكر أنك تدربت على مصاعب البحث والزمان.. إذا سلمنا بهذه الكلمة "مصاعب".. فأنت تعرف أنا ابتكرنا "إيديولوجية" خاصة بنا لتخطي المصاعب.. ألم نتعاهد على "ضحك الأعصاب للمصاعب"؟ أليس هذا الموقف من مؤهلاتنا للبحث في مثل موضوعك؟ فكيف كتبت أبوابه؟

١ - لقد أخرجته: بمقدمة.. وثلاثة أبواب.. وخاتمة.

٢ - وذكرت مصادرك ومراجعك المهمة بلغة؛ ما تيسر وابتعت المصادر عربية وأجنبية.. منها ما هو جوهري أساسي في بناء بحثك.. ومنها ما هو ثانوي لا يرتقي إلى هذه المنزلة.. والأهم: كيف استخلصت بحثك منها؟ وهل حققت بحثك شروط: المادة، والشكل، والمنهج؟

تحدثت في الباب الأول حديثاً تاريخياً؛ فعرفت بالسيد حيدر الحلي: حياة.. وعصراً.. وآثاراً؛ لأنك اتخذت مادة شعره منطلقاً للأخبار، ما تسميه: "الإيديولوجية الشيعية ونشأة الإمام الحسين"؟

- فالسيد حيدر الحلي: ولد في قرية بريسما من أعمال الحلة. أو في الحلة ذاتها؛ وقد يكون ولد في الأولى في الخامس عشر من شعبان سنة ١٢٤٦هـ الموافق ١٨٣١م. ثم انتقل إلى الثانية؛ وعاش فيها حتى توفي سنة ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧م.

فحياة الشاعر تجلي في القرن التاسع عشر الميلادي. ويبارك عصره في خطابه بجنبته السياسية، والاجتماعية، والأدبية. وفي آثاره وسيرته: صفحة من تلك الشاكلة.

ذكرت آثار السيد حيدر الحلي النثرية والشعرية؛

فمن آثاره النثرية:

١ - العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل. ط طبع في بغداد، بمطبعة الشابندر، سنة ١٣٣١هـ "مجلدين".
أتحف لصديقه العلامة الشيخ محمد حسن كبة. بمقدمة وثمانية وعشرين باباً وخاتمة. ووصف الكتاب بأنه موسوعة أدبية مصغرة؛ تصور ثقافة مؤلفه الواسعة.

٢ - دمية القصر في شعراء العصر.. (لم تطبع..)

٣ - الأشجان في مراثي خير إنسان.. (لم يطبع) وهو عبارة عن مراثي صديقه العلامة السيد ميرزا جعفر القزويني. جمعها وعرف بأصحابها.

٤ - الحاج محمد صالح كبة.. (لم يطبع). على منوال العقد المفصل المطبوع.

وأما آثاره الشعرية: فديوانه المطبوع سنة ١٣١٢هـ في بومباي. وسنة ١٣٦٩هـ في النجف. وفيه ٣٨٧ نصاً.. عدد أبياتها ٨٢١٧ بيتاً. ومن هذا الشعر استخرجت "الإيديولوجية..."

علقت: إن بعض الأغراض التي عالجها في شعره .. تلقي ضوءًا على أيديولوجيته. لذلك تقتضي معرفة.

فديوان حيدر الحلي مقسم إلى أبواب.. وكل باب منه مرتب بحسب الحروف الهجائية. وهي خمسة عشر بابًا:

«مدائح آل البيت، مراثيهم، الوجدانيات، الغزل، التخاميس، الإخوانيات... الحماسة، المدائح، المراثي، التاريخيات، العتاب، المقاريض، متفرقات، الرسائل (نثرية تتخللها شعر)».

أدع معالجاتك التمهيدية لهذه الأغراض.. وإن كنت تظن أن عملك هذا لا يتعدى إطار الموضوع ولا يتعدى على المنهجية.» (٤٣)

أعود إلى السؤال اللازم للمناقشة:
كيف استخرجت الأيديولوجيا من شعر السيد حيدر الحلي؟..
وهل حققت في بحثك شروط: المادة، والشكل، والمنهج؟

في الباب الثاني من رسالتك:
بحثت آثار الإمام الحسين (ع) ومآثره.. لأنه هو الزعيم للثورة المشهورة في التاريخ. محرك حماسة الأحرار ليثوروا ضد الظلم والشر في كل العصور.. وهو الذي ألهم السيد حيدر الحلي قصائده الأيديولوجية..

فالحسين بن علي: ولد سنة ثلاث، أو أربع للهجرة.. وعاش سبعة وخمسين عامًا، ثم استشهد في كربلاء، في العاشر من محرم في السنة الحادية والستين للهجرة.
فحياة الحسين تعاصر: عهد النبي (ص)، وعهود الخلفاء الراشدين الأربعة.. وأيام معاوية الانحرافية عن مبادئ الإسلام..

ثم بعضًا من أيام يزيد.. ففي أيام يزيد كانت ثورة الحسين.. وكانت نهاية عمره المحدود بداية ثورة بلا حدود.. كما يقول العلامة الشيخ عبد الله العلايلي:
«حياة الحسين: عظة من التاريخ.. ولكنها تجمع التاريخ كله، فليس معناها في حدود ما وقعت من الزمان والمكان، بل حدودها حيث لا تنتهي إلى حدود» (الإمام الحسين: ٩).

إن هذا الوصف لحياة الحسين: يستوقف الباحث ليتأمل جدلية الزماني المحدود بالخالد المطلق..
ومن هذا التأمل: تتولد المحاورات الجدلية حول الأيديولوجيا المعتنقة..
أنت تقول: إن السيد حيدر الحلي صاحب أيديولوجية في شعره.. وهذه الأيديولوجية تلتزم بمذهبية الحسين: آثارًا ومآثر.. فكيف برهنت ما تدعيه؟ وهل جاءت براهينك مقنعة؟

خصصت الباب الثالث والأخير من رسالتك: «الأيديولوجيا في شعر السيد حيدر الحلي».. (٨٨ - ٢١٤ = ١٢٦)
وعالجته في خمسة فصول: الأيديولوجيا.. الأيديولوجيا الإسلامية الشيعية.. منطلقات الأيديولوجيا عند الحلي.. الهوية في شعره.. رثاء الإمام الحسين في شعره..
في هذا الباب: تشابكت الخطوط.. وبدت وجوه القضية بصور متنوعة من العرض:
فقد تأملت في تعريفات مختلفة للأيديولوجيا.. منذ نشأة الكلمة اليونانية.. حتى الماركسية.. ثم الاستخدامات العربية للكلمة.. فبدت: علمًا يهدف إلى دراسة الأفكار.. أو مذهبية.. أو عقيدة.. ولم نغفل الإشارة إلى الجانب التهكمي بالأيديولوجيا، بمعنى أنها انعكاس للمصالح والأهواء..

كذلك اعتبرت الجانب العلمي من مدلولات الإيديولوجيا، فهي: نسق إجمالي لتفسير العالم وتغييره، تاريخيًا وسياسيًا. ومن وظائفها: توجيه النشاط الفردي والجماعي".

وبناءً على هذا الجانب العلمي درست الإيديولوجيا التي انتظمت شعر السيد حيدر الحلي.. (ص ٩٣).

فالإيديولوجيا، في الفن: "انتماء إلى مذهب معيّن، وإلى مجموعة من المبادئ والأهداف، والتعبير عن هذا الانتماء من خلال الأثر الفني، وبذلك تبرز أنواع من الإيديولوجيات في شتى الفنون، وبخاصة في الأدب، حيث تتجلّى في نتاج الشعراء، والصحافيين، والنقاد، والروائيين، والمسرحيين، أثناء الالتزام، فيصبح الأدب عندئذٍ تعبيرًا فنيًّا رفيعًا عن أهداف الإيديولوجيات التي ينتمي إليها هؤلاء الأدباء".. (المعجم الأدبي: ٤٤)..

فماذا التزم الشاعر العراقي حيدر الحلي؟

أظهرت علاقة الإيديولوجيا بالشعر عمومًا، فالإيديولوجيا: التزام، والشعر تعبير يطابق بين نفس الشاعر وما يقوله. وليس بين الشعر والسياسة إلا خطوة واحدة، كما يقول بو ميدو. والعرب لا يتركون الشعر حتى تترك الإبل الحنين، كما في العبارة التراثية.

لذلك رأيت: أن نوصّل إيديولوجية الحنين الشعري في شعر حيدر الحلي، فوجدته في مبادئ الإسلام التي تعتبرها الشيعة أركان عقيدتهم، وهي: التوحيد، العدل، النبوة، المعاد، والإمامة. وقلت: إن الإمامة من أهم مميزات الإيديولوجيا الشيعية. (١٠٢)، والإمامة تفترض التطبيق العملي للمبدأ.. ويلحّ الأئمة على ذلك في أقوالهم وأفعالهم.

فمن أقوال الإمام الصادق:

"عليكم بتقوى الله، والورع، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الجوار. كونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، كونوا زينًا ولا تكونوا شينًا.. وعليكم بطول الركوع والسجود". (أصول الكافي ج٢/ص٧٧)

ومن أقوال الباقر يخاطب جابر الجعفي:

"يا جابر، أيكتفي من ينتحل التشيّع: أن يقول بحبنا - أهل البيت - فوالله.. ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه.. وما كانوا يعرفون - يا جابر - إلا بالتواضع والتخشع والأمانة.... من كان مطيعًا لله فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصيًا فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل".. (أصول الكافي ج٢/ص٧٤)

أما الإمام الحسين، فقد جسّد معظم القول: عملًا وثورة.. لتكون إيديولوجيا الإسلام سلاحًا لإنسانية من الظلم وأمانًا من الاستغلال:

كتب الحسين لمعاوية أيام سلطان معاوية:

"إني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها.. ولا أعظم نظرًا لنفسي ولديني ولأمة محمد، أفضل من أن أجاهدك.... ألا تدع لست من هذه الأمة وليسوا منك..". (ص٢٥٤)

أما بالنسبة ليزيد، فقد قال أقوالًا جسدها بثورته ودمه، منها:

"إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة.. بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد.. قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسوق والفجور... ومثلي لا يبايع مثله..

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، والله خير الحاكمين.. لا بد أن أقتل في سبيل الحق ولا أستسلم [illegible] والله لا أعطي [illegible] الموت إلا سعادة والعيش [illegible]